



# هُدًى لِثَقَلَيْنِ

تَصَدَّرَ عَنْ دَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

مُجَاوِزَةً مِنْ وَزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةً لِأَغْرَاضِ التَّرْفِيَةِ الْعَالَمِيَّةِ

السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ / الْمَجْلَدُ الثَّانِي / الْعَدَدُ (٤)

شَهْرُ جُمَادَى الْآخِرَةِ ١٤٤٧ هـ - كَانُونُ الْأَوَّلِ ٢٠٢٥ م

جُمْهُورِيَّةُ الْعِرَاقِ

دِيَوَانُ الْوَقْفِ الشَّيْعِيِّ

الْأَمَانَةُ الْعَامَّةُ لِلْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

هَدْيُ الثَّقَلَيْنِ

مَجَلَّةٌ عِلْمِيَّةٌ نِصْفُ سَنَوِيَّةٍ مُحْكَمَةٌ تُعْنَى بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ

(صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ) لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

تَصَدَّرُ عَنْ دَارِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

مُجَازَةٌ مِنْ وَزَارَةِ التَّعْلِيمِ الْعَالِيِّ وَالبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مُعْتَمَدَةٌ لِأَعْرَاضِ التَّرْقِيَةِ الْعِلْمِيَّةِ

التَّرْقِيمُ الدَّوْلِيُّ: ISSN: 3005-415x

العنوان: العراق - كربلاء المقدَّسة - دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدَّسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢٧١٥ لسنة ٢٠٢٤م

للمعلومات والاتصال: ٠٧٧٣٥٣٠٠٨٣٥

البريد الإلكتروني: [hudaalathaqalein@gmail.com](mailto:hudaalathaqalein@gmail.com)

تستقبل مجلة (هدْيُ الثَّقَلَيْنِ) البحوث الأكاديمية الرصينة غير المنشورة،

باللغتين العربية والإنكليزية.

## بطاقة الفهرسة

BP130 .A82 2024 VOL. 1 NO. 0

العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق) دار القرآن الكريم.

هَدِي الثقلين: مجلّة علمية نصف سنوية محكمة تُعنى بتفسير النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) للقرآن الكريم/ تصدر عن دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، دار القرآن الكريم، ٢٠٢٥م / ١٤٤٧ للهجرة.

مجلد: ٢٤ سم - نصف سنوية، السنة الثانية، المجلد الثاني، العدد (٤)، شهر جمادى الآخرة ١٤٤٧ هـ - كانون الأول ٢٠٢٥ م.

(العتبة الحسينية المقدسة؛ ١٣٥٧)، (دار القرآن الكريم).

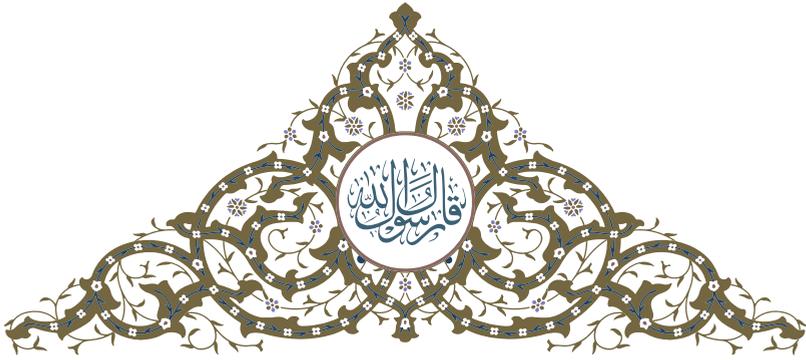
يَتَضَمَّن إرجاعات بليوجرافية.

تصدر المجلة باللغتين العربية والإنجليزية.

١. القرآن - تفسير الشيعة الإمامية - دوريات.

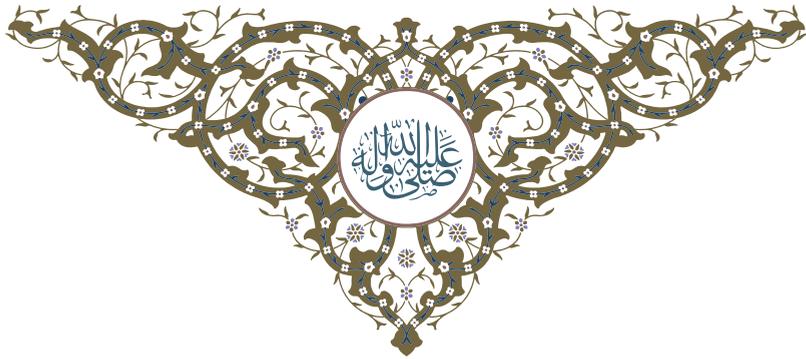
٢. القرآن تفاسير ماثورة (الشيعة الإمامية) - دوريات. أ. العنوان.

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.



تَارِكِي فِيكُمْ لِثَقَلَاتِكُمْ

كَمَا لَبَّيْكُمْ وَعِزَّتِكُمْ



تَنْوِيهِ:

الْأَفْكَارُ وَالْآرَاءُ الْوَارِدَةُ فِي أَبْحَاثِ هَذِهِ الْمَجَلَّةِ تُعْبَرُ عَنْ وَجْهَةٍ نَظَرٍ كُتَّابَهَا  
وَلَا تُعْبَرُ بِالضَّرُورَةِ عَنْ وَجْهَةٍ نَظَرٍ الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ.

قَصِيدَةٌ تُؤَخُّ فِيهَا مَجْلَدٌ هَدَى الثَّقَلَيْنِ وَهِيَ مَجْلَدٌ عَلِيمَةٌ  
 نَصَفَتْ سِنُونِيَّ بِمُحْكِمَةٍ تُعْنَى بِنَفْسَيْهِ النَّبِيِّ وَأَهْلِكَ بَيْتِهِ  
 صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ لِقُرْآنِكُمُ الْكَثِيرِ، صَدَرَتْ بِحِزَابِ الْقُرْآنِ  
 الْكَبِيرِ فِي الْعَتَبَةِ الْحُسَيْنِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ

سَفَرُ جَمِينٍ وَبَدَتْ مِثْلَ السَّنَا	عِنْدَ الْحُسَيْنِ فِي الطُّفُوفِ صَدَرَتْ
فِي طَيْهَا كُلُّ تَقَاسِيرِ الْهَنَا	وَهِيَ بِقَوْلِكَ الْآنَ حَقًّا هَدَرَتْ
أَرَأَوْهَا مِنْ بُورَةٍ فِيهَا الْغِنَى	سَلَسَلَهَا الْعِلْمُ وَمِنْهَا نَشَرَتْ
مِيدَانُهَا الْآيُ وَمِنْهَا قَدَدْنَا	وَاسْتَبَقَتْ بَابَ الْهُدَى إِذْ شَمَرَتْ
مَنْزِلَ أَرْقَمَ زَيْدٍ كَرِيمٍ مَجُونًا	بِالْحَيْرِ وَالْقَوْلِ الْجَمِيلِ قَدَسَرَتْ
وَاللَّيْلُ وَلِيَّ بَنٍ أُصِيبَ بِالْفَنَاءِ	أَسْتَارَهُ قَدْمُ مَرْقَتٍ وَانْدَثَرَتْ
يَا حُسْنَهَا كُلُّ إِلَيْهَا إِذْ عَمْنَا	حِينَ إِلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ نَظَرَتْ
هَذَا قَدْ أَنَاخَتْ رُكْبَهَا الْعَالِي هُنَا	فَازْدَهَرَتْ أَبْوَابُهَا بَلْدًا شَمَرَتْ
فَالْيَوْمَ عِنْدَ السَّبْطِ إِذْ أَقْصَى الْكُنَى	أَرْخَ: هَدَى الثَّقَلَيْنِ صَدَرَتْ

عَلِي الصَّفَّارُ الْكِرْبَلَائِي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا  
وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

وَأَنزَلْنَاكَ قُرْآنًا مَّعْرُوبًا  
مَّا يُغْنِيكَ اللَّهُ عَمَّا كُنتَ تَعْمَلُ

وَأَنزَلْنَاكَ قُرْآنًا مَّعْرُوبًا



ديوان الوقف الشيعي / الامانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة

م/ مجلة هدى الثقلين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اشارة الى كتابكم ذي الرقم ح/٢٥١٤٩/٣٩ بتاريخ ٢٠٢٤/٤/٢٧ بشأن استحداث واعتماد مجلتكم لاغراض النشر والترقيات العلمية وتسجيلها ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية ويعد استكمال الملاحظات الخاصة بضوابط الاستحداث بموجب كتابكم المرقم ح/٤٧٧١٢/٣٩ في ٢٠٢٤/٨/٢٧، حصلت الموافقة بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على اعتماد المجلة المذكورة في الترقيات العلمية والنشاطات العلمية المختلفة الاخرى واعتباراً من المجلد الاول - العدد الاول - كانون الثاني لسنة ٢٠٢٤ لتسجيل المجلة في موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية.

للتفضل بالاطلاع وابلاغ مخول المجلة لمراجعة دائرتنا لتزويده باسم المستخدم وكلمة المرور ليتسنى له تسجيل المجلة ضمن موقع المجلات الاكاديمية العلمية العراقية وفهرسة اعدادها ، ويعتبر ذلك شرطاً اساسياً في اعتمادها بموجب الفقرة (٣١) من ضوابط الاستحداث واصدار المجلات العلمية في وزارتنا.

...مع وافر التقدير

د. ابنى خميس مهدي  
المدير العام لدائرة البحث والتطوير

٢٠٢٤/٩ / ١٤

نسخة منه الى:

- مكتب السيد وكيل الوزارة لشؤون البحث العلمي/ اشارة الى موافقة سيادته بتاريخ ٢٠٢٤/٩/٨ على اصل مذكرتنا المرقمة ب ت م ٦٧٩٢/٤ في ٢٠٢٤/٩/٨/٢٠٢٤/٩/٨ للتفضل بالاطلاع...مع التقدير.
- قسم الشؤون العلمية/ شعبة التأليف والترجمة والنشر... مع الاوليات
- الصادره

مهتد ابراهيم  
١٠/٩/٢٠٢٤



### رئيس التحرير

أ. د. هاشم جعفر حسين الموسوي  
اللغة العربيّة - اللغة والنحو  
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانيّة / العراق

### مدير التحرير

أ. م. د. عمّار حسن عبد الزهرة / اللغة العربيّة - لسانيات  
وزارة التربية / مديرية تربية كربلاء / العراق

### مدقق النصوص العربية

د. عماد طالب موسى

### مدقق النصوص الانكليزية

م. م. إباء الدين حسام عباس

### العلاقات والتنسيق والإعلام

الأستاذ علي فضيلة خضير الشمري

## هياة التحرير

م. د. الشيخ خير الدين علي الهادي  
رئيس دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية / العراق

اللغة العربية - لسانيات

أ. د. حميد عبد جواد النجدي

رئيس جامعة أهل البيت عليه السلام - العراق.

أ. د. مكي محي عيدان الكلابي

اللغة العربية - دلالة

جامعة كربلاء / كلية التربية / العراق

أ. د. ضرغام كريم كاظم الموسوي

الفقه وأصوله

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية / العراق

أ. د. سامي ماضي إبراهيم الربيعي

اللغة العربية - نحو ودلالة

الجامعة المستنصرية / العراق

أ. د. لطيفة عبد الرسول عبد علي الضاييف

اللغة العربية - نحو ودلالة

الجامعة المستنصرية / العراق

أ. د. عبد الإله عبد الوهاب العرداوي  
اللغة العربيّة وآدابها - أدب إسلامي  
جامعة الكوفة - كليّة التربيّة الأساسيّة/ العراق

أ. د. عبد الحميد مذكور  
الأمين العام لمجمع اللغة العربيّة في القاهرة  
الفلسفة الإسلاميّة/ جامعة القاهرة/ مصر

أ. د. عيسى علي عاكوب  
عضو مجمع اللغة العربيّة/ دمشق - سوريا

أ. د. غازي مهدي جاسم الشمري  
الفكر الإسلامي وتاريخ الحضارة العربيّة  
جامعة وهران/ الجزائر

أ. د. محمد رضا ستود هنيا  
علوم القرآن والحديث  
كلية الإلهيات ومعارف أهل البيت عليه السلام جامعة  
أصفهان/ إيران

أ. م. د. محمّد عبد الحسن كاطع  
تاريخ الحضارة الإسلاميّة  
جامعة المصطفى العالميّة/ فرع العراق

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي  
دلالة ونحو  
الكلية التربوية المفتوحة في النجف الأشرف / العراق

م.د. حيدر فاضل عباس العزاوي  
اللغة العربيّة\_ لسانيات  
وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء

**التصميم والإخراج الفني**

الحسن ميثم عزيز

## قواعد النشر في المجلة:

١. يستقبل هديّ الثقلين البحوث والدراسات الرصينة على وفق القواعد الآتية:  
١. يشترط في البحث أن يكون مكتوبًا على وفق منهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميًا .
٢. أن يكون البحث منسجمًا مع المجال المعرفي الذي ترعاه المجلة وتوجهها في نشر الأبحاث التي تختص بتفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم .
٣. أن لا يكون البحث منشورًا في مجلة، أو مقدمًا إلى آية وسيلة نشر أخرى، أو مستلًا من كتابٍ أو رسالةٍ جامعيّة، أو محملاً على الشبكة العنكبوتية .
٤. أن يكون البحث مبتكرًا في موضوعه، يُعالج قضايا تفسيريةً مهمّة تتلاءم مع المعطيات المعاصرة للحاجات المعرفية .
٥. يقدّم البحث مطبوعًا على ورق A4، وبنسخة إلكترونية على قرص مدمج (CD)، أو يُرسل على البريد الإلكتروني، على أن لا يتجاوز ما هو متعارف عليه علميًا بحدود (٥٠٠٠ - ١٠٠٠٠) كلمة، وبخط Simplified Arabic مع احتفاظ الباحث بنسخة الأصل .
٦. أن يحتوي البحث على ملخص باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلٌّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخص بحدود (٣٥٠) كلمة، مع مقدّمة ومباحث ونتائج، وفهرس مفصّل بالمصادر .
٧. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على اسم الباحث/ الباحثين، وعنوانه/ عناوينهم وجهة العمل، والعنوان الوظيفي، ورقم الهاتف، والبريد الإلكتروني مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث أو الباحثين في متن البحث أو أي إشارة إلى ذلك .

٨. يزود البحث بقائمة المصادر والمراجع منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر ومراجع أجنبية تُضاف قائمة خاصة بها عن قائمة المراجع والمصادر العربية، ويراعي في إعدادهما الترتيب الأبجائي لأسماء الكتب أو البحوث في المجالات.

٩. تُطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة ويُشار في أسفل الشكل إلى مصادرهما، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن .

١٠. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث ينشر في المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يشير إلى اسم آية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١١. تخضع البحوث المقدمة للنشر لتدقيق نسب الانتحال في ضوء أحد البرامج المعتمدة، والأنظمة المقررة من لدن وزارة التعليم العراقية.

١٢. تحتفظ هيئة التحرير بحق حجب نشر البحث الذي لا ينسجم مع سياسة المجلة في نشر تفسير النبي وأهل البيت عليهم السلام للقرآن الكريم حصراً، أو ما لا يتوافق مع منهج البحث العلمي أو الموضوعي، أو ما فيه مسّ لجوهر العقائد الإسلامية ورموزها الفكرية والدينية .

١٣. تعبر الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية صرفة.

١٤. تخضع البحوث لتقويم سري لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تُعاد البحوث إلى أصحابها سواء أُقبلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:
- أ- يبلغ الباحث بتسليم المادة المرسلة للنشر.
- ب- ثمَّ يُشعر أصحاب البحوث المقبولة للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها بعد إخضاعها إلى تقييم سري من ذوي الاختصاص .
- ج- البحوث التي يرى المقومون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة لكي يعملوا على التعديل في ضوئها، ثمَّ بعد ذلك تُرسل للنشر .
- د- البحوث المرفوضة يبلغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض .
- هـ- يشترط في قبول النشر موافقة خبراء الفحص .
١٥. ترسل البحوث على البريد الإلكتروني للمجلة:

[hudaalalthaqalein@gmail.com](mailto:hudaalalthaqalein@gmail.com)

أو تُسلَّم مباشرةً إلى مقر المجلة على العنوان الآتي:

كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية - دار القرآن الكريم

## سياسة النشر

تستقبل مجلة (هدى الثقليين) مشاركاتكم من الأبحاث الرصينة، والدراسات المبتكرة والبحوث العلمية الناتجة عن الندوات والمؤتمرات باللغتين العربية والإنكليزية؛ على وفق سياسة النشر الخاصة بها والمتمثلة بالآتي:

١- مجلة (هدى الثقليين) مجلة دورية مُحكَّمة نصف سنوية.

٢- المجلة مختصة بنشر الأبحاث المختصة بتفسير النبي ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

٣- تحتفظ المجلة بحقوق النشر والطبع كافة، وآراء المؤلفين الواردة جميعاً في البحث أو المادة العلمية تعبر عن وجهة نظرهم، ولا تُعدُّ المجلة مسؤولة عنها بالضرورة؛ استناداً لمبدأ استقلالية الرأي.

٤- المجلة غير ملزمة بردُّ أصول البحوث سواء نشرت أم لم تنشر، وفي حال سحب البحث من لدن الباحث فعليه الالتزام بردُّ تكاليف التحكيم وتكاليف برنامج الانتحال.

٥- أولوية نشر البحوث بحسب أسبقية الحصول على قبول النشر، ويستثنى من ذلك البحوث ذات السبق العلمي والمادة المبتكرة بعد ترشيح من هيئة التحرير.

٦- يشترط بالمادة العلمية المراد نشرها بالمجلة، أن لا تكون قد سبق نشرها في مجلة أو دورية أو مؤتمر علمي، بتعهد يقدمه الباحث، وبخلافه يتحمل الباحث المسؤولية القانونية وتكاليف التحكيم وبرنامج الاستلال كافة.

٧- يلتزم الباحث بعدم إرسال بحثه أو مادته العلمية إلى أي جهة أخرى لغرض النشر، حتى يصله رد المجلة بصلاحيته بحثه أو مادته العلمية للنشر من عدمه بمدّة لا تتجاوز ثلاثين يوماً من تاريخ استلام المجلة للبحث أو المادة العلمية، وبخلافه تحتفظ المجلة بحقوقها القانونية والمالية كافة.

- ٨- يتعيّن على الباحث أن يلتزم بشروط النشر المتاح على موقع المجلّة الإلكتروني الرسمي، ويتعهد بأنّه قد اطّلع عليها.
- ٩- يجب على الباحث مراعاة الأمانة العلميّة في البحث العلميّ والدراسة الأكاديميّة، وفي مقدّماتها أخلاقيّات البحث العلميّ وبنود لجنة أخلاقيات النشر (Committee On Publication Ethics) مثال ذلك، توثيق المراجع والمصادر والنصوص القانونيّة والعلميّة، ومراعاة الموضوعيّة والمنهجيّة في الكتابة، وبخلافه يتحمّل الباحث المسؤوليّة القانونيّة والإداريّة والماليّة الكاملة عن أيّ انتهاك أو تجاوز لهذه الأخلاقيّات طبقاً للقوانين والتعليمات الوطنيّة أو الدوّليّة، ومنها قانون حماية المؤلّف رقم (٣) لسنة ١٩٧١.
- ١٠- تخضع جميع البحوث العلميّة المراد نشرها بالمجلّة لتدقيق نسبة الانتحال (Plagiarism) ضمناً لعدم نشر البحوث مسروقة النّصّ جزئياً أو كلياً، وبخلافه يتحمّل الباحث المسؤوليّة القانونيّة والماليّة والإداريّة الكاملة.
- ١١- تخضع المادّة العلميّة التي تنشرها المجلّة للتحكيم الشفاف والمراجعة العلميّة المتخصّصة (Peer-reviewed process) فضلاً عن التدقيق اللغوي (لغة العربية واللغة الإنكليزية)، ويكون للمجلّة صلاحية الموافقة على النشر فيها من عدمه؛ استناداً إلى الآراء الأوليّة لهيأة تحرير المجلّة أو آراء المحكّمين المتخصّصين.
- ١٢- يقدّم الباحث مع البحث أو المادّة العلميّة المراد نشرها موجزاً بالسيرة العلميّة للباحث (نبذة تعريفية) مع بريده الإلكتروني الرسمي الذي ينتهي بامتداد (edu.iq) بالنسبة للسادة الباحثين العراقيين أو البريد الشخصي للباحث مع رقم الهاتف.
- ١٣- يُمنح كلّ باحثٍ نسخة ورقية من العدد المنشور فيه بحثه، ولا تتحمّل المجلّة أجور إرسال النسخة الورقيّة للباحث.
- ١٤- تعمل المجلّة على وفق آليّة النشر المفتوح وسياسته (Open Access).

- ١٥- تلتزم المجلة بمنح الباحث قبول النشر حين استكمال جميع المتطلبات الخاصة بالنشر من قبيل استكمال ملاحظات المحكمين والتعهد وغير ذلك.
- ١٦- تستقبل المجلة البحوث أو المادة العلمية المراد نشرها بالطرق الإلكترونية، ووسائل التواصل الخاصة برقم المجلة مثل الواتساب والتليگرام المتاحين على الموقع الرسمي للمجلة، أو يسلمها الباحث بصورة شخصية .

## نشاط المجلة

عمل دار القرآن الكريم في العتبة الحسينية المقدسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع العمل على دراسة تفسير النبي وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وقد بدأت الدار بهذا العمل منذ سنين عدة، فكان نتاجها مشاريع كثيرة أهمها إنتاج موسوعة أهل البيت عليهم السلام القرآنية، وقد بلغت ستين مجلداً، وهي بمجمليها وتفصيلها لم يسلم عليها الضوء ولم تعمل الأقلام فيها بحثاً، فكان النتاج بكرًا بالهيئة التي انتهت الدار إلى صياغتها، وحن الآن أن تُقنن تلك الجهود بمسارات علمية فتدخل تلك الثروة المعرفية إلى المؤسسات الأكاديمية والمراكز العلمية؛ لتأخذ حيزها على وفق الوسائل المعترف بها أكاديمياً والمسارات المتفق عليها منهجياً، ومن هنا شرعت الدار ببناء وسائل توازي الحاجات المعرفية وتتفق مع المعطيات المعاصرة، ومن تلك الوسائل العمل على استحداث مجلة (هدى الثقلين) وتحكيمها بعد تهيئة المادة العلمية للباحثين، وصولاً إلى الوعي التام بجهوزية البناء المعرفي، للإنطلاق بأول مشروع بكر في العالم الإسلامي، وهو مجلة علمية محكمة تُعنى بتفسير النبي وأهل بيته عليهم السلام.

### لماذا هدى الثقلين؟

هذا الاسم مستقى من حديث الثقلين الذي اتفقت الأمة الإسلامية على مضمونه، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي))، ومن هنا أريد لهذه المجلة أن تكون مصداقاً عملياً لتطبيق وصية الرسول صلى الله عليه وآله في التمسك بالقرآن الكريم والعترة الطاهرة، الذي يُنجي من الهلاك ويعصم من الضلال فكانت (هدى الثقلين).

يقول ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) في صدد بيان لفظه: (هَدَيْ) في اللغة إنَّ له أَصْلَيْنِ: ((أَحَدُهُمَا التَّقَدُّمُ لِإِرْشَادِهِ، وَالْآخَرُ بَعْتُهُ لَطْفًا، فَلِأَوَّلِ قَوْلِهِمْ: هَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ هِدَايَةً، أَي تَقَدَّمْتُهُ لِأُرْشَادِهِ))، وَكُلُّ مُتَقَدِّمٍ لِدَلِّكَ هَادٍ وَمَا نَزِيْدُهُ مِنْ لَفْظَةِ (هَدِي) فِي الْاسْمِ، هُوَ مَعْنَى (التَّقَدُّمُ لِإِرْشَادِهِ)، وَقَدْ قَدَّمَ الرَّسُولُ ﷺ الثَّقَلَيْنِ لِإِرْشَادِ الْأُمَّةِ، وَجَعَلَهُمَا الْعَاصِمَيْنِ مِنَ الضَّلَالِ: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ مَا إِن تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي))، أَمَّا الْمَقْصُودُ بِالثَّقَلَيْنِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ فَقَدْ نَصَّ اللَّغَوِيُّونَ عَلَى بَيَانِ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ الْأَزْهَرِيِّ (ت: ٣٧٠ هـ) فِي تَهْذِيْبِهِ قَالَ: ((فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ الثَّقَلَيْنِ فَجَعَلَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ ﷻ وَعِترته ﷺ))، وَيَبْنِي سَبَبَ تَسْمِيْتَهُمَا بِالثَّقَلَيْنِ الشَّيْخُ الصَّدُوقُ (ت: ٣٨١ هـ) بِمَا نَقَلَهُ فِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ بِقَوْلِهِ: ((لَأَنَّ التَّمَسُّكَ بِهِمَا ثَقِيلٌ)) وَيَبْنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْهَرَوِيُّ (ت: ٤٠١ هـ) فِي غَرِيبِهِ سَبَبًا آخَرَ بِقَوْلِهِ: ((إِعْظَامًا لِقُدْرَتِهِمَا وَتَفْخِيمًا لِسَانِهِمَا))، وَتَابَعَهُ ابْنُ الْأَثِيرِ (ت: ٦٠٦ هـ) فِي غَرِيبِهِ، وَالصَّنْعَانِيُّ (ت: ٦٥٠ هـ) فِي تَكْمِلَتِهِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ (ت: ٧١١ هـ) فِي لِسَانِهِ، وَمُرْتَضَى الرَّيْدِيُّ (ت: ١٢٠٥ هـ) فِي تَاجِهِ، أَمَّا سَبَبُ الْإِعْظَامِ وَالتَّفْخِيمِ لَهُمَا فَيُفَسِّرُهُ جَمَالُ الدِّينِ الْكُجْرَاتِيُّ (ت: ٩٨٦ هـ) فِي جَمْعِهِ بِقَوْلِهِ: ((إِذْ يَسْتَصْلِحُ الدِّينَ بِهِمَا وَيَعْمُرُ كَمَا عَمَرَتِ الدُّنْيَا بِالثَّقَلَيْنِ)) وَهَذَا مَا نَزِيْدُهُ مِنَ التَّسْمِيَةِ بِ (هَدِي الثَّقَلَيْنِ) أَي مُتَابَعَةَ إِرْشَادِهِمَا وَهَدْيِهِمَا، وَنَقَلَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ (ت: ٤٠٦ هـ) فِي مَجَازَاتِهِ تَعْلِيلًا آخَرَ بِقَوْلِهِ: ((إِنَّمَا سُمِّيَا بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمَا الْعِدَّتَانِ اللَّتَانِ يُعَوَّلُ فِي الدِّينِ عَلَيْهَا، وَيَقُومُ أَمْرُ الْعَالَمِ بِهِمَا)).

### لماذا التَّخْصُّصُ بِتَفْسِيرِ النَّبِيِّ وَأَهْلِ الْبَيْتِ ﷺ؟

جاء التَّخْصُّصُ مِنَ الْمَلَازِمَةِ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَالْعِتْرَةِ الَّتِي أَسَّسَهَا الرَّسُولُ ﷺ لِحِفْظِ الْأُمَّةِ مِنَ الضَّلَالِ، وَأَبَانَ لَهَا طَرِيقَ الْهَدَايَةِ الْعَاصِمِ مِنَ الْإِنْحِرَافِ بِوَصِيَّةٍ لَا نَسْتَبْعِدُ

الإعجاز في حفظها ورعايتها على نسق اتفقت الأمة الإسلامية بمختلف مشاربها على روايتها وصحتها؛ بل تواتر مضمونها وهي وصية رسول الله ﷺ بالتمسك بالثقلين وأنهما العاصمان من الضلال ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. وفي ضوء ما تقدم يُستبان أن القرآن الكريم والنبى الأكرم ﷺ بمعية أهل بيته ﷺ هما الطريقتان العاصمان من الضلالة، ولا يمكن لأحد أن يكون أكثر قرباً لكلام الله تعالى منهم بدليل نص الرسول المتقدم، ومن هنا فإنهم أساس انطلاق الوعي بالقرآن الكريم وفهم محتواه ومضامينه.

وهم نقطة التقاء المسلمين جميعاً؛ إذ لا خلاف في فضلهم وعلو مقامهم وعلمهم وأخذ الدين منهم، ومحبتهم وموالاتهم، بدليل احتواء كتب المسلمين على اختلاف انتماءاتهم بأحاديثهم ورواياتهم وسيرهم، وإطباقهم على تبجيلهم وتكريمهم. فضلاً عما سبق فإن هذا الحقل المعرفي (تفسير النبى وأهل بيته) لم يُسلط عليه الضوء بشكل يُناسب أهميته، وكذا لم تُفرد له مجلة علمية محكمة متخصصة في رصده ودراسته.

### حدود المجلة واهتماماتها:

تبنى مجلة (هدي الثقلين) دراسة تفسير النبى الأكرم وأهل بيته ﷺ للقرآن الكريم، ولا تتوقف عند حدود مدونات بعينها، وإنما تراقب آثارهم أينما وُجدت على نسق المعيار الذي أسسوه ﷺ، وهو عرض الأخبار الواردة عنهم على القرآن الكريم فما وافقه قبل وما لم يوافقه يُرد، وعلى أساس هذه الضابطة فإن المجلة تستقبل الدراسات التي تُعنى بتفسيرهم للقرآن الكريم من دون تحديد المدونات أو تصنيفها؛ لأننا قد راقبنا تفسير النبى وأهل بيته ﷺ فوجدناه متفرعاً من شمولية القرآن الكريم واتساعه؛ ليكون هدياً للإنسان في حياته وآخرته.

### الرؤية:

تفسير النبي وأهل بيته عليهم السلام ضرورة دينية وحاجة معرفية؛ لتلازمهما الشرعي والمعرفي بوصفهم عدل القرآن الكريم.

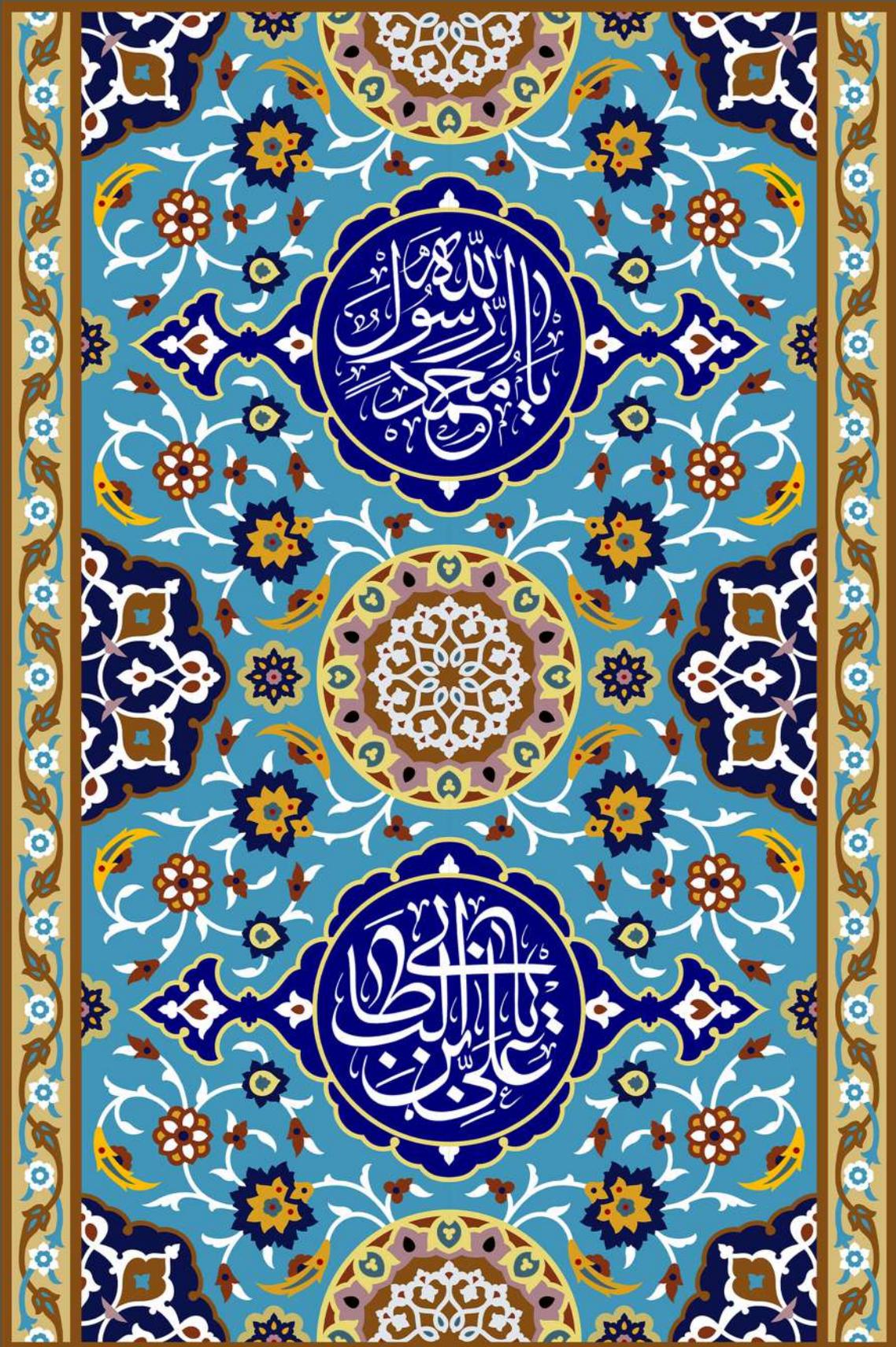
### الرسالة:

تسعى المجلة إلى دراسة تفسير النبي وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم على وفق المعايير الأكاديمية في المنهج العلمي الرصين مع الأصول الإسلامية ومبادئها الفكرية، وبما يتوافق مع الحاجات المعرفية المعاصرة؛ وبما يمكن التنبؤ به من حاجات معرفية مستقبلية فتحيي إجابات مسبقاً عن أهم تساؤلات المعرفة.

### الأهداف:

١. المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع المعرفة وتصحيح مساراته بنشر بحوث علمية رصينة محكمة من لدن خبراء متخصصين.
٢. تلبية حاجات الباحثين في مجال التفسير القرآني على المستويات المحلية والإقليمية والعالمية كافة.
٣. إضافة رصيد علمي متخصص لخدمة الباحثين وإثراء المعرفة في مجال التفسير القرآني.
٤. توثيق الصلات المعرفية ومد جسور التعاون بين المراكز البحثية والجامعات الأكاديمية؛ بغية الارتقاء بالمعرفة التفسيرية وإخراجها على نمط يوازي المتطلبات المعاصرة.
٥. بيان رؤية النبي وأهل بيته عليهم السلام للخطاب القرآني وأساليب تحليله، وأسس فهمه ومحددات الاجتهاد لمن يتصدى لتفسيره.

٦. العمل على إظهار تفسير النَّبِيِّ وأهل بيته عليهم السلام للقرآن الكريم، وجعله بوصلةً تنتظم عليه التفاسير الأخرى؛ بوصفهم عدل القرآن الكريم بنص الرسول صلى الله عليه وآله.
٧. بيان المعارف القرآنية التي فتق النَّبِيُّ وأهل بيته عليهم السلام معادنها، وأهمها تأسيسهم لحفظ القرآن وصيانة لغته من اللحن، والعمل على ديمومتها وحفظها من الزوال.
٨. الكشف عن جهود أهل البيت عليهم السلام وأثرهم في مدونات المسلمين وغيرهم ودراساتها على وفق رؤية علمية متخصصة.



# المحتويات

اسم الباحث	عنوان البحث	ص
أ.د خليل خلف بشير جامعة البصرة / كلية الآداب	المَلامحُ التفسيرية الرضوية في كتاب (كلمة الإمام الرضا <small>عليه السلام</small> ) لآية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي <small>رحمته الله</small>	٢٧
أ.د. أحمد الصفار جامعة مانشستر / بريطانيا	المنهج الفقهي في تفسير القرآن عند الإمام الجواد <small>عليه السلام</small>	٦٣
أم د: عباس نصيف جاسم كلية الإمام الكاظم <small>عليه السلام</small> الجامعة / أقسام بابل	دلالات مرويات أبان بن تغلب (ت: ١٤١هـ / ٧٥٨م) في العلوم الدينية دراسة تحليلية	٩٩
م.د سجاد هادي صاحب العنبي جامعة الكوفة / كلية الفقه	أثر أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> في بيان المنطلقات المعرفية لتفسير النص القرآني	١٤١
م.د. أحمد راضي جبر الشمري المديرية العامة للتربية في بابل	التأويل القرآني عند الإمام الهادي <small>عليه السلام</small> في الزيارة الجامعة الكبيرة	١٧٧

م. د ساجد صباح العسكري  
جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام  
فرع ذي قار

التفسير الموضوعي عند الإمام  
علي عليه السلام دراسة تأصيلية



م. د محسن عبد العظيم آل الشيخ  
هادي الخاقاني  
جامعة الكوفة / كلية التربية

المنظومة المعرفية لدى أمير المؤمنين عليه السلام  
وأثرها في بيان الإعجاز العلمي



د. صالح الطائي  
محافظة واسط / متقاعد

المنهج التفسيري عند آل البيت عليهم السلام



د. خالد غفوري الحسني  
جامعة المصطفى العالمية

تصنيف اقتراحي جديد للأدوار القرآنية  
التفسيرية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام  
قراءة تحليلية



م. د عماد طالب موسى الخزاعي  
المديرية العامة للتربية في محافظة  
كربلاء المقدسة

المرجعيات الحجاجية  
لإثبات ولاية أمير المؤمنين عليه السلام  
دراسة في ضوء تحليل الخطاب





قال الإمام الرضا (عليه السلام):  
(المراء في كتاب الله كُفْرًا)

وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ): ١٨ / ١٥٠



المَلَامِحُ التَّفْسِيرِيَّةُ الرِّضْوِيَّةُ فِي كِتَابِ (كَلِمَةِ الإِمَامِ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ) لآيَةِ  
اللَّهِ الشَّهِيدِ السَّيِّدِ حَسَنِ الحُسَيْنِيِّ الشِّيرَازِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

أ.د خليل خلف بشير  
جامعة البصرة / كلية الآداب

The Exegetical Features in the Book (Kalimat al-Imām al-Riḍā  
"peace be upon him") by Grand Ayatollah the Martyr Sayyid  
Ḥasan al-Ḥusayni al-Shīrāzī (may his secret be sanctified)

Prof. Dr. Khalīl Khalaf Bashīr  
University of Basra / College of Arts

## الملخص:

تتماهى كلمات الإمام الرضا (عليه السلام) تماهياً قرآنياً عجيباً، فتشعرك بالوحدة الموضوعية، وهو يوضح ويشرح ويرشد الناس إلى أمور حياتهم اليومية وكلماتهم المعنوية بتفسير كلمات القرآن أو أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلمات أبنائه الطاهرين، فحمل كلامه قمة البلاغة وروعة الأسلوب وجمال المعنى، فذهب الباحث لدراسة ذلك التماهي القرآني وكشف منظومة التفكير التفسيرية وملاحظها الفعلية الموجودة في تراثه، ووقع الاختيار على كتاب (كلمة الإمام الرضا) لآية الله الشهيد السيد حسن الحسيني الشيرازي (رحمته الله)، ووجد فيه مادة علمية وافية وموضوعات متنوعة، فسأط الضوء على هذه الملامح التفسيرية ممهداً للموضوع بمدخل وهو (علاقة الإمام الرضا (عليه السلام) بالقرآن)، ثم الانتقال إلى تلمس تلك الملامح التفسيرية في مباحث الكتاب المختلفة: (الإلهيات) و(النبويات)، و(الولائيات)، و(العقائد)، و(الأخلاق) و(العبادات)، و(الأحكام)، وبعد البحث في المحورية والمركزية القرآنية تجلّت مجموعة من النتائج منها: دلالة عمق ارتباط الإمام الرضا (عليه السلام) بالقرآن الكريم واهتمامه البالغ به، فكانت حياته بالقرآن ليلاً ونهاراً صباحاً ومساءً، متدبراً في المعاني واللطائف كاشفاً عن الحقائق والرقائق، وغير ذلك من علوم القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الملامح التفسيرية، الإمام الرضا (عليه السلام)، السيد حسن الحسيني الشيرازي (رحمته الله).

### Abstract:

The words of Imām al-Riḍā (peace be upon him) astonishingly merge with the Qur’an, making one feel their thematic unity, as he clarifies, explains, and guides people concerning matters of their daily lives and their spiritual perfections through interpreting the words of the Qur’an, the sayings of the Messenger (peace be upon him and his family), and the words of his pure descendants. His speech carried the peak of eloquence, the wonder of style, and the beauty of meaning. Therefore, the researcher went on to study this Qur’anic merging and uncover the system of exegetical thought and its actual features present in his heritage. The book (Kalimat al-Imām al-Riḍā) by Grand Ayatollah the Martyr Sayyid Ḥasan al-Ḥusayni al-Shīrāzī (may his secret be sanctified) was chosen, and it was found to contain extensive scholarly material and varied subjects.

The researcher sheds light on these exegetical features, introducing the topic with an entry titled “The Relationship of Imām al-Riḍā (peace be upon him) with the Qur’an,” then moving on to trace those exegetical features in the various topics of the book: “Theological Matters,” “Prophethood,” “Devotional Allegiance,” “Doctrines,” “Ethics,” “Acts of Worship,” and “Legal Rulings.”

After examining the Qur’anic centrality and focus, a number of conclusions became evident, among them: the indication of the depth of Imām al-Riḍā’s (peace be upon him) connection with the Holy Qur’an and his great concern for it; his life was with the Qur’an day and night, morning and evening—reflecting on its meanings and subtleties, uncovering its truths and delicacies, and other sciences of the Holy Qur’an.

**Keywords:** exegetical features, Imām al-Riḍā (peace be upon him), Sayyid Ḥasan al-Ḥusayni al-Shīrāzī.

## المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين  
محمد الصادق الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد.

فإنّ القرآن دستور حياة أنزله الله الخالق المبدع العظيم؛ ليفتح لنا أفقاً علميةً  
ومعرفيةً؛ لغرض التكامل والوصول إلى الدرجات العاليات التي خلق الإنسان  
من أجلها؛ ليكون خليفة الله في الأرض، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ  
خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فجاءت تفاصيل هذا الدستور لتشرح كيفية العمل، وماذا  
يجب على الإنسان أن يفعل ليصل إلى ذلك الكمال المرجو؟ وكان نعم من تحلّى  
بتلك الصفات العاليات الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وعلى رأسهم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله،  
وقد صرح القرآن الكريم بتلك الأخلاق السامية له؛ إذ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى  
خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وإنّ وظيفته صلى الله عليه وآله التطهير والتزكية والتعليم للوصول  
إلى الحكمة المبتغاة، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو  
عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]، وهو قبل ذلك  
كان خلقه القرآن إضافة إلى أنه: ((طَيْبٌ دَوَّارٌ بَطْبُهُ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى  
مَوَاسِمَهُ، يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبِ عُمِّيٍّ، وَأَذَانِ صُمٍَّّ، وَالسِّنَةِ  
بُكْمٍ، مُتَّبِعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ، وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ))<sup>(١)</sup>، وهذا وصف أمير  
المؤمنين له صلى الله عليه وآله، وهو وصف رائع لمعالجة العلل والأمراض النفسية التي  
تصيب الإنسان، ووصف للمعالج وهو رسول الله صلى الله عليه وآله، واستكمل هذه الرحلة  
التعليمية والعلاجية للمحتاجين للتكامل أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، فقد  
وصفهم الرسول صلى الله عليه وآله بأنهم عدل القرآن، وأنهم لن يفترقا عنه حتى يردا على رسول  
الله صلى الله عليه وآله الحوض<sup>(٢)</sup>، فكانوا القرآن الناطق بحق، والمفسر، والمؤول له بكلّ

(١) نهج البلاغة: كلام أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله جمعه الشريف الرضي: ١/ ٢٠٧.

(٢) ينظر: بحار الأنوار: ٢/ ٢٢٦.

جزئياته وتفصيله، احتكموا إليه، واستشهدوا فيه، ومثّلوه أعلى درجات التمثّل، ومنهم سيدي ومولاي الإمام الرضا عليه السلام الذي درسته مفسراً للقرآن الكريم؛ لما وجدت له من تراث قرآني ثرّ.

والناظر لكتاب (كلمة الإمام الرضا عليه السلام) لآية الله الشهيد السيّد حسن الحسيني الشيرازي رحمته الله يجد ملامح تفسيرية للقرآن الكريم أدلى بها الإمام الرضا عليه السلام في موضوعات متنوّعة، وقد حاولت تسليط الضوء على هذه الملامح التفسيرية ممهداً للموضوع بمدخل سمّيته (علاقة الإمام الرضا عليه السلام بالقرآن)، ثمّ انتقلت إلى وجود هذه الملامح التفسيرية في مباحث الكتاب، وهي: (الإلهيات) و(النبويات)، و(الولائيات)، و(العقائد)، و(الأخلاق)، و(العبادات)، و(الأحكام) خانماً الموضوع بخاتمة أبرزت فيها أهمّ نتائجه، والله الموفّق.

## التمهيد: علاقة الإمام الرضا عليه السلام بالقرآن

ارتباط الإمام الرضا عليه السلام بالقرآن الكريم كان كبيراً وعظيماً؛ إذ كان يقضي ليله ونهاره معه، في التأمل في معانيه وتدبر لطائفه، وكان يختمه في كل ثلاثة أيام، وكان كل كلامه وجوابه انتزاعات من القرآن<sup>(١)</sup>، فهو القائل: ((لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاثة لختمت؛ ولكنني ما مررت بآية قط إلا فكرت فيها، وفي أي شيء أنزلت، وفي أي وقت؟ فلذلك صرت أختم في كل ثلاثة أيام))<sup>(٢)</sup>، وهو الواصف للقرآن الكريم بقوله: ((هو جبل الله المتين، وعروته الوثقى، وطريقته المثلى، المؤدّي إلى الجنّة، والمنجي من النار لا يخلق على الأزمنة، ولا يغث على الألسنة؛ لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان؛ بل جعل دليل البرهان والحجّة على كل إنسان، قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]<sup>(٣)</sup>، وكان الإمام الرضا عليه السلام يوصي أصحابه بالعناية به، ومن جملتهم ريان، وقد أشار إليه أنّ الهداية منحصرة في القرآن: ((عن الريان بن الصلت، قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله لا تتجاوزوه، ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا))<sup>(٤)</sup>، وروي عنه عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ المروة في تلاوة القرآن قال: ((سته من المروة، ثلاثة منها في الحضر، وثلاثة منها في السفر، فأما التي في الحضر: فتلاوة القرآن، وعمارة المسجد، واتخاذ الإخوان، وأما التي في السفر: فبذل الزاد، وحسن الخلق، والمزاح في غير معاصي الله))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: العترة والقرآن: ١٥١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٩٣/٢.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٣٨/٢، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ٦٠.

(٤) التوحيد، الشيخ الصدوق: ٢٢٤.

(٥) جواهر الكلام: ٣٠٤/١٣.

وفي قراءة القرآن بالصوت الحسن روي عنه عليه السلام ((عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حَسَّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ، فَإِنَّ الصَّوْتِ الْحَسَنَ يَزِيدُ الْقُرْآنَ حَسَنًا))<sup>(١)</sup>.

وورد عنه عليه السلام في الدعوة إلى كثرة قراءة القرآن في شهر رمضان المبارك قوله: ((وأكثر في هذا الشهر المبارك من قراءة القرآن، والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله، وكثرة الصدقة، وذكر الله في آناء الليل والنهار، وبرّ الإخوان وإفطارهم معك بما يمكنك، فإنّ في ذلك ثواب عظيم وأجر كبير))<sup>(٢)</sup>.

وفي نسخ الفقه الرضوي في سياق مناسك الحج روي عنه عليه السلام في استحباب ختم القرآن في مكة قوله: ((فإنّ قدرت أن لا تخرج من مكة حتّى تختم القرآن فافعل، فإنّه يُستحب ذلك))<sup>(٣)</sup>.

وكان عليه السلام يُطبّق القرآن تطبيقاً فعلياً وعملياً على نفسه، فيعكس في سلوكه وتصرفاته، فإذا جيء له بالطعام يختار أفضل ما فيه ليوزّعه على المساكين والمحتاجين، فقد روي عنه ((إذا أكل أتي بصحفة فتوضع قرب مائدته فيعمد إلى أطيب الطعام ممّا يورثى به، فيأخذ من كلّ شيء شيئاً فيضع في تلك الصحفة، ثمّ يأمر بها للمساكين، ثمّ يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ \* وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾ [البلد: ١٢، ١١]، ثمّ يقول: علم الله ﷻ أنّه ليس كلُّ إنسانٍ يقدر على عتق رقبة فجعل لهم السبيل إلى الجنة))<sup>(٤)</sup>، وبعبارة أخرى: مَنْ أَرَادَ اقْتِحَامَ الْعَقَبَةِ فليجعل له سبيلاً إلى الجنة بالصدقة، فأعطى الإمام عليه السلام طريقة ثانية لـ ﴿اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

وكذا يروى أنّ القميص الذي أهدها إلى الشاعر دعبل الخزاعي قد صلّى فيه ألف ليلة ألف ركعة، وختم فيه القرآن ألف ختمة. ذكر الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)

(١) بحار الأنوار: ٧٦/٢٥٥.

(٢) فقه الرضا عليه السلام: ٢٠٧.

(٣) مستدرک الوسائل: ٤/٢٦٧.

(٤) الوافي: ١٠/٥٠٧.

عن أخ ((دعبل بن علي الخزاعي)) ... قال: حدثنا سيدي أبو الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بطوس سنة ثمان وتسعين ومائة، وفيها رحلنا إليه على طريق البصرة... ورحلنا إلى سيدي أنا وأخي دعبل، فأقمنا عنده إلى آخر سنة مائتين، وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيدي أبو الحسن الرضا (عليه السلام) على أخي دعبل قميصاً خزاً أخضر وخاتماً فضه عقيق، ودفع إليه دراهم رضوية، وقال له: يا دعبل، صر إلى قم فإنك تفيد بها فقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صلّيت فيه ألف ليلة ألف ركعة، وختمت فيه القرآن ألف ختمة))<sup>(١)</sup>.

وقد شاع في زمنه انعقاد مجالس يجتمع فيها عدد من شباب المسلمين، يقرؤون القرآن، ويسمّون جلستهم بـ(ليلة مع القرآن) فيفتخرون بكونهم مع القرآن في ليلة من الليالي<sup>(٢)</sup>، وكان (عليه السلام) يُعلم المؤمنين كيفية التعامل مع القرآن أو مع الدعاء؛ إذ ((يبدأ في دعائه بالصلاة على محمد وآله، ويكثر من ذلك في الصلاة وغيرها، وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن، فإذا مرّ بآية فيها ذكر جنّة أو نار بكى، وسأل الله الجنّة وتعوذ به من النار، وكان (عليه السلام) يجهر بيسم الله الرحمن الرحيم في جميع صلواته بالليل والنهار))<sup>(٣)</sup>. ومن دلائل تمسك الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) بالقرآن الكريم واهتمامه بهذا الكتاب العزيز، أنّه كان يستدل بالأحكام الفقهية بالآيات القرآنية وبكتاب الله جلّ شأنه، من ذلك<sup>(٤)</sup>:

١- أنّه استدللّ على حرمة الغناء بالآية الشريفة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦]، ﴿لَهُوَ الْحَدِيثُ﴾ عنده الغناء، وفيه ضلالة عن طريق الله، ومن ضلّ عن طريق الله حتماً يكون له العذاب المهين.

(١) الأمالي، الطوسي: ٣٦٠.

(٢) ينظر: العترة والقرآن: ١٥١.

(٣) مسند الإمام الرضا (عليه السلام): ٤٤ / ١.

(٤) السيرة القرآنية للإمام الرضا (عليه السلام): ١١ / ١.

٢- واستدلّ على حرمة أكل مال اليتيم بهذه الآية المباركة: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]، أي: اجعل نفسك بدلاً عن المتوفى وافرض نفسك أب لأولئك الأيتام حتماً ستخاف عليهم، فاتق الله في أبناء الآخرين من الأيتام.

٣- واستدلّ على جواز تصرف الأب في أموال الابن من دون إذنه بهذه الآية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]؛ لأنّ الأبناء هبة من الله هم وما يملكون.

٤- واستدلّ على جواز قبول الولاية من الحاكم الجائر، بآية ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]؛ لأنّ الولي له حكم وقدرة التصرف حين استلام دوره ومنصبه.

٥- واستدلّ على وجوب اليقين بأنّ الله هو الرزاق وهو الحافظ للرزق بقوله تعالى ﴿وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

ولعلّ آخر ما تكلم به الإمام الرضا عليه السلام إنّ الموت أمر حتمي قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]<sup>(١)</sup>، ولا عجب في ذلك، فقد كان حليف القرآن وقرينه بالليل والنهار؛ إذ إنّ ما يظهر على اللسان في حال النزاع والاحتضار هو ما دارت عليه شخصية الإنسان المعنوية<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٦٧.

(٢) ينظر: العترة والقرآن: ١٥٦.

## المطلب الأوَّل: الملامح التفسيرية الرضوية في الإلهيات

الناظر إلى مبحث الإلهيات في كتاب كلمة الإمام الرضا عليه السلام يجد كثيراً من اللمسات التفسيرية للإمام عليه السلام، ومن ذلك:

١- أجاب الإمام الرضا عليه السلام بآيتين للدلالة على سؤال الزنديق؛ إذ خاطبه على مقدار عقله، حين سأله: ((هل يقال لله: إنه شيء؟ فقال: نعم وقد سمى نفسه بذلك في كتابه فقال: **﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾** [الأنعام: ١٩]، فهو شيء **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾** [الشورى: ١١])<sup>(١)</sup>.

٢- وفي حثه على قراءة سورة التوحيد يقول: ((كلُّ مَنْ قرأ: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾** [التوحيد: ١] وآمن بها فقد عرف التوحيد، قلت كيف يقرؤها؟ قال: كما يقرؤها الناس، وزاد فيها: كذلك الله ربِّي))<sup>(٢)</sup>، وحثَّ الإمام ربما؛ لأنَّ سورة الإخلاص تمثِّل قَمَّةَ التوحيد، وهو توحيد قرآني خاص تنبني على أساسه كلُّ المعارف الإسلامية، وفي جميع اتجاهات التوحيد؛ إذ ((السورة تصفه تعالى بأحدية الذات ورجوع ما سواه إليه في جميع حوائجه الوجودية من دون أن يشاركه شيء، لا في ذاته ولا في صفاته، ولا في أفعاله))<sup>(٣)</sup>.

٣- وفي سؤال المأمون له عليه السلام عن قول الله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾** [هود: ٧]، قال: ((إنَّ الله تبارك وتعالى خلق العرش والماء والملائكة قبل خلق السماوات والأرض، وكانت الملائكة تستدلُّ بأنفسها وبالعرش والماء على الله تعالى، ثم جعل عرشه على الماء ليظهر بذلك قدرته للملائكة فيعلموا أنَّه على كلِّ شيء قدير، ثم رفع العرش بقدرته ونقله فجعله فوق السماوات السبع، وخلق السماوات والأرض

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/ ١٢٢، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ٥٢.

(٢) الوافي: ١/ ٣٦٩، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ٥٣.

(٣) الميزان: ٢٠/ ٤٤٨.

في ستة أيّام، وهو مستولٍ على عرشه، وكان قادرًا على أن يخلقها في طرفة عين؛ ولكنّه ﷺ خلقها في ستة أيّام ليظهر للملائكة ما يخلقه منها شيئًا بعد شيء، وتستدلّ بحدوث ما يحدث على الله تعالى ذكره مرّة بعد مرّة، ولم يخلق الله العرش لحاجة به إليه؛ لأنّه غنيّ عن العرش وعن جميع ما خلق، لا يوصف بالكون على العرش؛ لأنّه ليس بجسم، تعالى الله عن صفة خلقه علوًّا كبيرًا. وأمّا قوله ﷺ: ﴿لِيَلْبُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾، فإنّه ﷺ خلق خلقه ليلوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة؛ لأنّه لم يزل عليماً بكلّ شيء، فقال المأمون: فرجت عنّي يا أبا الحسن فرج الله عنك))<sup>(١)</sup>، فالله الخالق والمدبّر والعالم وكلّ صفات الجمال والجلال له، وقد أوضح ذلك بأسلوب سهل واضح، ويبدو أنّه بين الأمور الغيبية والأخبار المرتبطة بأصل نشأة الخلق ومعرفة الوجود، فقد كانت هناك إشارات في بعض الآيات إلى مباحث الخلقة؛ وضّحتها بعض الروايات.

وفي سؤال وجه إليه ﷺ: أيعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون؟ فقال: ((إنّ الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]، وقال لأهل النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]، فقد علم الله ﷻ أنّه لو ردّهم لعادوا لما نهوا عنه، وقال للملائكة لما قالت: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، فلم يزل الله ﷻ علمه سابقًا للأشياء قديمًا قبل أن يخلقها، تبارك الله ربّنا وتعالى علوًّا كبيرًا، خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء، كذلك الله لم يزل ربًّا عالمًا سميعًا بصيرًا))<sup>(٢)</sup>، والملاحظ أنّه ﷺ استند إلى القرآن الكريم في جوابه عن معرفة الله بالأشياء قبل كونها.

(١) التوحيد: ٣٢٠، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷺ: ٥٤-٥٥.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ٥/ ٣١، وينظر كلمة الإمام الرضا ﷺ: ٥٤.

## المطلب الثاني: الملامح التفسيرية الرضوية في النبويات

وفي مبحث النبويات من كتاب (كلمة الإمام الرضا) تتجلى الملامح التفسيرية القرآنية الواردة عن الإمام الرضا، من ذلك مثلاً العصمة: وهي أمرٌ إلهي حتمي لمن كان نبياً أو مرسلًا أو وليًّا لئلا يقع الخطأ في تبلغه وتمثيله للشريعة؛ واستنادًا إلى إمكاناتهم عصمهم الله تعالى بالامتناع عن فعل القبائح والتنزُّه عنها، والعصمة تحفظ النبي أو الولي من الاعتقادات الباطلة والأعمال السيئة، وهي لطف من ألطاف الله سبحانه وتعالى<sup>(١)</sup>، وخلاصة الفكرة أنَّ ((العصمة وجود أمر في الإنسان المعصوم يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ أو المعصية))<sup>(٢)</sup>، وقد دافع الإمام عنها بصفاتها عقيدة من عقائده؛ مثل دفاعه عن عصمة النبي يوسف في ردِّه على المأمون في سؤاله عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، فقال الرضا: ((وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ لهمَّ بها كما همَّت؛ لكنه كان معصومًا والمعصوم لا يهَّمُّ بذنب ولا يأتيه، ولقد حدَّثني أبي عن أبيه الصادق أنه قال: همَّت بأن تفعل، وهمَّ بأن لا يفعل))<sup>(٣)</sup>، فالثابت هو تنزيه الأنبياء عن الأفعال التي لا يتناسب مع مقام النبوة، فهُمَّه بعدم الفعل لا بالفعل كما يذهب المخالف، فيوسف ((كان نبياً ذا عصمة إلهية تحفظه من المعصية، وقد ... أوردته الله تعالى من كرائم صفاته وإخلاص عبوديته لا يبقى شكاً في أنه أظهر ساحة وأرفع منزلة من أن ينسب إليه أمثال هذه الألواث، فقد ذكر تعالى أنه من عباده الذين أخلصهم لنفسه واجتباهم لعبوديته، وآتاهم حكماً وعلماً، وعلّمه

(١) ينظر: مجمع البيان لعلوم القرآن: ٤٣٤/٥، والميزان: ٣١٨/١٦.

(٢) الميزان: ١٣٦/٢.

(٣) عيون أخبار الرضا: ١٧٩/١.

من تأويل الأحاديث، وأنه كان عبداً متقياً صبوراً في الله غير خائن ولا ظالم ولا جاهل، وكان من المحسنين... وكيف يستقيم هذه المقامات العالية والدرجات الرفيعة إلا للإنسان طاهر في وجدانه، منزّه في أركانه، صالح في أعماله، مستقيم في أحواله<sup>(١)</sup>، وكذا جوابه عن سؤال المأمون عن قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]؛ إذ قال ﷺ: ((لم يكن أحد عند مشركي أهل مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً، فلما جاءهم ﷺ بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم، وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلْهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ \* وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ \* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَةِ الْأَخِيرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ [ص: ٥-٧]، فلما فتح الله ﷺ على نبيه ﷺ مكة قال له يا محمد: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ \* مكة ﴿فَتْحًا مُبِينًا﴾ \* لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر؛ لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة، ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذا دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم، ذلك مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون: لله درك أبا الحسن فأخبرني عن قول الله ﷻ: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾؟ قال الرضا ﷺ: هذا مما نزل بإيّاك أعني واسمعي يا جارة<sup>(٢)</sup>، خاطب الله ﷻ بذلك نبيه وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى: ﴿لِيَحْبَطَنَّ

(١) الميزان: ١١/١٣٤.

(٢) المثل لسيار بن مالك الفزاري قاله لأخت حارثة بن لأم الطائي، وذلك أنه نزل بها فنظر إلى بعض محاسنها فوهيها واستحيا أن يخبرها بذلك، فجعل يشبب بامرأة غيرها، فلما طال ذلك وضاق ذرعاً بما يجد وقف لها فقال:

كانت لنا من غطفان جاره \* حلاله ظعانة سيّارة

كأنّها من هيئة وشاره \* والحلي حلى التبر والحجارة

مدفع ميثاء إلى قراره \* إيّاك أعني فاسمعي يا جارة. ينظر: جهرة الأمثال: ١/٢٩.

**عَمَلَكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ** [الزمر: ٦٥]، وقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: **﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرَكُنَّ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾** [الإسراء: ٧٤]، قال: صدقت يا بن رسول الله))<sup>(١)</sup>، ففي الآية الأولى التي في فرض السؤال ومغفرة الذنب فيما عدَّ عليك ذنبًا، بمعنى أن أهل قريش عدُّوا محاربتك ورفضك للأصنام ذنبًا وواقعا وفعلا لا ذنب عليك، وكذلك الآيات الأخر فهو لا ذنب عليه وإنما ذنوب قومه، والله يعفو عنهم كرامة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لذا قال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ هي من باب (إيَّاك أعني واسمعي يا جارة)، صحيح المخاطب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لكن المعني غيره. وكذلك كان الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ يحوّل كلَّ موقف من مواقف حياته باتجاه القرآن الكريم، فعندما سُئل عن قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أنا ابن الذبيحين))<sup>(٢)</sup> كان جوابه قرآنيًا؛ إذ ورد عن الأسدي، عن علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه قال: سألت أبا الحسن الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ عن معنى قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أنا ابن الذبيحين))؟ قال: يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وعبد الله بن عبد المطلب، أمّا إسماعيل فهو الغلام الحليم الذي بشر الله تعالى به إبراهيم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ **﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ﴾** [الصفوات: ١٠٢]، وهو لمّا عمل مثل عمله **﴿قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي آرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا آبَتِ افْعَلِي مَا تَأْمُرُ﴾**، ولم يقل له: يا أبت افعل ما رأيت **﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾**، فلمّا عزم على ذبحه فداه الله تعالى بذبح عظيم بكبش أملح. يأكل في سواد، ويشرب في سواد، وينظر في سواد، ويمشي في سواد ويبول ويبعر في سواد، وكان يرتع قبل ذلك في رياض الجنة أربعين عامًا، وما خرج من رحم أنثى، وإنما قال الله عَلَيْهِ السَّلَامُ له: كن فكان، ليفدي به إسماعيل، فكلُّ ما يذبح بمنى فهو فدية لإسماعيل إلى يوم القيامة، فهذا أحد الذبيحين، وأمّا الآخر فإنَّ عبد المطلب كان تعلق بحلقة باب الكعبة

(١) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١/ ١٨٠، وينظر: كلمة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٦٩-٧٠.

(٢) الخصال: ٥٥.

ودعا الله ﷻ أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله ﷻ أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته (...))<sup>(١)</sup>، فتفسيره ﷻ لقول النبي ﷺ كان مستنداً إفي القرآن وفي آيات عدة، وهو ما يظهر ملكة التفسير الراسخة عنده؛ إذ هو عدل القرآن وترجمانه.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَذَا التُّونِ إِذ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] سأل المأمون الرضا ﷺ عنها، فقال ﷺ: ((ذلك يونس بن متى ﷻ ذهب مغاضباً لقومه ﴿فَظَنَّ﴾ بمعنى استيقن، ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾، أي: لن نضيق عليه رزقه، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦] أي: ضيق عليه فقتر، ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظلمة الليل، وظلمة البحر، وبطن الحوت ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بتركي مثل هذه العبادة التي قد فرغتنى لها في بطن الحوت فاستجاب الله له، وقال ﷻ: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ \* لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] ((١٤٤))<sup>(٢)</sup>، ذهب العلماء في مثل هذه الآية إلى أن يونس ﷻ خالف الأولى<sup>(٣)</sup>، وهو عدم الخروج، والخروج مباح؛ لذا استوجب العتاب وبعض التضييق، وهو لرفع الدرجات بالنسبة إلى الأولياء، ((فالبلايا والمحن التي يتلى بها الأولياء من التربية الإلهية التي يربهم بها ويكملهم، ويرفع درجاتهم بسببها وإن كان بعضها من جهة أخرى مؤاخذه ذات عتاب، وقد قيل البلاء للولاء))<sup>(٤)</sup>؛ لذا حصل على التفريج عنه عندما توجه لله توجهاً تاماً ونجاه الله من كل غمٍ وضيق، في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨]

(١) بحار الأنوار: ١٥ / ١٢٩، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷻ: ٦٧-٦٨.

(٢) بحار الأنوار: ١٤ / ٣٨٧، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷻ: ٦٦-٦٧.

(٣) ينظر: الانتصار: ٤ / ٨٠.

(٤) الميزان: ١٧ / ١٧١.

فأنبياء الله معصومون، وعصمتهم تشمل جميع الدرجات، الكبائر والصغائر. وقد جاء ذلك في ((القرآن الكريم فإنه ينزه ساحتهم عن لوث المعاصي حتى الصغائر، فما ورد فيه مما يوهم ذلك يُحمل على أحسن الوجوه بهذه القرينة الموجبة، ولذا حملنا قوله: ﴿إِذْ أَبَقَ﴾، وقوله: ﴿مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ﴾ على حكاية الحال وإيهام فعله))<sup>(١)</sup>، وهو ما عبَّر عنه بترك الأولى.

ويلاحظ أن الإمام الرضا عليه السلام فسَّر القرآن بإرجاع الألفاظ إلى معانيها، فوقف عند لفظتي (ذا النون) التي تعني صاحب الحوت، وفسَّره بالنبي يونس بن متى عليه السلام فضلاً عن تفسيره لفظة (نقدر) بمعنى (نضيّق)، مستعيناً بآية أخرى من سورة مختلفة، ناهيك عن تفسير الظلمات الثلاثة، بظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت.

(١) الميزان: ١٧ / ١٧١.

## المطلب الثالث: الملامح التفسيرية الرضوية في الولايات

وهي الأمور المختصة بولاية أمير المؤمنين وأولاده عليهم السلام، ونرصد الملامح التفسيرية للقرآن الكريم عند الإمام الرضا عليه السلام بالآتي:

سأل المأمون الإمام الرضا عليه السلام عن أكبر فضيلة لأمر المؤمنين عليهم السلام دلَّ عليها القرآن، فأجاب ((فضيلته في المباهلة، قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] فدعا رسول الله ﷺ الحسن والحسين عليهما السلام، فكانا ابنيه ودعا فاطمة عليها السلام، فكانت في هذا الموضع نساءه ودعا أمير المؤمنين عليه السلام فكان نفسه بحكم الله ﷻ، وقد ثبت أنه ليس أحد من خلق الله سبحانه أجلَّ من رسول الله ﷺ وأفضل فوجب أن لا يكون أحد أفضل من نفس رسول الله ﷺ بحكم الله ﷻ، قال: فقال له المأمون: أليس قد ذكر الله الأبناء بلفظ الجمع، وإنما دعا رسول الله ﷺ ابنيه خاصة، وذكر النساء بلفظ الجمع، وإنما دعا رسول الله ﷺ ابنته وحدها، فلم لا جاز أن يذكر الدعاء لمن هو نفسه، ويكون المراد نفسه في الحقيقة دون غيره فلا يكون لأمر المؤمنين عليهم السلام ما ذكرت من الفضل؟ قال: فقال له الرضا عليه السلام: ليس بصحيح ما ذكرت يا أمير المؤمنين، وذلك أن الداعي إنما يكون داعياً لغيره كما يكون الأمر أمراً لغيره، ولا يصح أن يكون داعياً لنفسه في الحقيقة كما لا يكون أمراً لها في الحقيقة، وإذا لم يدع رسول الله ﷺ رجلاً في المباهلة إلا أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ثبت أنه نفسه التي عنها الله تعالى في كتابه، وجعل حكمه ذلك في تنزيهه، قال: فقال المأمون: إذا ورد الجواب سقط السؤال))<sup>(١)</sup>.

(١) الفصول المختارة: ٣٨، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ٧٢-٧٣.

لقد استدللَّ الإمام الرضا عليه السلام للمؤمن بآية المباهلة، ولعلَّ وجه الاستدلال<sup>(١)</sup>:  
 ١- أن الآية المباركة نصُّ في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنَّها تدلُّ على المساواة  
 بين النبيِّ وبينه عليه السلام، ومساوي الأكمل الأولى بالتصرف، أكمل وأولى بالتصرف.  
 ٢- أن قضية المباهلة وما كان من النبيِّ صلى الله عليه وآله، قولاً وفعلاً تدلُّ على أفضليَّة أمير  
 المؤمنين عليه السلام، وذلك لوجوه منها<sup>(٢)</sup>:

أولاً: أن هذه القضية تدلُّ على أنَّ علياً وفاطمة والحسين عليهم السلام، أحبَّ الناس  
 إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، والأحبيَّة تستلزم الأفضليَّة، وقد اعترف المحققون من أهل  
 السنَّة بالدلالة هنا على الأحيَّة.

وثانياً: دلالة فعل النبيِّ صلى الله عليه وآله إذ باهل خصومه بعليٍّ وفاطمة وحسن  
 فقط، ولم يدعُ واحدةً من أزواجه، ولا واحداً من بني هاشم، ولا امرأةً من  
 أقربائه... فضلاً عن أصحابه وقومه... فإنه يدلُّ على عظمة الموقف، وجلالة  
 شأن هؤلاء عند الله دون غيرهم، إذ لو كان لأحدهم في المسلمين مطلقاً نظير،  
 لم يكن لتخصيصهم بذلك وجه.

وثالثاً: دلالة قوله صلى الله عليه وآله لأهل البيت عليهم السلام، لما أخرجهم للمباهلة: ((إذا أنا  
 دعوت فأمنوا))<sup>(٣)</sup>.

فقال أسقفهم: ((إني لأرى وجوهاً لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه  
 لأزاله، فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة))<sup>(٤)</sup>.  
 فإنَّ ذلك يدلُّ على أنَّ لهم دخلاً في ثبوت نبوته وصدق كلامه، وفي إذلال

(١) <https://al-milani.com/library/lib-pg.php?booid=14&mid=135&pgid=1752>

(٢) الرابط نفسه.

(٣) بحار الأنوار: ٢١ / ٢٨١.

(٤) م. ن: ٢١ / ٢٧٧.

الخصوم وهلاكهم لو باهلوا... فكان لهم الأثر الكبير والسهم الجزيل في نصره  
الدين ورسول رب العالمين، ولا ريب أن من كان له هذا الشأن في المباهلة كان  
أفضل ممن ليس له ذلك.

٣- في فضل العترة الطاهرة: فيما احتجّ الرضا عليه السلام على علماء العامة في  
فضل العترة الطاهرة ((أنه سأل العلماء فقال: أخبروني عن قول الله ﷻ: ﴿يَسْ  
وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ \* إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ \* عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يس: ١- ٤]  
فمن عنى بقوله: ﴿يَسْ﴾؟ قالت العلماء: يس: محمد ﷺ لم يشك فيه أحد، قال  
أبو الحسن عليه السلام: فإن الله ﷻ أعطى محمدًا وآل محمد من ذلك فضلًا لا يبلغ أحد كنه  
وصفه إلا من عقله، وذلك أن الله ﷻ لم يسلم على أحد إلا على الأنبياء (صلوات  
الله عليهم)، فقال تبارك وتعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ٧٩]،  
وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفات: ١٠٩]، وقال: ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى  
وَهَارُونَ﴾ [الصفات: ١٢٠]، ولم يقل: سلام على آل نوح، ولم يقل: سلام على  
آل إبراهيم، ولا قال: سلام على آل موسى وهارون، وقال ﷻ: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ  
يَاسِينَ﴾ [الصفات: ١٣٠]، يعني: آل محمد صلوات الله عليهم))<sup>(١)</sup>، وقد ورد  
عن ((الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه، عن علي عليه السلام، في قوله ﷻ:  
﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِهِ وَسَلَّمَ﴾، قال: ياسين: محمد ﷺ، ونحن آل ياسين))<sup>(٢)</sup>، وقال ابن  
كثير: ((ومن قرأ سلام على آل ياسين، أي: على آل محمد))<sup>(٣)</sup>.

٤- التصديق بالحسنى: ((عن البرزطي، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول في  
تفسير ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ [الليل: ١] قال: إن رجلاً من الأنصار كان لرجل في  
حائط نخلة وكان يضربه، فشكا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعاه فقال: أعطني

(١) بحار الأنوار: ١٦٧/٢٣.

(٢) الأمالي، الطوسي: ٥٥٨، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ٨١-٨٢.

(٣) البداية والنهاية: ١/٣٩٦، والقراءة في كتاب (التيسير في القراءات السبع: ١٥١).

نخلتك بنخلة في الجنة فأبى فبلغ ذلك رجلاً من الأنصار يكنى أبا الدحداح جاء إلى صاحب النخلة فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: فقال له رسول الله ﷺ: يا رسول الله قد اشتريت نخلة فلان بحائطي، قال: فقال له رسول الله ﷺ: فلك بدلها نخلة في الجنة، فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى \* إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَى \* فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى - يعني النخلة - وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٣-٦] بوعد رسول الله ﷺ ﴿فَسَيُسْرَهُ لِيُسرَى﴾ [الليل: ٧]]<sup>(١)</sup>، فقد أوضحت لنا قصة أبي الدحداح الذي تصدق بحائطه للرجل الذي أبى أن يبدلها بنخلة في الجنة للنبي ﷺ أن غرض السورة الإنذار ((وتسلك إليه بالإشارة إلى اختلاف مساعي الناس، وأن منهم من أنفق واتقى وصدق بالحسنى فسيمكته الله من حياة خالدة سعيدة، ومنهم من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسيسلك الله به إلى شقاء العاقبة، وفي السورة اهتمام وعناية خاصة بأمر الإنفاق المالي))<sup>(٢)</sup>.

٥- وفي تفسير قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥] قال ﷺ: ((نحن نور لمن تبعنا، وهدى لمن اهتدى بنا، ومن لم يكن منّا فليس من الإسلام في شيء، بنا فتح الله الدين وبنا يختمه، بنا أطعمكم الله عشب الأرض، وبنا أنزل الله قطر السماء، وبنا آمنكم من الغرق في بحركم، ومن انخسف في بركم، وبنا نفعكم الله في حياتكم، وفي قبوركم، وفي محشركم، وعند الصراط، وعن الميزان، وعند دخول الجنان، ومثلنا في كتاب الله، كمثل

(١) بحار الأنوار: ٢٢ / ١٠١، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷺ: ٨٠-٨١.

(٢) الميزان: ٢٠ / ٣٤٣-٣٤٤.

مشكاة والمشكاة في قنديل فنحن المشكاة فيها المصباح، محمد رسول الله ﷺ المصباح في زجاجة، الزجاجه كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية، لا دعيّة ولا منكرة يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، القرآن نور على نور، يهدي الله لنوره من يشاء، ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم، فالنور عليّ، يهدي الله لولايتنا من أحب، وحقّ على الله أن يبعث ولينا مشرقاً وجهه فيرى برهانه، ظاهرة عند الله حجّته، حقاً على الله أن يجعل أولياءنا المتّقين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فشهداءؤنا لهم فضل على الشهداء بعشر درجات، ولشّهد شيعتنا فضل على كلّ شهيد غيرنا بتسع درجات، نحن النجباء ونحن أفراط الأنبياء وأولاد الأوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله، ونحن الذين شرع الله لنا دينه فقال الله في كتابه: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الشورى: ١٣] (يا محمد) وما وصّينا به إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، قد علمنا وبلغنا ما علمنا، استودعنا علمهم))<sup>(١)</sup>.

ولا أدري لماذا استبعد الفخر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) أهل البيت من المعاني العشرة التي ذكرها في تفسيره لمعنى النور، ربما لأنّ عقيدته لم تسمح له بالتصريح بنور أهل البيت ﷺ والمعاني هي<sup>(٢)</sup>:

- ١- وصف ذاته بالنور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].
- ٢- الرسول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥].
- ٣- القرآن: ﴿وَاتَّبِعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ﴾ [الأعراف: ١٥٧].
- ٤- الإيمان: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة: ٣٢].

(١) مسند الإمام الرضا: ١/٣٥٨، وينظر: كلمة الإمام الرضا: ٩٢-٩٣.

(٢) ينظر: تفسير الرازي: ٢٣/٢٣٧.

- ٥- عدل الله: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].
- ٦- ضياء القمر: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦].
- ٧- النهار: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].
- ٨- البيئات: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤].
- ٩- الأنبياء: ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].
- ١٠- المعرفة: ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥].
- بيد أنه يذكر في موضع آخر أن ((المشكاة صدر محمد صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والزجاجة قلبه، والمصباح ما في قلبه صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الدين))<sup>(١)</sup>.

## المطلب الرابع: الملامح التفسيرية الرضوية في العقائد

- ١- في سؤال وُجّه إليه ﷺ عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ [الرحمن: ١-٤] يرى أنّ من علّم البيان هو أمير المؤمنين ﷺ فقد ورد في بصائر الدرجات ((عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال: سألته، فقلت: قوله: ﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾؟ قال: إنّ الله علّم القرآن، قال: قلت: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾؟ قال: ذلك أمير المؤمنين علّمه بيان كل شيء مما يحتاج الناس إليه))<sup>(١)</sup>.
- ٢- إيمان أبي طالب: يؤكّد الإمام الرضا ﷺ أنّ من يشكّ في إيمان أبي طالب فإنّ مصيره إلى النار ((عن محمّد بن علي بن بابويه، بإسناد له أنّ عبد العظيم بن عبد الله العلوي كان مريضاً، فكتب إلى أبي الحسن الرضا ﷺ: عرفني يا ابن رسول الله عن الخبر المروي أنّ أبا طالب في ضحضاح من نار يغلي منه دماغه، فكتب إليه الرضا ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّك إن شككت في إيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار))<sup>(٢)</sup>.

- ٣- الاستدلال على عدم قبول التوبة: سئل الإمام الرضا ﷺ لأيّ علة أغرق الله ﷻ فرعون، وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ فأجاب بالقول ((لأنّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف، قال الله ﷻ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ \* فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٤-٨٥]، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وهكذا فرعون لما أدركه الغرق، قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، فقبل

(١) بصائر الدرجات: ٥٢٥، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷺ: ١٤٣-١٤٤.

(٢) بحار الأنوار: ٢٥ / ١١١، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷺ: ١٤٤.

له: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ \* فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً﴾ [يونس: ٩١ - ٩٢]، وقد كان فرعون من قرنه إلى قدمه في الحديد ولبسه على بدنه فلمَّا أُغْرِقَ ألقاه الله على نجوة من الأرض ببدنه؛ لتكون لمن بعده علامة فيرونه مع تثقله بالحديد مرتفع من الأرض، وسبيل الثقل أن يرسب ولا يرتفع، وكان ذلك آية وعلامة ولعلَّه أخرى أُغْرِقَ اللهُ ﷻ فرعون، وهي أنَّه: استغاث بموسى لمَّا أدركه الغرق ولم يستغث بالله، فأوحى اللهُ ﷻ إليه يا موسى، لم تغث فرعون؛ لأنَّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنَّ غرق فرعون تَأْتَى من علَّتَيْنِ - كما يُفهم من الرواية السابقة - هما:

١ - أنَّه آمن عند رؤية البأس، والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف.

٢ - أنَّه استغاث بموسى لمَّا أدركه الغرق، ولم يستغث بالله فأوحى اللهُ ﷻ إليه يا موسى لم تغث فرعون؛ لأنَّك لم تخلقه، ولو استغاث بي لأغثته.

(١) عيون أخبار الرضا: ٨٣ / ٢، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷺ: ١٣٢ - ١٣٣.

## المطلب الخامس: الملامح التفسيرية الرضوية في الأخلاق

تتجلى تلك الملامح التفسيرية في كلامه عليه السلام، فأخلاقه أخلاق النبي صلى الله عليه وآله، والنبي خلقه القرآن، ومن ذلك ما يأتي:

١- سنن المؤمن ثلاث: وهي عن الإمام علي بن موسى عليه السلام، قال: ((لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان سره، قال الله جل جلاله: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، وأما السنة من نبيه فمدارة الناس، فإن الله ﷻ أمر نبيه صلى الله عليه وآله بمدارة الناس، فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء، يقول الله ﷻ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧])<sup>(١)</sup>، فالسنن ثلاث: والسنة الطريقة والعمل المستحب، وهي:

أولاً: الكتمان، وهي سنة من الله، فالله لا يكشف أسراره إلا لمن ارتضى من الرسل والأنبياء، ويجب على المؤمن أن يكون كذلك.

ثانياً: وهي سنة من النبي، وهي مداراة الناس والعطف واللفظ بهم، وعلى المؤمن أن يكون كذلك.

ثالثاً: وهي سنة من الأولياء، وهي الصبر والتحمل في البأساء والضراء، وعلى المؤمن أن يكون كذلك أيضاً.

فتجلى القرآن في حجج الإمام وكلماته واضح في كل مفصل من مفصلات الحياة.

(١) الأمالي، الطوسي: ٤٠٨، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ١٦١-١٦٢.

٢- الصبر وانتظار الفرج: عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((ما أحسن الصبر وانتظار الفرج أما سمعت قول الله ﷻ: ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف: ٧١، ويونس: ٢٠، و١٠٢]، فعليكم بالصبر فإنه إنما يجيء الفرج على اليأس فقد كان الذين من قبلكم أصبر منكم))<sup>(١)</sup>.

انظروا إلى لطافة الاستنتاج والتفسير في قول الإمام عليه السلام يكون الله معكم إن كنتم من المنتظرين الصابرين.

٣- الصفح الجميل: ورد في تفسير الصفح الجميل في قوله تعالى: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥]، قال عليه السلام: ((عفو من غير عقوبة، ولا تعنيف، ولا عتب))<sup>(٢)</sup>. كم هو رائع تفسير الإمام عليه السلام حتى إنك لا تعتب على من تعرّض لك فضلاً عن العقاب أو التعنيف، فقمة الإبداع أن توصل المعنى للمتلقّي بأسلوب سهل وبسيط؛ إذ بين الإمام عليه السلام الجانب اللغوي فقط للمفردة القرآنيّة، فيذكر ((المعنى المراد منها بكلمة أو بكلمات أوضح وأسهل أو بكلمة مرادفة للوصول إلى المعنى، وهذه الطريقة هي أشبه ما يكون بترجمة الكلمة وتوضيحها، وقد اتخذت في موارد يحتاج بها المخاطب إلى توضيح المفردة المبهمة فقط، ولا يحتاج إلى توضيح أكثر من ذلك))<sup>(٣)</sup>، وأن هذا النوع من الروايات التفسيرية يعدُّ ((أسلوباً من الأساليب التعليمية لانتخاب المناهج الصحيحة في فهم الآيات القرآنيّة مضافاً إلى ما تبيّنه لنا من منهجية المعصوم في التفسير))<sup>(٤)</sup>، فقد يستعمل القرآن مجموعة من الكلمات التي تحتاج إيضاحاً وبياناً ((فربّما كان معناها غامضاً على بعض المعاصرين لزمن النّصّ القرآني؛ نتيجة ندرة استعمال الكلمة، وسعة

(١) الوافي: ٢ / ٤٤١، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ١٦٥-١٦٦.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥ / ٣٥٧، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ١٧٥.

(٣) التراث التفسيري عند الإمام الرضا عليه السلام: ١٤٨.

(٤) م. ن: ١٤٩.

الآفاق العربيّة، واختلاف استعمالاتها يومئذ))<sup>(١)</sup>؛ إذ إنّ هدف التفسير هو فهم وتوضيح مقاصد القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

٤- الوفاء بالعهد والوعد: وفي إلماعه الى قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، قال عليه السلام: ((أندري لم سميّ إسماعيل صادق الوعد؟ قال: قلت: لا أدري، فقال: وعد رجلاً فجلس له حولاً ينتظره))<sup>(٣)</sup>.

وصل نبيّ الله إسماعيل عليه السلام إلى رتبة صادق الوعد ومقامه بعد الالتزام والمجاهدة الشديدة للنفس؛ كي يحصل على الرتبة المرادة، فالمقام وهي الحالة المتلبّسة في الإنسان ومستمرّة فيه؛ إذ من دون الاستمرار تكون حالة طارئة تأتي وتذهب؛ ولكنّها مع النبيّ إسماعيل عليه السلام كانت ثابتة، فانظر ماذا يلزم من الوفاء بالعهد والوعد عند الأنبياء والأولياء عليهم السلام.

(١) مقدّمات في علم التفسير: ١٣.

(٢) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ١٧.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢ / ٨٥، وينظر: كلمة الإمام الرضا عليه السلام: ١٥٩.

## المطلب السادس: الملامح التفسيرية الرضوية في العبادات

ثَبَّتَ الإِمَامُ الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ أُمُورًا واقعيةً في سلوكيات الأفراد للوصول إلى الكمال في العبادة منها: طاعة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي طاعة الله، وهو أمر قرآني إلهي؛ إذ ذكره في استدلاله بقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] فطريق طاعة الله الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو ما أشار به الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ في حوارهِ مع أبي الصَّلْتِ فجاء في الحوار: ((إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَزُورُونَ رَبَّهُمْ مِنْ مَنَازِلِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الصَّلْتِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَضَّلَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالْمَلَائِكَةِ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ، وَمَتَابَعَتَهُ مَتَابَعَتَهُ، وَزِيَارَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ زِيَارَتَهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((من زارني في حياتي، أو بعد موتي فقد زار الله))، فدرجة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة أرفع الدرجات، فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى))<sup>(١)</sup>.

بيوت الأنبياء مساجد لله: وألمع في استدلاله بقوله تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ [نوح: ٢٨] إلى أن نوحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بيته مسجد الكوفة، فلو دخله رجل مائة مرة لكتب الله له مائة مغفرة، وأنه عنى بوالديه (آدم وحواء)<sup>(٢)</sup>، امتداد دعوات المؤمنين لتصل إلى الوالدين البعدين، وهما آدم وحواء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

(١) التوحيد: ١١٧، وينظر: كلمة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٨٩-١٩٠.

(٢) ينظر: وسائل الشيعة (آل البيت): ١٤ / ٣٨٢، وكلمة الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ١٩١.

## المطلب السابع: الملامح التفسيرية الرضوية في الأحكام

١- جوامع الخير والحكمة في سورة الفاتحة: جاء في تفسيره سورة الحمد عندما سُئِلَ عن سبب البدء بالحمد في كلِّ قراءة دون سائر السور، فأجاب ((لأنه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد؛ وذلك أن قوله ﷺ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾: إنما هو أداء لما أوجب الله ﷻ على خلقه من الشكر، وشكر لما وفق عبده من الخير، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: توحيد له وتمجيد وإقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾: إقرار له بالبعث والحساب والمجازاة، وإيجاب ملك الآخرة له كإيجاب ملك الدنيا، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾: رغبة وتقرب إلى الله تعالى ذكره، وإخلاص له بالعمل دون غيره، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم الله عليه ونصره، ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: استرشاد لدينه واعتصام بحبله، واستزادة في المعرفة لربه ﷻ ولعظمته وكبريائه، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما قد تقدّم من نعمه على أوليائه، ورغبة في مثل تلك النعم، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾: استعادة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه، ﴿وَالضَّالِّينَ﴾: اعتصام من أن يكون من الذين ضلُّوا عن سبيله من غير معرفة، فهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا، وقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة من أمر الآخرة والدنيا ما لا يجمعه شيء من الأشياء))<sup>(١)</sup>.

٢- جواز تصرف الوالد بما يملكه ولده: جاء في استدلاله بقوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]، في علة تحليل ((مال الولد

(١) الوافي: ٨/ ٨٥٤، وينظر: كلمة الإمام الرضا (عليه السلام): ٢١٢-٢١٣.

لوالده بغير إذنه وليس ذلك للولد؛ لأنَّ الولد موهوب للوالد في قول الله ﷻ:  
﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾، مع أنَّه المأخوذ بمؤونته صغيراً  
وكبيراً، والمنسوب إليه والمدعو له؛ لقول الله ﷻ: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ  
عِنْدَ اللَّهِ﴾، وقول النبي ﷺ: ((أنت ومالك لأبيك))<sup>(١)</sup>، وليست الوالدة كذلك،  
فهي لا تأخذ من ماله إلا بإذنه، أو بإذن الأب؛ لأنَّ الأب مأخوذ بنفقة الولد، ولا  
تؤخذ المرأة بنفقة ولدها))<sup>(٢)</sup>، وهو استدلال فقهي مأخوذ من الآيتين الكريمتين  
والحديث النبوي في كون الولد وماله لأبيه، وليس ذلك للوالدة.

(١) الوافي: ٣٢٢/١٧.

(٢) بحار الأنوار: ١٠٢/٦، وينظر: كلمة الإمام الرضا ﷻ: ٢٤٤.

## الخاتمة

- وظَّف الإمام الرضا عليه السلام النصَّ القرآني في جميع ميادين الحياة.
- إنَّ سرَّ الثراء المعرفي لكلمات الإمام الرضا عليه السلام؛ لما فيها من معارف إلهية قرآنية واقعية؛ لأنَّها من مدرسة الوحي.
- عفوية الكلمات التي كان الإمام يفسِّر أو يؤوِّل القرآن بها؛ لأنَّها نابعة من صميم حياته ومستلهمة من أبائه وأجداده عليهم السلام.
- جسَّد الإمام عليه السلام حديث الرسول صلى الله عليه وآله بعدم افتراقه عليه السلام عن القرآن؛ إذ كان أنيساً له في كلِّ حين، وعدم افتراق القرآن عنه؛ إذ هما صنوان حتَّى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض، على أنَّ الأداء الفكري والتطبيقي والتنظيري لتفسير القرآن، هو من ذلك النمير الرائق المتَّصل بالعلم الإلهي الذي أوحاه الله لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله، وتوارثه الأئمة عليهم السلام صادقاً بعد صادق.
- طرق التفسير في كتاب (كلمة الإمام الرضا عليه السلام لآية الله السيِّد حسن الشيرازي) مختلفة وبحسب حاجة المتلقِّي.
- قد يفسِّر القرآن بالقرآن، وقد يفسِّره بالروايات، وأنَّ روايات الإمام الرضا عليه السلام التفسيرية في كتاب كلمة الإمام الرضا للسيِّد حسن الشيرازي مضافاً إلى التفسير تشتمل على التأويل في بيان المعنى الباطني؛ إذ إنَّ تبين بواطن الآيات وحقائقها إنَّما هو من اختصاص المعصومين الراسخين في العلم ومنحصر بهم، ومع المعنى الباطني هناك تعيين للمصاديق، وتبيين للمعارف الاعتقادية والأمور الغيبية، وتفصيل آيات الأحكام.

- وقد يفسّر القرآن تفسيرًا لغويًا، وقد بيّن الإمام ﷺ الجانب اللغوي فقط للمفردة القرآنيّة فيذكر المعنى المراد منها بكلمةٍ أو بكلماتٍ أوضح وأسهل، أو بكلمة مرادفة للوصول إلى المعنى، وهذه الطريقة هي أشبه ما يكون بترجمة الكلمة وتوضيحها. إنّ هذا النوع من الروايات التفسيرية يعدُّ أسلوبًا من الأساليب التعليميّة لانتخاب المناهج الصحيحة في فهم الآيات القرآنيّة مضافاً إلى ما تبيّنه لنا من منهجيّة المعصوم في التفسير، فقد يستعمل القرآن مجموعة من الكلمات التي تحتاج إيضاح وبيان فربما كان معناها غامضاً على بعض المعاصرين لزمان النصّ القرآني؛ نتيجة ندرة استعمال الكلمة، وسعة الآفاق العربيّة، واختلاف استعمالها يومئذ؛ إذ إنّ هدف التفسير هو فهم وتوضيح مقاصد القرآن الكريم.

- إنّ جملة من تفسير الآيات والألفاظ القرآنيّة، يمكن الإفادة منها كأسس وقواعد أوّليّة للجانب النظري في تفسير القرآن الكريم، وعليه يكون الإمام ﷺ مؤسسًا من المؤسّسين لعلوم القرآن وتفسيره.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- الأمالي، الشيخ الطوسي، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
- ٢- الانتصار، العاملي، دار السيرة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ٣- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، تح: السيّد إبراهيم الميانجي، محمّد الباقر البهبودي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- ٤- البداية والنهاية، ابن كثير، تحقيق وتدقيق وتعليق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٥- البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني، تح: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسّسة البعثة، قم، (د.ت).
- ٦- بصائر الدرجات، محمّد بن الحسن بن فروخ الصفار، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي، مطبعة الأحمدي، طهران، منشورات الأعلمي، طهران، ١٤٠٤ - ١٣٦٢ ش.
- ٧- تفسير الرازي، فخر الدين الرازي، ط٣، (د.ت).
- ٨- التوحيد، الشيخ الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ت).
- ٩- التيسير في القراءات السبع، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ١٠- جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمّد أبي الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

١١- جواهر الكلام، الشيخ الجواهري، تحقيق وتعليق: الشيخ عباس القوچاني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٦٧ ش.

١٢- الخصال، الشيخ الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤٠٣هـ - ١٣٦٢ ش.

١٣- دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، محمد علي الرضائي الأصفهاني، تعريب: قاسم البيضاني، مركز المصطفى العالمي للترجمة والنشر، مطبعة زلال كوثر، معتمد الطباعة: نعمت الله يزداني، ط ٢، ١٤٣١هـ - ١٣٨٩ ش.

١٤- العترة والقرآن، سماحة الحجة الشيخ علي الكريمي الجهرمي، دار القرآن الكريم، إيران، قم، ١٤١٣هـ.

١٥- عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، تحقيق وتصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلمي، مطابع مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦- الفصول المختارة، الشيخ المفيد، تح: السيد نور الدين جعفران الأصبهاني، الشيخ يعقوب الجعفري، الشيخ محسن الأحمدي، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

١٧- فقه الرضا، علي بن بابويه القمي، تح: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المشرفة، المؤتمر العالمي للإمام الرضا، مشهد المقدسة، ١٤٠٦هـ.

١٨- مجمع البيان في تفسير القرآن: أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، حققه وعلّق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدّم له: الإمام الأكبر السيد محسن الأمين العاملي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د.ط. د.ت.

١٩- مستدرك الوسائل، الميرزا حسين النوري الطبرسي، تح: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، بيروت، د.ت.

٢٠- مسند الإمام الرضا عليه السلام، الشيخ عزيز الله عطاردي، تحقيق وتجميع وترتيب: الشيخ عزيز الله عطاردي الخبوشاني، مؤسّسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي، المؤتمر العالمي الإمام الرضا عليه السلام، ١٤٠٦هـ.

٢١- مقدّمات في علم التفسير، السيّد صدر الدين القبانجي، تقديم وتحقيق: مؤسّسة إحياء التراث الشيعي، مؤسّسة السيّدة المعصومة للطباعة والنشر، د.ت.

٢٢- الميزان في تفسير القرآن: السيّد محمّد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسّسة دار المجتبي عليه السلام للمطبوعات ومؤسّسة الإمام المنتظر عليه السلام، إيران، د.ت.

٢٣- نهج البلاغة كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جمعه: السيّد الشريف الرضي، تحقيق وشرح: الشيخ محمّد عبده، دار الذخائر، قم، مطبعة النهضة، قم، ط١، ١٤١٢هـ-١٣٧٠ش.

٢٤- الوافي، الفيض الكاشاني، عني بالتحقيق والتصحيح والتعليق عليه والمقابلة مع الأصل ضياء الدين الحسيني العلّامة الأصفهاني، طباعة أفست نشاط أصفهان، مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامّة، أصفهان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٥- وسائل الشيعة (آل البيت)، الحر العاملي، تح: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مطبعة مهر، قم، مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث بقم المشرفة، ط٢، ١٤١٤هـ.

#### البحوث والمجلات:

التراث التفسيري عند الإمام الرضا، د. سكيّنة آخوند، بحث، مجلة تراثنا، ع١٢٩، السنة الثانية والثلاثون.



عَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ  
الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ: (نَزَلَ الْقُرْآنُ أَثَلَاثًا:  
ثُلُثٌ فِينَا وَفِي عَدُونِنَا، وَثُلُثٌ سُنَنٌ  
وَأَمْثَالٌ، وَثُلُثٌ فَرَائِضٌ وَأَحْكَامٌ)

الكافي ، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ): ٢ / ٦٢٧



الْمَنْهَجُ الْفِقْهِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِنْدَ الْإِمَامِ الْجَوَادِ (ع)

أ. د. أحمد الصفار  
جامعة مانشستر / بريطانيا

The Jurisprudential Methodology in The Interpretation of the  
Qur'an According to Imam Al-Jawad (Peace Be Upon Him)

Prof. Dr. Ahmed Al-Saffar

University of Manchester / United Kingdom

## المُلخَص:

تسعى هذه الدراسة بعنواناتها الرئيسة والفرعية إلى الكشف عن الوحدة الموضوعية المحكمة، والمنهجية الراسخة التي أثبتتها الإمام الجواد عليه السلام في تفسيره الفقهي للقرآن الكريم، فقد جاءت المقدمة لتوضح ضرورة العودة إلى النصوص القطعية من القرآن الكريم وسنة المعصوم عليه السلام، وهو المنطلق الذي اعتمده الإمام في مشروعه التفسيري. وقد انتظمت مادة البحث في خطة تنقسم على: المبحث الأول الذي تكفل بإيضاح أن التفسير الفقهي ليس مجرد حصر للأحكام؛ بل أداة جوهرية لفهم النص القرآني، وتفعيل حضوره في حياة الأمة، وقد دار الجدل بين من رآه اختزالاً تشريعياً للنص، ومن اعتبره ضرورة عملية تقتضيها الحياة الاجتماعية، وفي هذا الأفق برز أثر الإمام الجواد عليه السلام في إعادة هذا المنهج إلى أصالته، وربطه بالبعد العقدي والتربوي.

ثم جاء المبحث الثاني؛ ليكشف عن الاحتجاج الفقهي الذي مارسه الإمام عليه السلام في مناظراته مع فقهاء البلاط العباسي. فلم تكن تلك المجالس أسئلة وأجوبة فحسب؛ بل محاججات جدلية أبان فيها الإمام قصور الفقه السلطوي، ورسخ مكانة أهل البيت عليهم السلام مرجعية علمية لا يُدانها أحد. وفي المبحث الثالث، تجلّت قدرة الإمام على تحويل كل سؤال فقهي إلى درس منهجي؛ يرد الحكم إلى أصله القرآني، ويكشف علته التشريعية.

الكلمات المفتاحية: المنهج الفقهي، التفسير القرآني، الإمام الجواد عليه السلام.

**Abstract:**

This study, through its main and subsidiary titles, seeks to uncover the precise thematic unity and the firmly-established methodology demonstrated by Imam al-Jawad (peace be upon him) in his jurisprudential interpretation of the Holy Qur'an. The introduction explains the necessity of returning to definitive texts from the Qur'an and the Sunnah of the Infallible (peace be upon him), which is the point of departure adopted by the Imam in his interpretive project. As for the first section, it clarifies that jurisprudential interpretation is not merely a restriction to legal rulings; rather, it is an essential tool for understanding the Qur'anic text and activating its presence in the life of the community. A debate arose between those who viewed it as a legislative reduction of the text and those who considered it a practical necessity required by social life. Within this horizon, the impact of Imam al-Jawad (peace be upon him) emerged in restoring this methodology to its authenticity and connecting it to doctrinal and educational dimensions. The second section then reveals the jurisprudential argumentation practiced by the Imam in his debates with the jurists of the Abbasid court. Those assemblies were not merely questions and answers; rather, they were dialectical disputations in which the Imam demonstrated the inadequacy of authoritarian jurisprudence and reinforced the status of Ahl al-Bayt (peace be upon them) as an unparalleled scholarly authority. In the third section, the Imam's ability became manifest in transforming every jurisprudential question into a methodological lesson—returning the ruling to its Qur'anic origin and uncovering its legislative rationale.

**Keywords:** jurisprudential methodology, Qur'anic interpretation, Imam al-Jawad (peace be upon him).

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الذكر والتسليم على المبعوث رحمة للعالمين  
أبي القاسم محمد ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد.

لقد أوقف الإمام الجواد ﷺ في مشروعه التفسيري هدر المعارف التفسيرية  
المستخلصة من الآيات الكريمة على وفق الأحاديث الشريفة الواردة في هذا  
الشأن، وكان الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ مدرِّكاً لخطورة التفسير بالرأي  
الذي عمل به المتزلفون للسلطة العباسية، فقدّم تفسيره مدعوماً بالقرآن وبالسنة  
المطهرة، وعالج فيه الرؤى الفاسدة للمفسرين وقتئذ، ((وكان لمنهج الإمام  
الجواد ﷺ في التفسير أثره في إثارة الذهنية التفسيرية لدى العلماء المفسرين، وكان  
هذا المنهج ينقسم على محورين: أحدهما تفسير القرآن بالقرآن، والآخر تفسير  
القرآن بالسنة الشريفة، ومن هنا انطلق مشروع الإمام الجواد التفسيري))<sup>(١)</sup>.  
وفي الروايات التفسيرية المنسوبة إلى الإمام الجواد ﷺ، ((هناك منهجان  
رئيسان، هما؛ الفقهي، والكلامي))<sup>(٢)</sup>.

وقد جاءت خطة البحث على مقدمة تلتها مباحث خمس؛ عرض الأول منها  
للمنهج الفقهي للإمام ﷺ، والثاني للحجاج الفقهي عند الإمام ﷺ، وفصلنا  
الكلام في المبحث الثالث في الأسئلة الفقهية بين المنهجية القرآنية والجدل  
المعرفي، واختصّ المبحث الرابع بشرح حدود القضايا الفقهية، في حين كان  
المبحث الخامس في عِلل الأحكام في التفسير الفقهي عند الإمام الجواد ﷺ،  
ثمّ خاتمة بأبرز ما توصل إليه البحث، وبعدها قائمة بالمصادر والمراجع التي  
اعتمدت في البحث، ومن الله التوفيق.

(١) الإمام محمد الجواد ﷺ وآراؤه في التفسير والرواية: ٨/١.

## المبحث الأول: المنهج الفقهي

يُعَدُّ المنهج الفقهي في التفسير من أبرز المناهج التي انشغل بها المسلمون في تعاملهم مع النصِّ القرآني؛ إذ وُظِّفَ لفهم الآيات واستنباط الأحكام الشرعية، اعتماداً على المصادر الأصلية للشريعة: القرآن الكريم والسنة النبوية، مع الاستعانة بالاجتهاد لمواكبة الوقائع المستجدَّة. غير أنَّ هذا المنهج ظلَّ موضع جدل: هل يؤدي إلى اختزال التفسير في البعد التشريعي وإهمال الجوانب العقدية والروحية والتربوية للقرآن، أو أنه ضرورة عملية لحياة الأمة؛ لأنه يجسِّد ارتباط الوحي بالواقع الاجتماعي والفقهي؟

المدافعون عن هذا المنهج اعتبروه تعبيراً عن أصالة الشريعة وقدرتها على استيعاب حاجات المجتمع عبر استنباط الأحكام التفصيلية، وهو ما أفرز ما سُمِّيَ بـ(آيات الأحكام)، التي قُدِّرَ عددها بخمسمائة آية تقريباً، كما ذكر السيوطي في الإِتقان<sup>(١)</sup> والزرکشي في البرهان<sup>(٢)</sup>؛ لكنَّ النقاد رأوا أنَّ التركيز المفرط على هذا الجانب أوقع التفسير في التجزئة والانتقائية؛ إذ جرى انتزاع بعض الآيات من سياقها الكلي لاستخراج حكم فقهي منها، وهو ما تبَّه إليه محمَّد عبد الله دراز في النبأ العظيم، حين أكَّد أنَّ القرآن ليس (كتاب قانون) بالمعنى الضيق؛ بل كتاب هداية شاملة<sup>(٣)</sup>.

وهنا تتضح جدلية هذا المنهج: فمن جهة، لا يمكن إنكار قيمته في خدمة حاجات الأمة العملية وتنظيم شؤونها، ومن جهةٍ أخرى، يظلُّ خطره قائماً إذا لم يُدمج في رؤية تفسيريةٍ أوسع تراعي مقاصد الشريعة: كالعدل ورفع الحرج

(١) ينظر: الإِتقان في علوم القرآن: ١/ ٤٤.

(٢) ينظر: البرهان: ٣/ ٢، والجامع لأحكام القرآن: ١/ ٤٠-٤٥.

(٣) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: ٢٧٥.

وحفظ الكليات الخمس<sup>(١)</sup>، وتستوعب أبعاد القرآن الكريم الروحية والفكرية. وبذلك يصبح المنهج الفقهي أداةً مزدوجةً: قد يُثري الفكر الإسلامي بتعدد القراءات والاجتهادات؛ لكنّه قد يفتح أيضاً باب التباين الحاد في الفتاوى.

وهنا يبرز إسهام أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين قدّموا للمنهج الفقهي في التفسير بعداً أصيلاً متوازناً؛ إذ لم يحصروا التفسير في الأحكام المجردة؛ بل جمعوا بين التشريع والهداية العقدية والتربوية<sup>(٢)</sup>. ويأتي الإمام الجواد عليه السلام أنموذجاً واضحاً لهذا التوجّه، فقد تصدّى بمشروعه التفسيري لمعالجة الانحرافات التي وقع فيها بعض المفسّرين، وركّز على استثمار النصّ القرآني في تأسيس الفقه على قواعد محكمة، مع بيان الحكمة الكامنة وراء التشريعات.

إنّ إدماجه للبعد الفقهي ضمن منظومة متكاملة من القرآن والسنة، مع ردّ الشبهات الفقهية والكلامية في عصره، يُبرّز كيف مثل مشروعه التفسيري جسراً يجمع بين النصّ المقدّس، والمقاصد العليا للشريعة، ومتطلبات الحياة الاجتماعية<sup>(٣)</sup>.

(١) أوّل من نظّر لها بوضوح هو الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في كتابه الموافقات. والمقصود بحفظ الكليات الخمس: أنّ التشريع الإسلامي وُضع لتحقيق هذه الضروريات وصيانتها من الاختلال، وأنّ الشريعة الإسلامية تهدف في جوهرها إلى صيانة الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، بوصفها مقومات أساسية لحياة الإنسان واستقرار المجتمع. ينظر: الموافقات: ٣٤٧.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: ١/ ١٢، والميزان في تفسير القرآن: ١/ ١٠-١٥، والإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٢٧٣-٢٨٠.

(٣) ينظر: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ٥٠/ ٨٥-١١٠، ومناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨٨، وعيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/ ٢٧١-٢٧٥.

## المطلب الأوّل: التفسير الفقهي

يرتكز التفسيرُ الفقهيُّ على تفسير النصوص على وفق مبادئ فقهيّة، كما فعل البغويُّ (ت: ٥١٦ هـ) في تفسيره لسورة النور<sup>(١)</sup>؛ إذ اعتمد على آراء الصحابة والتابعين. وقيل: ((التفسير الفقهي، أو تفاسير الفقهاء، أو تفسير آيات الأحكام، جميعها مصطلحات أطلقت على: التفسير الذي يجمع آيات الأحكام من القرآن الكريم، ويفسرها في كتاب مستقل. ويمكن أن تعرّف -أيضاً- أنّها: الكتب التي أُلِّفت لتفسر الآيات القرآنيّة، الدالة على الأحكام الشرعيّة. وهذه الآيات التي تناولها المفسرون الفقهاء، بالبيان والتأويل، والنظر والتدليل، اختلف في عدّها وتعيينها، لاختلاف أنظار العلماء في الاستنباط والفهم، واشتهر عند بعض أهل العلم أنّها تبلغ خمسمائة آية))<sup>(٢)</sup>.

## المطلب الثاني: مقوّمات التفسير الفقهي

المقوّمات الأساسيّة للتفسير الفقهي تكمن في التركيز على آيات الأحكام، واعتماد أدوات الفقه والأصول، والوظيفة العمليّة في بيان التكليف، وهو يحتل منزلة مهمّة بين التفاسير؛ لكنّه يحتاج إلى أن يُدمج مع غيره ليعكس شمول القرآن. وقد جسّد أئمّة أهل البيت عليهم السلام هذا التوازن، وكان للإمام الجواد عليه السلام إسهام بارز في ترسيخ المنهج الفقهي مع الحفاظ على وحدة التفسير القرآني، جامعاً بين النصّ، والحكمة التشريعيّة، والدور التربوي.

إنّ التفسير الفقهي يقوم على جملة من المقوّمات التي تحدّد هويّته ومجاله:

١- التركيز على آيات الأحكام: وهي الآيات التي تحمل دلالات تشريعيّة مباشرة تتعلق بالعبادات، والمعاملات، والأحوال الشخصيّة، والعقوبات. وقد اشتهر

(١) ينظر تفسير البغوي: ٣ / ٣٧٩.

(٢) الإتيان في علوم القرآن: ١ / ٤٠-٤٥.

بين العلماء أن عددها يقارب خمسمائة آية، وإن كان الاختلاف كبيراً في تحديدها بسبب تنوع مناهج الاستنباط<sup>(١)</sup>.

٢- الاعتماد على مبادئ الفقه وأصوله: فيُفسَّر النصُّ القرآني في ضوء قواعد مثل العام والخاص، والمطلق والمقيّد، والناسخ والمنسوخ، بما يجعل التفسير الفقهي قريباً من عمل المجتهد في استنباط الحكم.

٣- الاستناد إلى آثار الصحابة والتابعين: كما في تفسير البغوي معالم التنزيل عند سورة النور؛ إذ اعتمد على أقوالهم لبيان حدود العفاف، وأحكام القذف، والستر<sup>(٢)</sup>.

٤- الوظيفة العمليّة: غايته ليست الوعظ الروحي أو الكشف الباطني؛ بل بيان الحكم الشرعي وتوضيح مناط التكليف في الوقائع اليوميّة.

### المطلب الثالث: منزلته بين سائر أنواع التفاسير مقارنةً بالأنماط الأخرى

- التفسير اللغوي (البياني): يهتمّ بالتحليل اللغوي والبلاغي لمعاني القرآن الكريم (كمعاني الزجاج وتفسير ابن عطية).

- التفسير الكلامي: يوظف القرآن الكريم لترسيخ العقائد، والردّ على الخصوم (كالرازي والطوسي).

- التفسير الصوفي: يبحث في المعاني الباطنية والروحيّة للنصّ (كالسلمي وابن عربي).

- التفسير الموضوعي: يدرس موضوعاً قرآنيّاً متكاملًا عبر جمع الآيات في إطار واحد.

(١) ينظر الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٤٠.

(٢) ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٦ / ٨.

- وبين هذه الأنماط، يتميّز التفسير الفقهي أنه الأكثر التصاقاً بحياة الناس العملية، لكنّه قد يُتَّهم بالاختزال، إذا أغفل الأبعاد العقديّة والروحيّة والبلاغيّة. ومن هنا، فإنّ منزلته وسطيّة: ضروري لحياة الفقه؛ لكنّه ليس كافيًا لفهم القرآن الكريم بكليّته.

#### المطلب الرابع: موقف أئمة أهل البيت عليهم السلام

أئمة أهل البيت عليهم السلام لم يُهملوا التفسير الفقهي؛ بل اعتبروه جزءًا من المنظومة التفسيرية الشاملة. فقد تصدّوا لآيات الأحكام لتصحيح الانحرافات؛ لكنّهم رفضوا اختزال القرآن في الأحكام وحدها.

أرسي الإمام علي عليه السلام قاعدة أنّ القرآن كتاب هداية شامل؛ لكنّه أوضح في خطبه ومعاركه تفاصيل أحكام القتال والدماء.

قدّم الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام روايات كثيرة في آيات الأحكام، مع ربطها بالمعنى العقدي والروحي.

ظهر الإمام الجواد عليه السلام بشكل خاص في عصرٍ شهد مناظرات فقهية أمام قضاة العباسيين، فبرزت قدرته على توظيف التفسير الفقهي في بيان الحكم الشرعي بأسلوب يدمج بين النصّ القرآني والسنة. من ذلك مناظرته مع يحيى بن أكثم حول حكم المحرم إذا قتل صيدًا؛ إذ كشف أنّ الاستنباط الفقهي لا يتمّ إلاّ بتمييز الحالات وتفصيل القيود<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: بحار الأنوار: ٩٧-١١٠.

## المبحث الثاني: الاحتجاج الفقهي عند الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ

في زمن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت الساحة الفقهية والفكرية الإسلامية تعيش حالة من التعدد والتنافس بين المدارس والاتجاهات، فقد برزت مدرسة أهل الحديث في الحجاز، ممثلة بروايات الصحابة والتابعين من دون توسع كبير في الاجتهاد العقلي، يقابلها في العراق تيار الرأي والقياس الذي اشتهر به فقهاء الكوفة أمثال أبي حنيفة وتلامذته. وفي بغداد، كان العباسيون يولون مكانة خاصة للقضاة والمحدثين أمثال يحيى بن أكثم، قاضي القضاة، الذي مثل السلطة الرسمية في مجال الفقه والقضاء. إلى جانب هؤلاء، كانت تفسيرات القرآن تسلك مسارين: تفسير تقليدي يعتمد أقوال الصحابة والتابعين مثل تفسير سفيان الثوري (ت: ١٦١ هـ)، وابن جرير الطبري (ت: ٣١٠ هـ) لاحقاً، وتفسير فقهي يستنبط الأحكام مباشرة من آيات القرآن كما ظهر عند القرطبي (ت: ٦٧١ هـ) لاحقاً؛ ولكنه في جذوره موجود في مدارس الفقه الأولى.

وسط هذا الزخم، وجد الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه في مواجهة منظومة تحاول احتكار الشرعية الدينية والفقهية عبر المناظرات الرسمية في بلاط المأمون والمعتمد العباسيين. فكان لا بد له أن يبين للناس أن مرجعية أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ليست فقط في مجال العقيدة والإمامة؛ بل أيضاً في الاجتهاد الفقهي المبني على القرآن والسنة الصحيحة.

لقد اتخذ الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ من الاحتجاج بالقرآن أساساً لإفحام خصومه، فكان يستشهد بالآيات لإثبات الأحكام وتفنيده الآراء المخالفة. ومن أبرز مناظراته ما جرى بينه وبين يحيى بن أكثم في مسألة كفارة المحرم إذا قتل صيداً. فقد طرح يحيى السؤال على سبيل الإحراج أمام الحضور؛ لكن الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ أجاب بأسلوب علمي دقيق، مبيناً أن الحكم يختلف باختلاف حال الصيد: أهو

صغير أم كبير؟ ذكر أم أنثى؟ أكان القتل في الحرم أم في الحل؟ وأكان المحرم عالمًا بالحكم أم جاهلاً؟ عمدًا أم خطأ؟ فأبان الإمام بذلك أن الفقه لا يستقيم إلا بالتفصيل القرآني الدقيق، لا بمجرد إطلاق حكم عام كما كان يفعله كثير من المتفكرين في عصره<sup>(١)</sup>.

إنَّ هذه المناظرات لم تكن مسائل فقهية فحسب؛ بل كانت احتجاجًا على منهج الفقهاء الرسميين الذين اكتفوا بالقياس والرأي، في مقابل المنهج الأصيل الذي تبناه الإمام عليه السلام، وهو ردُّ المسائل إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الموثوقة. وقد أثار ذلك إعجاب الحاضرين حتى من خصومه؛ إذ رأوا فيه قدرة علمية لا يملكها غيره على الرغم من صغر سنه حين تولَّى الإمامة. ولهذا اعترف كبار العلماء في عصره بمكانته، فقد نقلت المصادر أن المأمون نفسه حينما رشَّحه للزواج من ابنته قال: ((الحمد لله على هذه النعمة، والتوفيق لي في الرأي))<sup>(٢)</sup>.

بذلك، أسهم الإمام الجواد عليه السلام في تثبيت مكانة التفسير الفقهي القرآني في مواجهة الاتجاهات الأخرى، مؤكِّدًا أنَّ القرآن الكريم ليس كتاب هداية روحية فحسب؛ بل مصدرٌ أصيلٌ لتقعيد الفقه وضبط أحكامه، شريطة أن يفهم في ضوء مرجعية أهل البيت عليهم السلام الذين ورثوا علم النبي صلى الله عليه وآله. ومن هنا غدت مجالسه العلمية منابر لتصحيح الانحرافات وتربية جيل من الفقهاء على التفسير المنهجي المتكامل، الذي يجمع بين النص القرآني والدليل الفقهي والبعد العقدي.

(١) الإرشاد: ٢ / ٢٨٧، وروضة الواعظين: ١ / ٢٤١؛ وكشف الغمّة في معرفة الأئمة: ٣ / ١٥٠، والاحتجاج: ٢ / ٤٤٤، وبحار الأنوار: ٥٠ / ٩٧.  
(٢) الإرشاد: ٢ / ٢٨٤.

## المطلب الأول: الإمام الجواد عليه السلام في مواجهة فقه السُلطة

مكث أبو جعفر عليه السلام مستخفياً بالإمامة، فلمَّا صار له ستُّ عشرة سنة<sup>(١)</sup>، ((أمر المأمون أن يفرش لأبي جعفر دست، ويُجعل له فيه مسورتان ففعل ذلك. وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابن تسع سنين وأشهر فجلس بين المسورتين، وجلس يحيى بن أكثم<sup>(٢)</sup> بين يديه... فقال يحيى بن أكثم للمأمون: أتأذن لي يا أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر عن مسألة؟ فقال المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال: أتأذن لي - جعلت فداك - في مسألة؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: سل إن شئت. فقال يحيى: ما تقول جعلت فداك في محرم قتل صيداً؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: قتله في حلٍّ أو حرم؟ عالمًا كان المحرم أو جاهلاً؟ قتله عمدًا أو خطأً؟ حرًّا كان المحرم أو عبدًا؟ صغيرًا كان أو كبيرًا؟ مبتدئًا بالقتل أو معيدًا؟ من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصيد أم من كبارها؟ مصرًّا على ما فعل أو نادماً؟ في الليل كان قتله للصيد أم بالنهار؟ محرماً كان بالعمرة؟ إذ قتله أو بالحجِّ كان محرماً؟ فتحير يحيى بن أكثم وبان في وجهه العجز والانقطاع وتلجلج حتى عرف جماعة أهل المجلس عجزه))<sup>(٣)</sup>.

الملاحظ أنَّ يحيى بن أكثم صاغ سؤاله عن قتل المحرم للصيد بصورة عامَّة، وكأنَّه أراد أن يختبر الإمام بجواب مباشر. غير أنَّ الإمام الجواد عليه السلام فاجأه بردٌّ

(١) وقيل: ٩ سنوات و يضع أشهر. ينظر: الاحتجاج: ٢ / ٤٤٤. وقيل: بعد شهادة أبيه بأيام، وكان عمره آنذاك ٦ سنوات وبضعة شهور، ينظر: دلائل الإمامة: ١ / ٣٨٨.

(٢) كان يحيى من أبرز علماء عصر المأمون، وأنَّ المأمون على الرغم من مكانته العلميَّة الرفيعة، أبدى إعجابًا كبيرًا بمستوى يحيى، ممَّا دفعه إلى تكليفه بإدارة شؤون الحكم، إلى جانب مناصب القضاء وديوان المحاسبات، ورعاية الفقراء. إلَّا أنَّه افتقر إلى العمق الروحي والمعنوي، إذ كان دافعه للتعلم هو السعي وراء المناصب والشهرة والتفاخر على الآخرين.

(٣) الإرشاد: ٢ / ٢٨٧، وروضة الواعظين: ١ / ٢٤١، وكشف الغمَّة في معرفة الأئمَّة: ٣ / ١٥٠، والاحتجاج: ٢ / ٤٤٤.

منهجيًّا؛ إذ أعاد السؤال إلى تفريعات دقيقة: مكان القتل (حلّ أو حرم)، حال القاتل (عالم أو جاهل، متممّد أو مخطئ)، وصف المحرم (حر أو عبد، كبير أو صغير)، طبيعة الصيد (طير أو غيره، صغير أو كبير)؛ بل حتّى الظروف (ليل أو نهار، عمرة أو حج). بهذا التفصيل، أظهر الإمام أنّ الفقه لا يُبنى على أسئلةٍ مبسّطة، وإنّما على تشخيص دقيق للملابسات.

فتمتّ المحاجّة بالمنهج لا بالجواب، والنقد هنا أنّ يحيى سأل طلبًا لجواب فقهي، على حين أنّ الإمام قدّم منهجًا فقهيًّا. فقد بيّن أنّ المشكلة ليست في معرفة (الحكم) بقدر ما هي في فهم شروط إنتاج الحكم. هذا الأسلوب يتجاوز الفقه الجزئي إلى تأسيس قاعدةٍ أصوليّةٍ: لا حكم بلا تحديدٍ لموضوعه وقيوده. إنّها نقلة من الفقه الجزئي إلى الأصول المنهجية التي تضبط الاستنباط.

المجلس لم يكن بريئًا من الدوافع السياسيّة؛ إذ أراد المأمون إخراج الإمام الصغير عمرًا أمام كبار الفقهاء؛ لكن انقلاب المشهد كشف عجز القاضي الرسمي وأثبت أنّ الإمام الجواد عليه السلام يمتلك شرعيّة معرفيّة تفوق عمره. هنا يتحوّل الجواب الفقهي إلى احتجاج سياسي يُرسّخ مرجعيّة أهل البيت عليهم السلام ويبرهن أنّ الإمامة تقوم على العلم المصون لا على السلطة الظاهرة.

اعتمد الإمام أسلوب التتابع الشرطي في طرح التفريعات، وهو أسلوب جدلي يُربك الخصم ويُشرك المستمعين في عملية التمييز بين الحالات. هذا الترتيب المتدرّج لم يكن استعراضًا بلاغيًّا فحسب؛ بل أسلوبٌ تعليميٌّ يوضّح أنّ المسائل الفقهيّة ذات طبيعة مركّبة لا تُختزل في جوابٍ واحد. بهذا جمع الإمام عليه السلام بين البرهان العلمي والتأثير الخطابي.

والمحصّلة أنّ الإمام الجواد عليه السلام لم يقدّم جوابًا على مسألة جزئيّة فقط؛ بل أرسى مبدأ عميقًا في التفسير الفقهي للقرآن: الحكم الشرعي لا يُستنبط إلّا في

ضوء تفاصيل الأحوال. هذا المبدأ يعكس نضجاً معرفياً سبق عصره، وأسّس لتمايز منهج أهل البيت عليهم السلام عن مناهج الفقهاء الرسميين الذين اكتفوا بالقياس أو الإجابة المبسطة.

### المطلب الثاني: حادثة السنّ في ضوء الاحتجاج القرآني

سئل الإمام الجواد عليه السلام: ((يا سيدي إنّ النَّاسَ ينكرون عليك حادثة سنّك! قال عليه السلام: وما ينكرون عليّ من ذلك؟ فو الله لقد قال الله لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فما اتّبعه غير عليّ عليه السلام وكان ابن تسع سنين، وأنا ابن تسع سنين فما عسى أن يقولوا، قال: ثمّ كانت أمارات فيها وقبلها أقوام، الطريقان في العاقبة سواء، الظاهر مختلف، هو رأس اليقين. إنّ الله يقول في كتابه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥])<sup>(١)</sup>. ((وعن أحمد بن محمد، عن عليّ بن سيف، عن بعض أصحابنا، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام، قال: قلت له: إنّهم يقولون في حادثة سنّك! فقال عليه السلام: إنّ الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليمان وهو صبيٌّ يرعى الغنم، فأنكر ذلك عبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم؛ فأوحى الله إلى داود عليه السلام أن خذ عصا المتكلمين، وعصا سليمان، واجعلهما في بيت، واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان من الغد، فمن كانت عصاه قد أورقت وأثمرت فهو الخليفة. فأخبرهم داود، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا))<sup>(٢)</sup>.

اعتراض الناس على صغر سنّ الإمام يعكس تصوّراً اجتماعياً تقليدياً يربط الكفاءة بالعمر والتجربة الزمنية. الإمام الجواد عليه السلام واجه هذا الاعتراض لا بالإنكار

(١) تفسير العياشي: ٢ / ٢٠٠، والكافي: ١ / ٣٨٤، وتفسير القمي: ١ / ٣٥٨.

(٢) الكافي: ١ / ٣٨٣، والتفسير الصافي: ٤ / ٦٠، وبحار الأنوار: ١٤ / ٨١، ومرآة العقول: ٤ /

٢٤٧، وتفسير نور الثقلين: ٤ / ٧٥.

المباشر؛ بل بالاحتجاج بالقرآن الذي يربط القيادة بالعلم والبصيرة لا بالسنن. وفي هذا تفكيك لمعيار بشري استقرَّ في المخيل العام لصالح معيار إلهي ربّاني. وقد استند الإمام عليه السلام إلى سابقتين قرآنيتين: عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي كان أوّل من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وهو ابن تسع سنين، في ضوء قوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨]؛ ليثبت أنّ البصيرة لا تتوقف على العمر، وقصة استخلاف سليمان عليه السلام في حادثة سنّه، التي واجهت اعتراض علماء بني إسرائيل، فجعل الله العصا المزدهرة برهاناً على اصطفائه، وهو احتجاج على أنّ الدليل الإلهي يُقدّم على الأعراف.

الاحتجاج القرآني هنا ليس تسويغاً؛ بل محاجّة مع الخصم: الإمام لا يكتفي بذكر الأمثلة؛ بل يضع المعترضين أمام نصوص قرآنية لا يمكن ردّها، ليرغمهم على الاعتراف أنّ اعتراضهم يتعارض مع منطق الوحي. هذا الأسلوب ينسجم مع منطق أهل البيت عليهم السلام في جعل القرآن الكريم المرجع الحاكم على الخلافات العقديّة والسياسيّة.

في ضوء هذا الاحتجاج، يتّضح أنّ الإمامة ليست مرتبطة بالسنن؛ بل هي منصب إلهي يقوم على العلم والعصمة والبصيرة. بهذا يتحوّل صغر السنّ من نقطة ضعفٍ في نظر المعترضين إلى دليل قوّة؛ لأنّه يبرز الطابع المعجز للإمام الذي يملك علماً يفوق عمره الزمني.

## المبحث الثالث

### الأسئلة الفقهية بين المنهجية القرآنية والجدل المعرفي

كان الإمام الجواد عليه السلام يواجه الأسئلة الفقهية لا بوصفها مجرد طلب لجواب شرعي؛ بل بوصفها نافذة منهجية لتربية العقل الفقهي عند الأمة؛ لذلك، لم تكن إجاباته تقف عند حدود الفتوى؛ بل كانت تنطلق من مرجعية قرآنية تجعل النص هو المحور الأساس للاستنباط.

#### ١ - المنهج القرآني في الاستدلال:

لم يعالج الإمام الجواد عليه السلام الأسئلة الفقهية اعتماداً على الرأي أو القياس كما فعل بعض فقهاء عصره؛ بل أعادها دوماً إلى أصولها القرآنية. وهذا يبين أنه لم يكن يقدم (أحكاماً جاهزة) بقدر ما كان يعلم السائلين كيفية رد المسألة إلى النص. وهذا يختلف عن التوجه السائد في مدارس الرأي بالكوفة أو الحديث بالحجاز؛ إذ كان الميل إما إلى القياس أو إلى النقل المباشر من دون تفكيك. وهنا يظهر التفوق المنهجي لأهل البيت عليهم السلام في الجمع بين النص والفهم العميق.

#### ٢ - البعد الجدلي مع الفقهاء الرسميين:

الأسئلة الفقهية التي وُجِّهت إلى الإمام عليه السلام لم تكن طلباً للجواب دائماً؛ بل كانت أحياناً اختبارات سياسية أرادت السلطة العباسية بها إثارة الشبهات حول الإمام أو التشكيك في أهليته، ولاسيما مع صغر سنه. غير أن جوابه كان في كل مرة يكشف قصور المنهج الآخر، ويثبت أن المرجعية العلمية الحقيقية تكمن عند أهل البيت عليهم السلام. المثال الأبرز: مناظرته مع يحيى بن أكثم حول حكم المحرم إذا قتل صيداً؛ إذ بين أن الحكم يتنوع بتنوع الملابس، مما أبرز عجز السؤال المبسط أمام دقة القرآن الكريم ومقاصده.

### ٣- الوظيفة التربويّة للإجابات:

لم تكن إجابات الإمام الجواد عليه السلام حلولاً لمسائل فقهية فحسب؛ بل كانت دروساً تعليمية في أصول الفقه، تدرّب المخاطب على التفكير المركّب لا الاختزال. فهو يحوّل السؤال الفقهي إلى منهج للتفكير، فيعلّم الناس أنّ النصّ القرآني ليس معزولاً عن ظروف الفعل وزمانه ومكانه وثبته فاعله، وبذلك أسّس لوعي فقهيّ نقديّ يربط بين النصّ والواقع، بدل الاكتفاء بالفتوى التجزيئية.

### ٤- نقد المنهج الآخر:

بهذه الممارسة، يقدّم الإمام عليه السلام نقدًا ضمنيًا للفقه الذي يكتفي به (الحكم العام) أو (الجواب المختصر)؛ إذ يكشف أنّ الاقتصار على ظاهر النصّ أو القياس المجرّد يؤدّي إلى إغفال مقاصد الشريعة وتعدّد الحالات. وهنا يظهر الطابع الجدلي: فهو لا يهاجم مباشرة؛ بل يبرهن عملياً أنّ المنهج الآخر عاجز عن الوفاء بحاجات الواقع.

### ٥- أثره في بلورة المنهج الفقهي:

بهذا الأسلوب، لم يكن الإمام عليه السلام مجيباً على أسئلة فقهية فحسب؛ بل كان مؤسساً لمنهج متكامل يدمج بين النصّ القرآني بوصفه مصدراً أصيلاً، والتفصيل الأصولي في استنباط الأحكام، والمقاصد الكلية للشريعة (العدل، رفع الحرج، حفظ الكليات الخمس)، والبعد التربوي في تعليم الأمة كيف تتعامل مع النصّ، ونعرض هنا بعض الأمثلة لذلك:

### أ- علة اختلاف عدّة المطلقة وعدّة المتوفّي عنها زوجها:

تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجَلُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢]

أخرج ابن شهر آشوب عن علي بن مهزيار في حديث طويل، ((سئل الإمام الجواد عليه السلام: ما تقول يا بن رسول الله في رجل طلق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال أبو جعفر عليه السلام: تقرأ القرآن؟ قال: نعم! قال عليه السلام: اقرأ سورة الطلاق إلى قوله: **﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾** يا هذا لا طلاق إلا بخمس: شهادة شاهدين عدلين، في طهر من غير جماع بإرادة عزم. يا هذا هل ترى في القرآن عدد نجوم السماء؟ قال: لا))<sup>(١)</sup>، عُرِضَ السُّؤَالُ نَفْسَهُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ عَبَّاسٍ، فَكَانَ جَوَابَهُ مَغَايِرًا لِمَا بَيَّنَّهُ الْجَوَادُ عليه السلام فَقَالَ: ((يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزاء! لا أمل فيه))<sup>(٢)</sup>، وينقل الدنيوري (ت: ٢٧٦ هـ) جواباً آخر، وهو يختلف أيضاً عن جواب الإمام الجواد عليه السلام فقال: ((يكفيك منها هقعة الجوزاء، يريد أنها تبيّن منك بعدد كواكب الهقعة وهي ثلاثة))<sup>(٣)</sup>. وهنا كان النص القرآني في مواجهة الفتاوى الظنيّة.

فالإمام عليه السلام حين سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةِ الطَّلَاقِ بَعْدَ نَجُومِ السَّمَاءِ، لَمْ يَنْجَرَّ وَرَاءَ الْجَوَابِ الْإِفْتِرَاضِي أَوْ الرَّمْزِي كَمَا فَعَلَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَوْ الدُّنْيَوِيُّ؛ بَلْ رَدَّ السَّائِلَ مَبَاشَرَةً إِلَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ. فَبَيَّنَ أَنَّ الطَّلَاقَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِشُرُوطٍ مُحَدَّدَةٍ: شَهَادَةُ عَدْلَيْنِ، طَهْرٌ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، نِيَّةٌ وَعِزْمٌ. وَهَذَا يَظْهَرُ الْبَعْدَ الْجَدْلِيِّ: الْإِمَامُ فَضَحَ سَطْحِيَّةَ السُّؤَالِ، وَأَبْطَلَ مَنْطِقَ الْمَبَالِغَةِ بِالْعُودَةِ إِلَى صِرَامَةِ النَّصِّ، فِي حِينٍ قَدَّمَ غَيْرَهُ أَجُوبَةً ذَاتَ طَابَعٍ بِلَاغِي أَوْ عَاطِفِي لَا تَمْلِكُ أُسَاسًا تَشْرِيْعِيًّا مُحْكَمًا.

يَظْهَرُ الْجَوَادُ عليه السلام فِي مَوْقِفٍ آخَرَ فِلْسَافَةَ الْعِدَّةِ بَيْنَ الْحِكْمَةِ وَالشَّرْطِ الشَّرْعِيِّ فِي جَوَابِهِ عَنْ اخْتِلَافِ عِدَّةِ الْمَطْلُوقَةِ، وَعِدَّةِ الْمَتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجَهَا، قَدَّمَ الْإِمَامُ تَفْسِيرًا مَزْدُوجًا يَجْمَعُ بَيْنَ الْحِكْمَةِ التَّشْرِيْعِيَّةِ (اسْتِبْرَاءِ الرَّحْمِ)، وَالْمَعَادِلَةِ الْجَدْلِيَّةِ بَيْنَ

(١) بحار الأنوار: ٥٠ / ٩١، ومناقب آل البيت: ٤ / ٣٨٣، والعوالم: ١ / ٥٤٩، ومستدرک الوسائل: ١٥ / ٢٩١.

(٢) العقد الفريد: ٢ / ٩٢، وطبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار: ١ / ٨٣.

(٣) الأنواء في مواسم العرب: ١ / ٤١، والأزمئة والأمكنة: ١ / ٢٣٥.

الحقوق والواجبات: فالله جعل للمرأة حقاً في الإيلاء لا يتجاوز أربعة أشهر، فجعل عليها بالمقابل التزاماً بأربعة أشهر وعشراً عند وفاة الزوج. بهذا الطرح، أرسى الإمام قاعدة منهجية: الأحكام الشرعية ليست تعبدية فقط؛ بل متوازنة تقوم على المقابلة بين ما للمرأة وما عليها، كما جاء ((عن محمد بن سليمان، عن أبي جعفر الثاني عليه السلام)، قال: قلت له: جعلت فداك، كيف صارت عدّة المطلقة ثلاث حيض، أو ثلاثة أشهر، وصارت عدّة المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً؟ فقال: أمّا عدّة المطلقة ثلاثة قروء فذلك لاستبراء الرحم من الولد، وأمّا عدّة المتوفى عنها زوجها، فإنّ الله ﷻ شرط للنساء شرطاً، وشرط عليهنّ شرطاً، فلم يجابهنّ فيما شرط لهنّ، ولم يجر فيما شرط عليهنّ؛ فأما ما شرط لهنّ في الإيلاء أربعة أشهر؛ إن الله ﷻ يقول: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦] لم يُجَوِّز لأحدٍ أكثر من أربعة أشهر في الإيلاء؛ لعلمه تبارك وتعالى أنّه غاية صبر المرأة عن الرجل، وأمّا ما شرط عليهنّ، فإنّه أمرها أن تعتدّ إذا مات عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً، فأخذ منها له عند موته ما أخذ لها منه في حياته عند إيلائه؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] ولم يذكر العشرة أيام في العدّة إلا مع الأربعة أشهر، وعلم أنّ غاية صبر المرأة أربعة أشهر في ترك الجماع، فمن ثمّ أوجب لها وعليها<sup>(١)</sup>. على حين ركّز بعض المفسّرين على التقدير العددي أو المبالغات البلاغية (عدد الكواكب، أو نجوم السماء)، فإنّ الإمام الجواد عليه السلام أعاد الفقه إلى جذره القرآني والعقلي. والنقد هنا يكمن في أنّ منهج الآخرين يغلب عليه الظنّ والقياس والرمزية، في حين أنّ منهج الإمام يقوم على البرهان القرآني والانسجام الداخلي للنصّ، الفارق إذن ليس في النتيجة الفقهيّة فحسب؛ بل في طبيعة المنهج: بين منهج أهل البيت عليهم السلام القائم على النصّ القطعي، ومنهج الفقهاء القائم على الرأي والتأويل الظنيّ.

(١) البرهان في تفسير القرآن: ١ / ٤٦٨، ٤٨٦.

إنَّ إجابات الإمام الجواد عليه السلام لا تعطي حكماً شرعياً فقط؛ بل تُدرَّب العقل المسلم على قراءة النصِّ القرآني بوصفه حاكماً على الأقوال والفتاوى. هذه الممارسة جعلت من فقهه أداةً تصحيحيةً وجدليَّةً في آن: فهو يصحِّح الانحرافات في الفهم، ويجادل الخصوم بمرجعية النصِّ، ويقدم تصوراً أكثر عمقاً لمقاصد التشريع.

### ب- أكل الربا:

يتَّبَع الإمام الجواد عليه السلام المنهج القرآني في تحديد المخرج، فالإمام عليه السلام لم يتعامل مع مسألة الرجل الذي أربى دهرًا بفتوى شخصية أو اجتهاد بالرأي؛ بل رده مباشرةً إلى النصِّ القرآني: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾. هنا يبيِّن أنَّ القرآن الكريم هو المرجعية النهائية في معالجة الفعل الماضي، وأنَّ التوبة هي المعيار الفاصل بين التحريم والمسامحة. وبهذا، جعل الإمام النصَّ إطاراً كلياً يحدِّد القاعدة، بدل أن ينجرَّ إلى تفاصيل تسويغية أو اجتهادات قياس.

قال الإمام الجواد عليه السلام في توبة الجاهل بالحكم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]. ((جاء عن أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره، عن أبيه قال: إنَّ رَجُلًا أَرَبَى دَهْرًا مِنَ الدَّهْرِ فَخَرَجَ قاصِداً أبا جَعْفَرٍ عليه السلام فَسَأَلَهُ عَنِ ذَلِكَ، فَقَالَ لَهُ عليه السلام: مَخْرُجُكَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَقُولُ اللَّهُ: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَالْمَوْعِظَةُ هِيَ التَّوْبَةُ، فَجَهَلَهُ بِتَحْرِيمِهِ، ثُمَّ مَعْرِفَتُهُ بِهِ، فَمَا مَضَى فَحَلَّالٌ وَمَا بَقِيَ فَلْيَحْفَظْ))<sup>(١)</sup>.

(١) النوادر: ١ / ١٦١، ووسائل الشيعة: ١٠٠ / ١١٧.

فالإمام عليه السلام نقد التصورات المتشددة أو المتساهلة؛ إذ تميّز جوابه بجدليّة وسطيّة: فمن جهة، لم يجعل الجهل بالحكم ذريعة لإباحة الربا مستقبلاً؛ بل شدّد على ضرورة الالتزام بعد المعرفة. ومن جهةٍ أخرى، لم يسقط الماضي على صاحبه بعد التوبة؛ بل اعتبره مشمولاً بالحلّ استناداً إلى القرآن.

النقد هنا يكمن في أنّ بعض الفقهاء الآخرين كانوا إمّا يميلون إلى التشديد المطلق بالإلزام بردّ الأموال، أو إلى التساهل المطلق من دون قيد التوبة. على حين أنّ الإمام قدّم موقفاً جدليّاً متوازناً يحقق العدالة بين حق الله تعالى وحق العبد. ومما جاء في بيان الرواية ((أنّ وجه الإطلاق أنّ تكثّر المال بانضمام الربا أعمّ من أن يكون الربا الموجود في ضمن أمواله متميّزاً معروفاً أو غير متميّز، ففي كلتا صورتين يصحّ أن يقال: إنّ مال فلان قد كثر بالربا، وكذا قوله: (أرّبى دهرًا من الدهر) لا إشكال في إطلاقه. فهاتان الروايتان ومثلهما - من النصوص المطلقة الدالة على حليّة الربا المأخوذ حال الجهل مطلقاً، حتّى فيما لو كان الربا المأخوذ متميّزاً معروفاً - قرينة على إرادة الاستحباب من الأمر برده في بعض النصوص الأخرى))<sup>(١)</sup>.

وهناك أمر آخر، هو أنّ الإمام فسّر (الموعظة) بأنّها التوبة، ممّا يكشف عن بعد تربوي - فقهي عميق: فالعبرة ليست بالمعرفة التشريعيّة فحسب؛ بل بقدرّة النصّ على إيقاظ الوعي الأخلاقي. وبهذا لا يكون النصّ القرآني قاعدة قانونيّة فحسب؛ بل منظومة إصلاحية تستهدف تغيير السلوك. هذا الموقف يُبرّز مبدأ مهمّاً في منهج الإمام الجواد عليه السلام وهو: أنّ الجهل بالحكم لا يساوي العناد أو الإصرار؛ بل يفتح باب الرحمة بالتوبة، وأنّ التحريم القرآني لا ينفصل عن البعد العملي: (فما مضى فحلال، وما بقي فليحفظ). بمعنى أنّ التوبة تُحوّل التشريع إلى عملية إعادة توجيه للإنسان.

(١) فقه الربا: ٤٣٣/١.

### ت- إلزامية البسملة:

((عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي عِمْرَانَ الْهَمْدَانِيِّ، قَالَ: كَتَبْتُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: جُعِلَتْ فِدَاكَ مَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ ابْتَدَأَ بِ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي صَلَاتِهِ وَخَدَهُ فِي أُمَّ الْكِتَابِ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى غَيْرِ أُمَّ الْكِتَابِ مِنَ السُّورَةِ تَرَكَهَا، فَقَالَ الْعَبَّاسِيُّ <sup>(١)</sup>: لَيْسَ بِذَلِكَ بَأْسٌ، فَكَتَبَ بِخَطِّهِ: يُعِيدُهَا مَرَّتَيْنِ عَلَى رَغْمِ أَنْفِهِ، يَعْنِي: الْعَبَّاسِيُّ)) <sup>(٢)</sup>.  
وهناك أمثلة أخرى مثل: ما أهل غير الله <sup>(٣)</sup>، وعن الخمس <sup>(٤)</sup>.

هذه الرواية تبرز أن الخلاف بين الإمام الجواد عليه السلام وفقهاء البلاط لم يكن على تفاصيل جزئية فحسب؛ بل على المرجعية نفسها: هل تُبنى الأحكام على النصّ القرآني الملزم، أو على اجتهادات مرنة تُخضع العبادات للسياسة؟ وقد حسم الإمام الموقف بلهجة قاطعة، ليجعل من البسملة مثلاً على أن المنهج الفقهي لأهل البيت عليهم السلام هو احتجاج مستمر ضدّ اختزال النصّ وتحريف دلالاته.

تُظهر رواية إلزامية قراءة البسملة في السور القرآنية غير الفاتحة أن الإمام عليه السلام لم يكن يتعامل مع المسائل الفقهية بوصفها تفاصيل شكلية، بل على أنها مجالاً لتجسيد منهجه التفسيري القرآني. فعندما أجاب أحد فقهاء البلاط العباسي أن ترك البسملة في غير الفاتحة ((لا بأس به))، ردّ الإمام بلهجة قاطعة: ((يعيدها مرتين على رغم أنفه)) هذا الموقف لم يكن فتوى فحسب؛ بل احتجاج جدي يرسخ أن المرجعية في العبادات هي النصّ القرآني نفسه لا اجتهادات الفقهاء الرسميين. ومن هنا يتضح أن الإمام الجواد عليه السلام كان يؤسس لخطّ تفسيريّ مستقل، يجعل

(١) هو هشام بن إبراهيم العباسي، وكان يعارض الإمامين: الرضا والجواد عليهم السلام.

(٢) الكافي: ٣/ ٣١٣، وتهذيب الأحكام: ٢/ ٦٩.

(٣) ينظر: من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٤٤، وتهذيب الأحكام: ٩/ ٨٤.

(٤) ينظر: الاستبصار: ٢/ ٥٥، والمعتبر: ٢/ ٦٢٣، وتهذيب الأحكام: ٤/ ١٤٢، ومختلف الشيعة:

من تفاصيل العبادة شاهداً على أصالة المنهج الفقهي لأهل البيت عليهم السلام، مقابل النزعة التيسيرية التي سادت فقه السلطة العباسية. وبذلك، تتحوّل مسألة جزئية كالبسملة إلى أنموذج يبيّن أنّ التفسير الفقهي عند الإمام الجواد عليه السلام يقوم على الجمع بين الالتزام الحرفي بالنصّ، والاحتجاج الجدلي ضد الانحراف الفقهي والسياسي، ممّا يعكس استقلالية مدرسته وفاعليتها في مواجهة التيارات الأخرى. هذا الموقف يكشف أنّ الإمام يرى البسملة ليست زينة لفظية؛ بل جزءً جوهرياً من النصّ القرآني في الصلاة، ومن ثمّ فإنّ تركها تضييع لركن تعبدية متّصل بالوحي نفسه.

إنّ الفقه العباسي تعامل مع المسألة ببراغماتية سياسية: التبسيط في الشعائر ينسجم مع سياسة تذويب الخصوصية المذهبية وإضعاف تميّز أهل البيت عليهم السلام. أمّا الإمام الجواد عليه السلام فقد اتّخذ موقفاً جدلياً مضاداً، فأكد أنّ العبادة الصحيحة ليست خاضعة للاجتهاد السلطوي؛ بل مرتبطة بالنصّ القرآني كما هو.

فالزامية البسملة هنا ليست فتوى فحسب؛ بل تعبيرٌ عن منهجٍ أصوليٍّ يقرُّ أنّ النصّ (القرآن) هو المرجع المطلق في العبادات، وأنّ أيّ إخلالٍ به يقدم صورةً ناقصةً للشريعة. وهنا يتجلّى الفرق بين: إمام ينطلق من التعبّد بالنصّ، وآخرون ينطلقون من الاجتهاد بالرأي.

## المبحث الرابع: شرح الحدود في الأحكام الفقهية

شرح حدود القضايا الفقهية عند الإمام الجواد عليه السلام لم يكن بيان لأحكام الحدود؛ بل كان احتجاجاً جديلاً ضدَّ الفقه السلطوي الذي فسَّر النصوص على مقياس السلطة. فإجابات الإمام جمعت بين الدقة القرآنية والعدل التشريعي، وبين تثبيت مكانة الإمامة بوصفها مرجعيةً حقيقيةً مقابل إبطال سلطة الفقهاء المرتبطين بالعباسيين. وبذلك يتحوَّل النصُّ إلى ساحة جدلٍ يكشف فيها الإمام زيف المنهج الآخر ويثبت أصالة مدرسته.

### ١. الحد لمن حارب الله ورسوله:

إحدى السمات البارزة في شخصية الإمام الجواد عليه السلام العلمية هي تقديمه لإجابات شاملة ومفصلة على الأسئلة الفقهية والحدود المتعلقة بها.

على سبيل التمثيل، في تفسيره للآية: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣]، فما حكم مَنْ حارب الله، ويسرق أموال الناس، ويقتلهم، قال القمّي (ت: ٣٢٩هـ): ((حدّثني أبي عن علي بن حسان عن أبي جعفر عليه السلام قال: من حارب الله، وأخذ المال، وقتل، كان عليه أن يُقتل ويُصلب، ومن حارب، وقتل، ولم يأخذ المال، كان عليه أن يُقتل ولا يُصلب، ومن حارب فأخذ المال، ولم يقتل، كان عليه أن تُقطع يده ورجله من خلاف، ومن حارب ولم يأخذ المال ولم يقتل كان عليه أن يُنفى))<sup>(١)</sup>، ثم ذكر الله تعالى استثناءً قائلاً: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فاعلموا أن الله غفورٌ رحيمٌ﴾ [المائدة: ٣٤].

(١) تفسير القمّي: ١/ ١٦٧، ووسائل الشيعة: ١٨ / ٥٣٧، وتفسير البرهان: ٢ / ٢٨٨.

في تفسيره لآية المحاربين، فرّق الإمام عليه السلام بين الحالات بدقّة: القتل والصلب لمن جمع بين القتل وأخذ المال، والقتل فقط لمن قتل ولم يأخذ المال، وقطع الأعضاء لمن أخذ المال دون قتل، والنفي لمن اقتصر على التخويف. هذا التفصيل يرسخ قاعدة أنّ الحدود لا تُطبّق بصورة عشوائية أو بالهوى السلطوي؛ بل على وفق نصوص قرآنية مؤطرة بتميز الحالات بخلاف ما ذهب إليه فقهاء المعتصم، الذين جعلوا الأمر بيد الحاكم يختار أيّ عقوبة شاء، وهو انحراف يجعل النّص خاضعاً لإرادة السّلطة لا حاكماً عليها. وإليك بعض الأمثلة:

## ٢. حكم الحد على من أقرّ باللواط

سأل يحيى بن أكثم: ((أخبرني عن رجل أقرّ باللواط على نفسه أُمّجد، أم يُدراً عنه الحد؟ فأجاب: وأمّا الرجل الذي اعترف باللواط فإنّه لم تقم عليه بيّنة وإنّما تطوّع بالإقرار من نفسه، وإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله كان له أن يمنّ عن الله، أما سمعت قول الله: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٩])<sup>(١)</sup>، وختم الإمام الجواد عليه السلام إجاباته فقال: ((قد أنبأناك بجميع ما سألتنا عنه فاعلم ذلك))<sup>(٢)</sup>.

في سؤال الاعتراف باللواط، لم يكتفِ الإمام الجواد عليه السلام ببيان أنّ الحد يُدراً؛ لعدم وجود البيّنة؛ بل استدللّ بأية ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ليؤكد أنّ سلطة الإمام الشرعي تختلف عن سلطة القاضي الرسمي: فالإمام مفوّض من الله في تطبيق العقوبة أو العفو، بخلاف القاضي الذي يخضع لمعايير السّلطان. بهذا الجواب، حوّل الإمام المسألة من (فتوى في واقعة) إلى احتجاج سياسيّ فقهيّ يُثبت حصرية أهل البيت عليهم السلام في المرجعية التشريعية.

(١) تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام: ١ / ٤٨١.

(٢) بحار الأنوار: ١٠ / ٣٩٠.

### ٣- حكم قطع الطريق:

جمع الخليفة العباسي المعتصم الفقهاء وابن أبي داود، ثم سأل الآخرين عن الحكم فيهم، وأبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام حاضرًا، ((فقالوا: قد سبق حكم الله فيهم في قوله: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] ولأمير المؤمنين (المعتصم) أن يحكم بأيّ ذلك شاء فيهم، قال: فالتفت إلى أبي جعفر عليه السلام فقال له: ما تقول فيما أجابوا فيه فقال: قد تكلم هؤلاء الفقهاء والقاضي بما سمع أمير المؤمنين، قال: وأخبرني بما عندك، قال: إنهم قد أضلوا فيما أفتوا به، والذي يجب في ذلك أن ينظر أمير المؤمنين في هؤلاء الذين قطعوا الطريق. فإن كانوا أخافوا السبيل فقط، ولم يقتلوا أحدًا، ولم يأخذوا مالًا أمر بإيادعهم الحبس، فإن ذلك معنى نفيتهم من الأرض بإخافتهم السبيل، وإن كانوا أخافوا السبيل وقتلوا النفس أمر بقتلهم، وإن كانوا أخافوا السبيل، وقتلوا النفس وأخذوا المال، أمر بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم بعد ذلك، قال: فكتب إلى العامل بأن يمثل ذلك فيهم))<sup>(١)</sup>.

فالفقهاء العباسيون<sup>(٢)</sup> فسروا آية الحرابة بمنطق (التخيير للحاكم)، على حين أن الإمام الجواد عليه السلام واجه هذا بإعادة النصّ إلى سياقه التفصيلي الذي يربط العقوبة بطبيعة الجريمة.

(١) تفسير العياشي: ١ / ٣١٥.

(٢) الحنفية: يرون أن العقوبات المذكورة في الآية على سبيل التخيير للإمام، فيختار ما يراه مناسبًا بحسب مصلحة الحال، سواء القتل، أو الصلب، أو القطع، أو النفي. ينظر: المبسوط: ٩ / ١٩٥، والمالكية: يعتبرون العقوبات مفصلة بحسب الفعل؛ فمن قتل وأخذ المال يُقتل ويصلب، ومن قتل فقط يُقتل، ومن أخذ المال دون قتل تُقطع يده ورجله من خلاف، ومن أخاف السبيل فقط يُنفي. ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٦ / ١٥١-١٥٢. الشافعية والحنابلة: تردّدوا بين التخيير والتفصيل، لكنّ الغالب عندهم الميل إلى التفصيل كالمالكية، مع اختلافات جزئية في ترتيب العقوبات. ينظر: المغني: ١٢ / ٤٩١-٤٩٢.

النقد هنا أنّ الفقه الرسمي انزلق إلى تسويغ استبداد السُّلطة، على حين أنّ الإمام حمى النصّ القرآني من التوظيف السياسي، وأثبت أنّ الشريعة تضبط الحاكم لا أن يُضبط النص بإرادته.

من هذه الأمثلة، يظهر أنّ الإمام الجواد عليه السلام اعتمد في إجاباته على: تفصيل الحالات لبيان عدالة النص. والاحتجاج القرآني لا الرأي الشخصي. ورفض إطلاق السُّلطة للحاكم في تقرير الحدود، ودمج البعد السياسي بالفقهي لإظهار الفرق بين منهج أهل البيت عليهم السلام ومنهج فقهاء البلاط.

وقد بيّنت الروايات الواردة عن الإمام الجواد عليه السلام بدقّة أنّ العقوبات ليست مطلقة لاختيار السلطان؛ بل مفصّلة بحسب الجريمة، وهو قريب من مذهب المالكية لكن بدقّة أكبر:

- من قتل وأخذ المال: يُقتل ويُصلب.
- من قتل ولم يأخذ المال: يُقتل ولا يُصلب.
- من أخذ المال دون قتل: تُقطع يده ورجله من خلاف.
- من أخاف السبيل دون قتل ولا سرقة: يُنفى (بالحبس)<sup>(١)</sup>.

(١) تفسير العياشي: ١ / ٣١٥.

## المبحث الخامس

### علل الأحكام في التفسير الفقهي عند الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ

إنَّ تسوية الأحكام عند الإمام الجواد عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس مجرد تفسير تعليمي؛ بل احتجاج جدي ضد مناهج الفقه التي جمدت على ظاهر الحكم أو أخضعته لهوى السلطان. ففي كلِّ مثال، يربط الإمام الحكم بعلمته ومقصده: العدل في الحدود، والنص في الرضاع، والضرورة في الاضطرار. وبذلك يقدم أنموذجاً فريداً للمنهج الفقهي التفسيري العلي الذي يكشف حكمة الشريعة ويثبت أصالتها في مواجهة القراءات الأخرى.

كان الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في بعض الأحيان يوضح أسباب تشريع الأحكام في أثناء تفسيره للآيات الفقهية، مما يعزز فهم أعمق للحكمة الكامنة وراء تلك التشريعات.

وهناك أمثلة عدّة سنذكر بعضاً منها:

أ- حكم من نبش قبر امرأة وفجر بها:

((قال أبو جعفر عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا سُئِلَ الرَّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ نَبَشِ قَبْرِ امْرَأَةٍ فَفَجَّرَ بِهَا، وَأَخَذَ ثِيَابَهَا، فَأَمَرَ بِقَطْعِهِ لِلسَّرْقَةِ، وَجَلَدَهُ لِلزَّانَا، وَنَفِيَهُ لِلْمُثَلَّةِ، فَفَرَحَ الْقَوْمُ))<sup>(١)</sup>.

في مثال نبش القبر والفجور بالمرأة، لم يقدم الإمام الحكم متفرقاً (سرقة وزنى ومثلة) إلا بعد أن ربط كلَّ عقوبة بالفعل الذي يناسبها: القطع للسرقة، والجلد للزنا، والنفي للمثلة. هذا التفكيك الجدلي أرسى أن العقوبات ليست مجرد تجميع حدود؛ بل هي مقابلة عادلة لكلِّ جريمة جزائها. هنا يتجاوز الإمام الفقه السطحي الذي ربما يكتفي بحكم واحد، ليرز التناسب التشريعي الذي يحفظ العدالة.

(١) دلائل الإمامة: ١ / ٣٩٠.

ب- علة عدم تحريم أكل الميتة على المضطر:

فإذا لم يكن للمضطرّ الغداء أو العشاء، ولم يجد بقلًا حلَّ له الميتة بالإشارة  
للآية: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ  
اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣].

((روى عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام  
أنه قال: سألته عمّا أهّل لغير الله به، فقال: ما ذبح لصنم أو وثن أو شجر، حرّم  
الله ذلك كما حرّم الميتة والدم ولحم الخنزير، فمن اضطرّ غير باغ ولا عاد فلا  
إثم عليه أن يأكل الميتة، قال: فقلت له: يا ابن رسول الله متى تحلّ للمضطر  
الميتة؟ قال: حدّثني أبي، عن أبيه، عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله سئل فقيل  
له: يا رسول الله إنّنا نكون بأرض فتصيينا المخمصة فمتى تحلّ لنا الميتة؟ قال: ما  
لم تصطبخوا أو تغتبقوا أو تحتفتوا بقلًا فشانكم بها))<sup>(١)</sup>.

في إباحة الميتة للمضطرّ، أعاد الإمام الحكم إلى مقصد رفع الحرج وصيانة  
النفس، فالمعيار ليس الجوع فحسب؛ بل حالة الضرورة القصوى التي تهدّد  
الحياة. بهذا، يبرز المنهج الجدلي: الفقه ليس نصًّا جامدًا؛ بل نصٌّ مرتبطٌ بغاية  
(حفظ النفس). وهنا ينتقد ضمنيًا القراءات التي قد تُضيّق على المضطرّ أو تُطلق  
الإباحة بلا قيد، ليؤكد أنّ الحكم مقيّد بالمقصد الإنساني للشريعة.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٤٣، وتهذيب الأحكام: ٩/ ٨٣، ومختلف الشيعة: ٨/ ٣٢١.

## الخاتمة:

مَّا مَرَّ يَتَّضِحُ أَنَّ مَشْرُوعَ الْإِمَامِ الْجَوَادِ عليه السلام لَمْ يَكُنْ اجْتِهَادًا فِي اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ فَحَسَبَ؛ بَلْ مِنْهَجٌ جَدَلِيٌّ إِصْلَاحِيٌّ يَتَأَسَّسُ عَلَى:

- رَدُّ الْمَسَائِلِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسَّنَةِ الْمَوْثُوقَةِ، وَنَبْذِ الرَّأْيِ وَالْقِيَاسِ.
- إِبْرَازِ عِلَلِ الْأَحْكَامِ وَرِبْطِهَا بِمَقَاصِدِهَا التَّشْرِيعِيَّةِ.
- التَّفْصِيلِ فِي الْإِجَابَةِ بِمَا يَحْتَقِقُ عَدَالَةَ النَّصِّ وَانْسِجَامَهُ مَعَ الْوَاقِعِ.
- الْاِحْتِجَاجِ عَلَى فِقْهِ السُّلْطَةِ وَتَثْبِيتِ الْمَرْجِعِيَّةِ الْأُصِيلَةَ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام

وَهَكَذَا ظَهَرَ أَنَّ الْمَنْهَجَ الْفَقْهِيَّ عِنْدَ الْإِمَامِ الْجَوَادِ عليه السلام لَمْ يَكُنْ إِنتَاجًا لِلْأَحْكَامِ فَحَسَبَ؛ بَلْ كَانَ مَشْرُوعًا إِصْلَاحِيًّا شَامِلًا يَرْبِطُ النَّصَّ بِالْوَاقِعِ، وَالْحُكْمَ بِالْغَايَةِ، وَالتَّفْسِيرَ بِالْاِحْتِجَاجِ. وَفِيهِ تَكَرَّرَتْ مَرْجِعِيَّةُ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام بِوَصْفِهِمْ تَرَاجِمَةَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ وَمَقَاصِدِهِ، وَالْقَائِمِينَ عَلَى حِفْظِهِ وَبَيَانِهِ، بَعِيدًا عَنِ تَحْرِيفِ السِّيَاسَةِ وَتَوْظِيفِ الْفِقْهِ لَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ؛ لِيَحْتَلَّ مَكَانَةً فَرِيدَةً فِي تَارِيخِ الْفِكْرِ الْإِسْلَامِيِّ، وَيُؤَسِّسَ لِرُؤْيَا عِلْمِيَّةٍ تَتَجَاوَزُ حُدُودَ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- ١- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، تح: زمري، فواز أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢١ هـ.
- ٢- الاحتجاج، الطبرسي أحمد بن علي (ت: ٦٢٠ هـ)، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
- ٣- أحكام القرآن، ابن العلاء، أبو الفضل بكر بن محمد بن العلاء القشيري البصري المالكي (ت: ٣٤٤ هـ)، تح: سلمان الصمدي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، ط١، ٢٠١٦ م.
- ٤- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليه السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٢، ١٩٩٣.
- ٥- الأزمنة والأمكنة، المرزوقي الأصفهاني أحمد بن محمد بن الحسن (ت: ٤٢١ هـ)، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٦.
- ٦- الاستبصار، الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، دار الكتب الإسلاميّة، طهران.
- ٧- الأنواء في مواسم العرب، ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦ هـ).
- ٨- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (ت: ١١١١ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣ م.

- ٩- البرهان، الزركشي (ت: ٧٩٤ هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط ١، ١٩٥٧.
- ١٠- البرهان في تفسير القرآن، البحراني السيّد هاشم (ت: ١١٠٧ هـ)، تح: قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، مقدمة: الخطوط والاتجاهات العامّة للتفسير عند أهل البيت عليهم السلام، قسم الدراسات الإسلاميّة، مؤسّسة البعثة، قم.
- ١١- تحف العقول عن آل الرسول عليهم السلام، ابن شعبة الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين (ق ٤ هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، ١٤٠٤ هـ.
- ١٢- تفسير الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١ هـ)، دار الكتب العلميّة، ط ١، بيروت، ١٩٨٣.
- ١٣- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ)، مكتبة الصدر، طهران.
- ١٤- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠ هـ)، تح: الحاج السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران.
- ١٥- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (ت: ٣٢٩ هـ)، دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ١٤٠٤ هـ.
- ١٦- تفسير نور الثقلين، العروسي الحويزي عبد علي بن جمعة، مؤسّسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم.
- ١٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، ط ١، ٢٠٠١ م.

١٨- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريّة، القاهرة، ط ٢، ١٩٦٤.

١٩- دلائل الإمامة، الطبري محمد بن جرير (الشيوعي) (ت: ق ٤ هـ)، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، قم، ١٤١٣هـ.

٢٠- روضة الواعظين، الفتال النيسابوري (ت: ٥٠٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، قم.

٢١- طبائع النساء وما جاء فيها من عجائب وأخبار وأسرار، ابن عبد ربّه الأندلسي أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه (ت: ٣٢٨ هـ)، مكتبة القرآن، القاهرة.

٢٢- العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسي أبو عمر شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربّه بن حبيب بن حدير بن سالم (ت: ٣٢٨ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٤هـ.

٢٣- عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأقوال، الإمام بن علي الجواد (عليه السلام)، البحراني الأصفهاني عبد الله بن نور الله (ت: ١١٣٠ هـ)، مؤسّسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم، ١٤١٣هـ.

٢٤- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، الصدوق محمد بن علي (ت: ٣٨١ هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٤م.

٢٥- فقه الرّبا (دليل تحرير الوسيلة للإمام الخميني قدّس سرّه)، علي أكبر سيفي، مؤسّسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران، ١٤٣٠هـ.

٢٦- الكافي، الكليني (ت: ٣٢٩ هـ)، دار الحديث للطباعة والنشر، قم.

٢٧- كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، الإربلي علي بن أبي الفتح (ت: ٦٩٣هـ)، دار الأضواء، بيروت.

٢٨- المبسوط، السرخسي محمّد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمّة (ت: ٤٨٣هـ) مطبعة السعادة، مصر.

٢٩- مختلف الشيعة، العلامة الحلي (ت: ٧٢٦هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ١٤١٨هـ.

٣٠- مستدرك الوسائل، حسين النوري الطبرسي (ت: ١٣٢٠هـ)، مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٩٨٧م.

٣١- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تح: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٩٩٧.

٣٢- المعتبر، المحقّق الحلي (ت: ٦٧٦هـ)، مؤسّسة سيّد الشهداء، قم.

٣٣- المغني، ابن قدامة موفق الدين أبو محمّد عبد الله بن أحمد بن محمّد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت: ٦٢٠هـ)، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، ط ٣، ١٩٩٧.

٣٤- من لا يحضره الفقيه، الصدوق أبو جعفر محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت: ٣٨١هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، ١٤١٣هـ.

٣٥- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، محمّد بن علي (ت: ٥٨٨هـ)، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٥٦م.

- ٣٦- الموافقات، الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي (ت: ٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عфан، ط١، ١٩٩٧.
- ٣٧- الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي محمد حسين (ت: ١٤٠٢ هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
- ٣٨- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، محمد عبد الله دراز، دار القلم، القاهرة، ١٩٧٠.
- ٣٩- النوادر، الأشعري القمي أحمد بن محمد بن عيسى (ت: ق ٣ هـ)، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، ١٤٠٨ هـ.
- ٤٠- وسائل الشيعة، الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

Zohreh Akhavan-Moghadam, Javad Mahmoudvand, An -٤١  
Analysis of the Features of Imam Jawad's (AS.) Tafsir and  
Typology of his Interpretive Narrations, International Journal  
of Multicultural and Multireligious Understanding, Vol 9, No  
12, 2022



عَنْ أَبَانَ بْنِ تَغْلِبَ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ

عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «النَّاسُ أَرْبَعَةٌ فَقُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ وَمَا هُمْ

فَقَالَ رَجُلٌ أُوِيَ الْإِيمَانَ وَلَمْ يُؤْتَ الْقُرْآنَ وَرَجُلٌ أُوِيَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يُؤْتَ  
الْإِيمَانَ وَرَجُلٌ أُوِيَ الْقُرْآنَ وَأُوِيَ الْإِيمَانَ وَرَجُلٌ لَمْ يُؤْتَ الْقُرْآنَ وَلَا  
الْإِيمَانَ قَالَ قُلْتُ جُعِلْتُ فِدَاكَ فَسَرَّ لِي حَالَهُمْ فَقَالَ أَمَّا الَّذِي أُوِيَ  
الْإِيمَانَ وَلَمْ يُؤْتَ الْقُرْآنَ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا حُلْوٌ وَلَا رِيحَ لَهَا  
وَأَمَّا الَّذِي أُوِيَ الْقُرْآنَ وَلَمْ يُؤْتَ الْإِيمَانَ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْأَمْسِ رِيحُهَا طَيِّبٌ  
وَطَعْمُهَا مُرٌّ وَأَمَّا مَنْ أُوِيَ الْقُرْآنَ وَالْإِيمَانَ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْأَنْزُجَةِ رِيحُهَا  
طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَأَمَّا الَّذِي لَمْ يُؤْتَ الْإِيمَانَ وَلَا الْقُرْآنَ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ  
الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ وَلَا رِيحَ لَهَا»

الكافي، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ) / ١: ٦٠٤



دَلَالَاتُ مَرْوِيَّاتِ أُبَانَ بْنِ تَغْلِبَ (ت: ١٤١هـ / ٧٥٨م) فِي الْعُلُومِ  
الدِّينِيَّةِ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ

أم د: عَبَّاسُ نَصِيفُ جَاسِمُ  
كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة / أقسام بابل

The Jurisprudential Methodology in The Interpretation of the  
Qur'an According to Imam Al-Jawad (Peace Be Upon Him)

Prof. Dr. Ahmed Al-Saffar

University of Manchester / United Kingdom

### المُلخَص:

كان أبان بن تغلب علم من أعلام التاريخ الإسلامي، ومفخرة من مفاخر مدرسة التابعين؛ إذ أخذ من ينابيع الإسلام واغترف من أسرار آل البيت عليهم السلام، وتخلّق بأخلاقهم وتحمّل بعقيدتهم، فقوى عوده بمبادئهم السّامية حاملاً علومهم ومعارفهم، سائراً على نهجهم في إحقاق الحقّ وردّ الباطل، فكان لذلك أثر كبير في تحصيله العلوم والمعارف؛ إذ ترك أثراً واضحاً في شتّى المجالات ومنها (العلوم الدينية)، التي تناولتها في هذا البحث الموسوم (دلالات مرويات أبان بن تغلب (ت: ١٤١هـ/ ٧٥٨م) في العلوم الدّينيّة دراسة تحليليّة)، وقسمتها على ثلاثة مباحث أظهرت دلالات هذه المرويّات التي عملت على ترصين البناء الاجتماعي للأمة الإسلاميّة .

الكلمات المفتاحيّة: أبان بن تغلب، دلالة المرويّات، العلوم الدّينيّة.

## Abstract:

Uban ibn Taghlib was one of the prominent figures of Islamic history and a source of pride for the school of the Followers (al-Tābi‘īn); for he took from the springs of Islam, drew from the secrets of the Ahl al-Bayt (peace be upon them), adopted their morals, and was adorned with their creed. His character was strengthened by their lofty principles, carrying their sciences and knowledge, and walking upon their path in establishing truth and refuting falsehood. This had a great impact on his acquisition of sciences and knowledge, as he left a clear influence in various fields, including the religious sciences, which I addressed in this study titled: “Indications of the Narrations of Uban ibn Taghlib (d. 141 AH / 758 CE) in the Religious Sciences — An Analytical Study.” I divided it into three sections in which I demonstrated the indications of these narrations that contributed to strengthening the social structure of the Islamic nation.

**Keywords:** Uban ibn Taghlib, indication of narrations, religious sciences.

## المُقدِّمة

لقد شَرَفَ اللهُ تعالى صحابة رسوله ﷺ الملتزمين بنهجه، وانتدبهم لحفظ شريعته ولزوم سنته والعمل بها، ثم أتباعهم ليتّموا ذلك؛ إذ ارتحلوا في الحواضر الإسلاميّة وطلبوا العلم وأحكموه، وجاءت أهميّة هذه الدراسة لتكشف عن الجهد العلمي لأبان بن تغلب في نقل مرويات علماء الأُمَّة الإسلاميّة وبيانها؛ ولاسيما أنّها عن أئمة آل البيت عليهم السلام، فسعت إلى لملمة مروياته ومناقشتها وبيان دلالاتها، لحقّب مهمّة من تاريخ الحضارة الإسلاميّة، أملاً إضافة شيء إلى المكتبة الإسلاميّة ينتفع به طلاب العلم فيطلعوا على أهميّة المرويّات التي نقلها أبان عن آل البيت عليهم السلام.

وقد قسّمت مادّة البحث على مقدّمة وثلاثة مباحث، وخاتمة ضمّت أهمّ النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة، وقائمة المصادر والمراجع.

درست في المبحث الأوّل جوانب من دلالات مرويات أبان بن تغلب في علوم القرآن الكريم في مطلبين: خُصّص الأوّل منهما لتفسير آيات القرآن الكريم في ثماني فقرات، والآخر ناقشت أسباب نزول آيات القرآن الكريم في ثلاث فقرات، أمّا المبحث الثاني فوسّمْ بدلالات مرويات أبان بن تغلب في العلوم الدينيّة دراسة تحليليّة، وقسّم إلى عشر فقرات ناقشت نماذج من دلالات مروياته في العلوم الدينيّة، في حين وُسّمْ المبحث الثالث بدلالات مروياته في المعاملات دراسة تحليلية في أربع فقرات ظهرت فيها المعاملات الإسلاميّة الصحيحة.

## المبحث الأول

دلالات مرويات أبان بن تغلب في علوم القرآن الكريم دراسة تحليلية

### المطلب الأول

#### علم التفسير

- التفسير لغةً: هو ((الإبانة وكشف المغطى، تقول: فسّرت الشيء أي: بيّنته))<sup>(١)</sup>، وأنه ((الإيضاح والتبيين لكلام الله ﷻ يُذكر فيه مفهوم الكلمات والعبارات الموجودة في القرآن الكريم))<sup>(٢)</sup>.

- التفسير اصطلاحاً: هو ((علم يُعرف به فهم كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه وأحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف، وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ))<sup>(٣)</sup>.

وعلم التفسير هو أحد العلوم النقلية التي اشتغل بها المسلمون لفهم معاني القرآن الكريم وبيان آياته الكريمة، وتوضيح غامضها وكشف المراد منها، وقد كان النبي محمد ﷺ يُعرّف أصحابه فعرفوه وعرفوا سبب نزول الآيات ومقتضى الحال منها منقولاً عنه، ونقل ذلك عن الصحابة وتداول ذلك التابعون من بعدهم ولم يزل متناقلاً حتى صارت المعارف علوماً، فدوّنت الكتب ونُقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين، فوضعها المفسّرون في كتبهم المتعددة<sup>(٤)</sup>، ومنها ما نقله أبان بن تغلب التي سوف نورد منها جوانب مرتّبة بحسب سور القرآن الكريم على النحو الآتي:

(١) حقائق التأويل في مشابه التنزيل: ١٣، ولسان العرب: ٥٥ / ٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن: ١٩٣ / ٢.

(٣) مفتاح السعادة: ٥٤ / ٢.

(٤) ينظر: المقدمة: ٣٢٥، وتاريخ الإسلام: ٤٠٩ / ١.

## ١ - التخيير بين القصاص والدية:

لا يخفى أنَّ مسيرة الشعوب والأمم لا تخلو من القصاص في القتل وإن لم يضبطه ضابط تام حتى جاء الإسلام برنامجاً وسطاً؛ إذ (أثبت القصاص وأجاز معه العفو والدية)، وقد ورد في القرآن الكريم تبيان لأحكام القصاص منها في قوله ﷺ: ﴿فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وفي تفسير هذه الآية نقل أبان بن تغلب عن ابن أبي نجيح<sup>(١)</sup> عن ابن عباس الذي قال: ((كانت بنو إسرائيل إذا قُتِلَ منهم القتيل عمداً لم يحل لهم إلا القود<sup>(٢)</sup>، وأحلَّت لكم الدية، فأمر هذا أن يتبع بمعروف، وأمر هذا أن يؤدَّى بإحسان؛ ذلك تخفيف من ربكم))<sup>(٣)</sup>. دلت مروية أبان بن تغلب على اتباع المعروف من قبل ولي المقتول إذ يعفو، أي: (يترك القصاص ويرضى بالدية) بأسلوب وطريقة مهذبة، وعلى القاتل أن يؤدِّي ما عليه من دية بإحسان وبشكل جميل، وأن يتبع أمر الله تعالى في مصالحة المقتول وإرضائه، وأن (جعل الدية والعفو) خياراً مع القصاص هو تخفيف من الله تعالى، ورحمة للناس وحقناً للدماء<sup>(٤)</sup>.

## ٢ - التمسك بالقرآن وأهل البيت ﷺ:

إنَّ القرآن الكريم تكفل بهداية البشرية في جميع شؤونهم وأطوارهم وفي مختلف أدوارهم وهو الضامن لنيلهم السعادة الكبرى في العاجل والآجل، وعنى بأمر المجتمع ودعا الناس إلى سعادة الحياة وطيب العيش مجتمعين؛ إذ وردت آيات كثيرة داعية إلى الائتلاف والاتفاق، ومنها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾

- (١) ابن أبي نجيح: عبد الله بن أبي نجيح، كثير الحديث، وذكر أنه كان يقول بالقدر، توفي سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م). ينظر: الطبقات الكبرى: ٥/٤٨٣، وبحر الدم: ٩١.  
 (٢) القود: القتل بالقتيل. العين: ٥/١٩٦، والقاموس الفقهي: ٣٠٩.  
 (٣) المعجم الكبير: ١١/٧٧-٧٨، والكامل في الضعفاء: ٦/٢٥٩.  
 (٤) ينظر: فقه القرآن: ٢/٤٠٠، وزبدة البيان في أحكام القرآن: ٦٦٩.

[آل عمران: ١٠٣]، ومن الروايات الواردة في تفسيرها ما رواه أبان بن تغلب عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: ((نحن جبل الله الذي قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾))<sup>(١)</sup>.

وقال الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ): ((قيل في تفسير جبل الله أقوال منها: أنه القرآن، والثاني أنه دين الله، أي: الإسلام، والدلالة الأهم ما رواه أبان بن تغلب والأولى حملة على الجميع، لما قاله أبو سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: أيها الناس إنني قد تركت فيكم جبلين إن أخذتم بهما، لن تضلوا بعدي، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))<sup>(٢)</sup>.

### ٣- في الحسد:

إن الحسد من أبغض صفات المعاصي وأشرها وأفسدها للقلب، وهو من جحود فضل الله، وقد ورد ذم الحسد في القرآن الكريم؛ إذ قال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤]، التي روى في تفسيرها أبان بن تغلب عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: ((نحن المحسودون))<sup>(٣)</sup>.

ودلالة المروية أن النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام كانوا عرضة للحسد؛ لما أعطاهم الله من الفضل والعلم<sup>(٤)</sup>.

### ٤ - في الكون مع الصادقين:

الصدق من أشرف الصفات الكريمة التي تؤدّي إلى سمو الإنسان ورفعته؛

(١) تفسير فرات الكوفي: ٩٠-٩١، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/١٦٣.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٢/٣٥٦-٣٥٧.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ١٠٦، وشواهد التنزيل: ١/١٨٣.

(٤) ينظر: تفسير فرات الكوفي: ١٠٦، وشواهد التنزيل: ١/١٨٣.

لذا تسابق نحوها المجتمع العربي وأقرها الدين الإسلامي وعُني بها، ودعا لأن يُتخذ حامل هذه الصفة أسوة حسنة، فقد روى أبان بن تغلب عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، قال: ((كونوا مع علي بن أبي طالب عليه السلام))<sup>(١)</sup>.

وفي هذه المروية دلالة بيّنة على اتخاذ الإمام علي عليه السلام قدوة وأسوة حسنة؛ لكونه من أصدق المسلمين، فقد تجسّدت هذه الصفة بشكل جلي في أفعاله وأقواله، فهو من الصادقين حقاً.

#### ٥- تهديد الله تعالى لمشركي قريش:

لقد أرسل الله تعالى نبيّه لوطاً عليه السلام<sup>(٢)</sup> إلى قومه الذين كانوا يأتون الفاحشة التي ما سبقهم بها أحد من العالمين، وما كان جواب قومه له؛ إذ ويخهم على فعلهم القبيح، إلا أن قالوا: أخرجوا لوطاً وأهله، ومن كان على دينه من قريتهم. فأنجاه الله وأمطر على قومه مطراً من حجارة من سجيل أهلكهم بها؛ لأنهم كذبوا لوطاً ولم يؤمنوا به<sup>(٣)</sup>، فضر بهم الله مثلاً للنبي عليه السلام، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعْدٍ﴾ [هود: ٨٣]، الذي أورده أبان بن تغلب عن مجاهد: ((أن يصيبهم ما أصاب القوم))<sup>(٤)</sup>. فدلّت مروية أبان أن الله تعالى كان يهدّد مشركي قريش بالسير في طريق الهداية والصلاح وترك الشرك والظلال، وذكرهم بعاقبة المعاندين الذين لم يؤمنوا برسالة النبي عليه السلام محمد عليه السلام فيعذبوا بغضب من الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٧٢-١٧٣، وشواهد التنزيل: ١/ ٣٤٤.

(٢) لوط عليه السلام: هو لوط بن هاران بن تارح، بعثه الله تعالى إلى أهل سدوم من أرض الأردن، فأهلكهم الله لإتيانهم الفاحشة وأنجاه وبناته إلا أمرأته كانت من الغابرين. ينظر: جامع البيان: ١٢/ ١١٩، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤/ ٢٥٩.

(٣) ينظر: جامع البيان: ٨/ ٣٠٥-٣٠٧.

(٤) م. ن: ١٢/ ١٢٥-١٢٦.

(٥) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٣/ ٣٤٦.

٦- من أنباء الرُّسل:

القرآن الكريم أتخذ من القصّة أسلوباً لتأكيد بعض المفاهيم الدنيّة لدى الأمّة الإسلاميّة، وأنّ نزول القصّة جاء لمعالجة روحية تتعلّق بحوادث مختلفة كانت تواجه النبيّ ﷺ<sup>(١)</sup>، والله سبحانه وتعالى يقصُّ على النبيّ ﷺ<sup>(٢)</sup> قصص الأنبياء وما واجهوه، ومقاومتهم للمعاندين وانتصارهم من أجل تقوية قلب الرسول ﷺ<sup>(٣)</sup>، والمؤمنين الذين يلتفتون حوله<sup>(٤)</sup>، وفي الآية المباركة: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، فقد أورد أبان عن مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾، ((أي: في هذه السورة))<sup>(٥)</sup>.

لقد دلّت المروية على تعدّد الآراء في تفسيرها، فقول: ما جاءك في هذه الأنبياء، وقيل: ما جاءك في هذه الأزمان، وقيل: ما جاءك في الدنيا، والأوّل أصحُّ، والتقدير: وجاءك في هذه السورة الحقُّ مع ما جاءك في سائر السور<sup>(٦)</sup>.

٧- القرآن بيان لكلِّ شيء:

روي عن الإمام أبي جعفر الباقر<sup>(٧)</sup>: أن الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمّة إلّا أنزله في كتابه<sup>(٨)</sup>، وكما قال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]، فقد روى أبان عن مجاهد في تفسير قوله ﷺ: ﴿تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾، ((ما أحلّ الله لهم وحرّم عليهم))<sup>(٩)</sup>، أي: إنّ برامج

(١) علوم القرآن، الحكيم: ٣٦٧.

(٢) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٠٥/٧.

(٣) جامع البيان: ١٢/١٩١.

(٤) م. ن: ١٢/١٩١، والتبيان: ٨٧/٦.

(٥) جامع البيان: ١٢/١٩١.

(٦) تفسير القرآن الكريم: ٣٦٢/٢، وجامع البيان: ١٤/٢١١-٢١٢.

الحياة الاجتماعية قد ناقشها وعالجها القرآن الكريم؛ إذ لم يغادر صغيرة ولا كبيرة تخص الحياة الأولى والآخرة، لتتنظم الحياة وتتم الحجة على الإنسان؛ لينال كل عامل بما سعى، والله متم نوره ولو كره المشركون والمعاندون.

#### ٨- بيان أن الجنة والنار لا يفنيان:

إن من بين الدلائل العقلية التي بينها العلماء في ضرورة وجود الآخرة والمعاد، هو أن الظلم في الدنيا لا بد له من (حكم عدل)، وإن مات الظالم على ظلمه فليس من العدل إسدال الستار على ظلمه إلى الأبد، وإنما يحكم العقل بضرورة وجود ذلك اليوم، وقد أورد أبان بن تغلب عن سليمان الأعمش عن أبي صالح<sup>(١)</sup>، عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ، أنه قال: ((يُوتَى بالموت يوم القيامة فيوقف بين الجنة والنار ويُذبح، ويُقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ: ﴿وَأَنذَرُكُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]، قال: ذبح الموت، ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]، قال: (في الدنيا)<sup>(٢)</sup> وتفسير ذلك بوجهين؛ أحدهما: أن يخلق الله تعالى كبشاً، ويخلق فيه الموت فإذا رآوه عرفوه، ثم يفعل الله سبحانه فيه فعلاً يشبه الذبح ويعدمه، ذلك الفعل حتى يأمل أهل الجنة فيزدادوا سروراً، ويأس أهل النار فيزدادوا حُزناً، والثاني: أنه تمثيل بعدم الموت؛ لأن الموت لما عدم في حق أهل الدارين صار بمنزلة الكبش الذي يُذبح<sup>(٣)</sup>.

(١) أبو صالح: السمان واسمه ذكوان الزيات مولى غطفان، ويقال مولى جويرية امرأة من قيس، مدني روى عن الصحابة، وكان يقدم الكوفة يجلب إليها الزيت، وروى عنه أهل الكوفة، توفي بالمدينة سنة (١٠١هـ/٧١٩م). ينظر: الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٠٢، والتمهيد: ٤/ ٢٠٢.

(٢) ذيل تاريخ بغداد: ١/ ١٢٧.

(٣) ينظر: شرح أصول الكافي: ١٢/ ١٥٩.

## المطلب الثاني: علم أسباب النزول

عُرِّفَ علم أسباب النزول في الاصطلاح أنه: ((الحادث الذي من أجله نزلت آية أو أكثر مفسرة له))<sup>(١)</sup>، وأنَّ فائدة هذا العلم هي معرفة الحكمة الباعثة على تشريع وتخصيص الحكم عند من يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب، وأنَّ (اللفظ قد يكون عامًّا)، ويقوم الدليل على تخصُّصه، فإذا عرف السبب اقتصر التخصيص على ما عدا صورته والوقوف على المعني؛ إذ ربما لا يمكن معرفة تفسير الآية من دون الوقوف على قصص أو بيان سبب نزولها<sup>(٢)</sup>، ونفهم من هذا أنه لولا تتبُّع العلماء وتوضيحيهم لقصصها لما استطعنا أن نفهم كثير من الآيات، وكنا وقعنا في اللبس وفهمنا الآيات على غير وجهها الصحيح، ولم نستطع أن نفهم الحكمة الإلهية من تنزيلها.

ولذا فإنَّ هذا العلم مثل غيره من العلوم؛ إذ مرَّ بمراحل وأطوار منطلقًا من عصر النبي ﷺ، الذي كان يبيِّن سبب نزول الآيات، وعنه ﷺ أخذ الصحابة، وكان الإمام علي بن أبي طالب ﷺ أكثرهم أخذًا منه ﷺ، وهو القائل: ((والله لم تنزل آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت، وفيمن نزلت، وأين نزلت))<sup>(٣)</sup>، ومن الذين أسهموا إسهامًا واضحًا الصحابي عبد الله بن عباس؛ إذ زخرت كتب أسباب النزول بكثرة الآخذين عنه<sup>(٤)</sup>.

أمَّا في عهد التابعين الذين أسهموا في تطوُّر هذا العلم وتدوينه فاشتهر منهم عدد كبير نذكر منهم: أبان بن تغلب الذي كان له أثر واضح في نقل الروايات التي تؤكِّد أسباب النزول؛ إذ سنورد جوانب منها مرتبةً بحسب سور القرآن

(١) لباب النقول في أسباب النزول: ٧، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ٧٥ / ١.

(٢) مفتاح السعادة: ٣٤٩ / ٢.

(٣) شواهد التنزيل: ١ / ٤٥، والإتقان في علوم القرآن: ٤٩٣ / ٢.

(٤) نزول القرآن على خير الخلائق: ٨٨.

الكريم وعلى النحو الآتي:

١- سأل أبان بن تغلب الإمام الصادق عليه السلام عن قوله ﷺ: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء: ٣٦]، فقال الإمام الصادق عليه السلام: ((نزلت في رسول الله ﷺ وعلي عليه السلام))<sup>(١)</sup>.

٢- أمّا في سبب نزول الآية المباركة: ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعَدًّا حَسَنًا فَهُوَ لَا يَأْتِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١]، فقد روى أبان عن مجاهد: ((أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، وفي علي بن أبي طالب عليه السلام وأبي جهل<sup>(٢)</sup>))<sup>(٣)</sup>. وفي هذه المروية دلالة على أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يبيّن للمشركين الذين فضّلوا الكفر على الإيمان بسبب منافعهم الخاصة، ورجّحوا الشرك على التوحيد، فضلاً عن ذلك يبيّن حال هذه الفئة مقارنة بحال المؤمنين الصادقين يوم القيامة، ولا شك أن الوجدان اليقظ يرجّح وعود الله تعالى ومواهبه العظيمة الخالدة على نعم الدنيا التي لا تطول إلا أياماً، ثمّ يتبعها الألم وشقاء خالد))<sup>(٤)</sup>.

٣- وفي سبب نزول آية التطهير، أورد أبان مرويته عن ((جعفر بن إياس عن شهر بن حوشب<sup>(٥)</sup> عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنّها قالت: نزلت هذه الآية في بيتي **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾** [الأحزاب: ٣٣]، وفي البيت عليّ

(١) تفسير فرات الكوفي: ١٠٤، وبحار الأنوار: ١١/٣٦.

(٢) أبو جهل: عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، من أشد الناس عداوة للنبي محمد ﷺ، يُقال له أبا الحكم فسماه المسلمون أبو جهل، اشترك في بدر وهلك فيها. ينظر: الكنى والألقاب: ١/٤٠.

(٣) جامع البيان: ١١٩/٢٠-١٢٠، وأسباب النزول: ٢٢٨.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٢/٢٧٥.

(٥) شهر بن حوشب: أبو عبد الرحمن الأشعري، تابعي، من أهل الشام نزل البصرة، حدث عن عدد من الصحابة، وقيل إنّه توفي سنة (١١٢هـ/٧٣٠م). ينظر: تاريخ ابن معين: ٢/١٧٠، وسير أعلام النبلاء: ٤/٣٧٢، ٣٧٨.

وفاطمة وحسن وحسين عليهم السلام)<sup>(١)</sup>.

فإنَّ وجود (إنَّما) الدالَّة على الحصر والتأكيد التي توضَّح إرادة الله سبحانه وتعالى بأن يكون أهل البيت عليهم السلام منزَّهين عن الرجس<sup>(٢)</sup>، والخطأ الذي هو مقام العصمة، ولا بدَّ من القول إنَّ مفهوم هذه الآية الكريمة هو عين ما جاء في الزيارة الجامعة<sup>(٣)</sup>: ((عصمكم الله من الزلل، وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس، وطهركم تطهيراً))، و((أنَّ هذا الإيضاح بدلالة الآية المذكورة على عصمة أهل البيت عليهم السلام)<sup>(٤)</sup>.

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٤/١٣٧.

(٢) الرجس: الشيء القدر. ينظر: ترتيب إصلاح المنطق: ١٧١.

(٣) للاطلاع على المزيد من تفاصيل الزيارة الجامعة ينظر: من لا يحضره الفقيه: ٢/٦٠٩-٦١٨.

(٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣/٢٣١.

## المبحث الثاني

### دلالات مرويات أبان بن تغلب في العلوم الدينية<sup>(١)</sup> دراسة تحليلية

#### ١- أدب الأنبياء ﷺ:

أدب عام أدب الله سبحانه وتعالى أنبياءه ﷺ، وسنة جارية له فيهم أن لا يتحرَّجوا في ما قسَّم لهم من الحياة، ولا يتكلَّفوا في أمرٍ من الأمور؛ إذ كانوا على الفطرة، والفطرة لا تهدي إلا إلى ما أعطاه الله بما يلائمها في نيته<sup>(٢)</sup>؛ وإذ يقول ﷺ وهو من التأديب بأدب جامع: **﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾** [المؤمنون: ٥١]، ففي تفسيرها يقول أبان: ((سألت الإمام جعفر بن محمد عليه السلام فقال: الرزق الحلال))<sup>(٣)</sup>.

وفي ذلك دلالة يرويه ابن كثير فيقول: إنَّ الرزق الحلال عون على العمل الصالح فقام الرسل ﷺ بهذا أتمَّ القيام، وجمعوا بين كلِّ خيرٍ قولاً ودلالةً ونصحاً فجزاهم الله عن العباد خيراً))<sup>(٤)</sup>.

#### ٢- الحسد يؤدي إلى الضلال:

الحسد أوَّلُ ذَنْبٍ عُصِي بِهِ لِلَّهِ فِي السَّمَاءِ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِي بِهِ فِي الْأَرْضِ، فَأَمَّا فِي السَّمَاءِ فَحَسَدُ إِبْلِيسَ لِأَدَمَ عليه السلام، وَأَمَّا فِي الْأَرْضِ فَحَسَدُ قَائِيلَ لِهَابِيلَ عليه السلام، وَقَدْ

(١) العلوم الدينية: هي العلوم التي أخذت المكان الأوَّل عند المسلمين وعُرفت بالعلوم الشرعية أو النقلية؛ لأنَّها مستمدة من الدين أو منقولة عنه. المقدمة: ٣٢٤، ومفتاح السعادة: ٦/٢.

(٢) سنن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ٤٣.

(٣) تفسير فرات الكوفي: ٢٧٧.

(٤) تفسير القرآن العظيم: ٣/٢٥٧، وروح المعاني: ١٨/٤٠.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٥/٢٥١.

ورد عن أبان عن أبي المقدام<sup>(١)</sup> عن حبة العرني<sup>(٢)</sup> عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩]، قال: ((هو ابن آدم الأوّل، وإبليس الأبالسة))<sup>(٣)</sup>. ودلت مروية أبان بن تغلب أن للحسد أساساً في التاريخ السماوي والاجتماعي، فمن الجن إبليس لعنه الله، فهو أوّل من سنّ الكفر، ومن الإنس قابيل فهو أوّل من سنّ القتل<sup>(٤)</sup>.

٣- الطهارة:

لم تترك الشريعة الإسلامية تصرُّفاً إلاّ بينت حكماً فيه، وكان للوضوء والغسل والتميم، تأثير يسمح بالعبادة الشرعية، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]<sup>(٥)</sup>.

ونظراً لما للطهارة من أهمية كبيرة أورد أبان بن تغلب مرويته عن الأعمش عن أبي رزين<sup>(٦)</sup>، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((طهور إناء أحدكم إذا ولغ<sup>(٧)</sup> الكلب فيه أن يغسله سبع مرّات))<sup>(٨)</sup>.

- 
- (١) أبو المقدام: ثابت بن هرمز الكوفي، مولى بني عجل، ويكنى أبا عمرو ثقة روى عن الإمام زين العابدين والباقر والصادق عليهم السلام. رجال الطوسي: ٢٤٨، وتهذيب التهذيب: ١٥ / ٢.
- (٢) حبة العرني: حبة بن جوين بن علي العرني من بجيلة، تابعي يكنى أبو قدامة، كوفي، توفي سنة (٧٦هـ / ٦٩٥م). الطبقات الكبرى: ١٧٧ / ٦، وتاريخ بغداد: ٢٦٩ / ٨.
- (٣) تاريخ مدينة دمشق: ٤٨ / ٤٩.
- (٤) ينظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٩٥٥ / ٢، الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٢ / ٥.
- (٥) المهذب البارع في شرح المختصر النافع: ٧٥ / ١.
- (٦) أبو رزين: مسعود بن مالك مولى أبو وائل الأسدي الكوفي، شهد صفين مع الإمام علي عليه السلام، عالماً فهماً من متقني أهل الكوفة، توفي سنة (٨٥هـ / ٧٠٤م). ينظر: الثقات: ٤٤١ / ٥، وتهذيب التهذيب: ١٠٦ / ١٠-١٠٧.
- (٧) ولغ: شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل لسانه فحركه فهو والغ. ينظر: القاموس الفقهي: ٣٨٧.
- (٨) المعجم الصغير: ٦٠-٦١ / ٢، والمعجم الكبير: ٣٣١ / ٧.

ودلت مروية أبان على (نجاسة لعاب الكلب)، وعلينا إراقة ما في الوعاء وغسله سبع مرّات، ولعلّ الغرض من ذلك هو أنّ في مباشرة الكلب (ضرراً) أراد الشارع تجنيبنا إيّاها؛ حفاظاً على سلامة المجتمع من الأمراض الصحيّة والاجتماعيّة<sup>(١)</sup>.

#### ٤- مقام الشهيد<sup>(٢)</sup> السّامي:

مرّت على الشعوب والأمم في تاريخها أيّام تحدق الأخطار فيها، ولا يمكن دفع ذلك الخطر والحفاظ على الأهداف المقدّسة العظيمة إلّا بالتضحية والفداء، وهنا يجب أن يتوجّه المؤمنون المضطّعون إلى ساحات القتال؛ ليحفظوا دين الحقّ بدمائهم، وسمّي هؤلاء الأفراد في الإسلام بالشهداء<sup>(٣)</sup>، ومن أجل بيان مقام الشهيد السّامي، تعرّض أبان بن تغلب بسؤال للإمام الصادق عليه السلام، وفيه قال: ((الذي يُقتل في سبيل الله أيغسل ويكفّن ويحطّط ويصلّى عليه؟ فقال عليه السلام: يُدفن كما هو في ثيابه))<sup>(٤)</sup>. ودلت مروية أبان إلى سموّ مقام الشهيد في الإسلام، وهذا ما أكده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩].

وقد أشاد النبي محمد صلّى الله عليه وآله بمكانة الشهيد بقوله: ((إنّ فوق كلّ برّاً حتّى يُقتل الرّجل في سبيل الله))<sup>(٥)</sup>، وفي ذلك يرى العلامة الحلي<sup>(٦)</sup> أنّ مسألة دفن الشهيد في ثيابه فعل أعظم العبادة ثواباً، وهو (قتل نفسه في سبيل الله)، وكان أبلغ على أحواله في الكمال فاستحبّ دفنه كذلك.

(١) ينظر: المصنف: ٢٠٠ / ١، ونصب الراية: ٢٠٠٢ / ١.

(٢) الشهيد: هو الذي يُقتل في سبيل الله تعالى وقيل: سُمّي شهيداً؛ لأنّ ملائكة الرحمة تشهد، أي: تحضره. ينظر: لسان العرب: ٣ / ٢٤٢.

(٣) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ١٦ / ٣٢٧.

(٤) الاستبصار فيما اختلف من الأخبار: ١ / ٢١٤، ومجمع الفائدة والبرهان: ١ / ٢٠٢.

(٥) الجامع لأحكام القرآن: ٨ / ٢٦٨؛ الدروس الشرعيّة في فقه الإمامية: ٢ / ٩.

(٦) ينظر: منتهى المطلب: ١ / ٤٤٢.

## ٥- الوضوء:

إنَّ من أوَّل مقدّمات الصَّلَاة وأكثرها أهميّة (الوضوء) الذي أكّده النبيُّ الأكرم ﷺ بقوله: ((لا صلاةَ لِمَن لا وضوءَ له))<sup>(١)</sup>، وينقل أبان بن تغلب مرويته عن خالد بن علقمة<sup>(٢)</sup> عن عبد خير<sup>(٣)</sup> عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قال: ((إنَّ رسول الله ﷺ توضأ ثلاثاً ثلاثاً))<sup>(٤)</sup>.

وقد دلّت مروية أبان عن كيفية الوضوء، وأنه لمرة واحدة هو وجوباً، وهو مجزي في الوقت نفسه، أمّا في حالة التكرار التي أشار إليها الحديث الشريف فيكون مستحبّاً، وذلك من أجل التحقّق من الغسل والاطمئنان<sup>(٥)</sup>.

## ٦- في الحثّ على أوقات الصَّلَاة:

الصَّلَاة من أحبّ الأعمال إلى الله تعالى، وهي آخر وصايا الأنبياء عليهم السلام؛ لأنّها عمود الدين، إن قبلت قبل ما سواها، وإن رُدت رُدّ ما سواها، ومثلها مثل النهر الجاري فكما أنّ من اغتسل فيه في كلِّ يوم خمس مرّات لم يبقَ في جسده شيءٌ من الدّرن<sup>(٦)</sup>، كذلك كلّما صلّى صلاةً كَفَر ما بينهما من الذنوب<sup>(٧)</sup>. وقد استفاضت الأدلّة في الحثّ والمحافظة عليها، ومنها ما رواه أبان بن تغلب؛ إذ قال: ((صَلَّيْتُ

(١) المصنف: ١/ ١٥١، وتنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق: ١/ ٤٥.

(٢) خالد بن علقمة: الهمداني من أهل الكوفة، وكنيته أبو حية شيخ ثقة. ينظر: التاريخ الكبير: ٣/ ١٦٣، وتهذيب الكمال: ٨/ ١٣٤.

(٣) عبد خير بن يزيد من همدان، كنيته أبو عمارة، أدرك الجاهليّة وأدرك زمن النبي ﷺ، ولم يسمع منه، روى عن الإمام علي عليه السلام وشهد معه صفين. ينظر: الطبقات الكبرى: ٦/ ٢٢١، والإصابة: ٥/ ٧٩-٨٠.

(٤) سنن الدارقطني: ١/ ٩٥.

(٥) ينظر: منتهى المطلب (ط.ق): ١/ ٧١، ومشارك الشموس في شرح الدروس: ١/ ١٣٣.

(٦) الدرن: الوسخ. ينظر: الصحاح: ٥/ ٢١١٢.

(٧) ينظر: مستمسك العروة الوثقى: ٥/ ٤.

خلف أبي عبد الله عليه السلام المغرب بالمزدلفة<sup>(١)</sup>، فلَمَّا انصرفَ التفتَ إلي فقال: يا أبان الصَّلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهنَّ، وحافظ على موافقتهنَّ، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهدٌ يدخله به الجنة، ومن لم يقم حدودهنَّ، ولم يحافظ على موافقتهنَّ لقي الله ولا عهدَ له إن شاء عذبه وإن شاء غفر له<sup>(٢)</sup>.

ومن المعلوم أنَّ الصَّلَاةَ فرضت لأوقاتها كما قال الله تعالى في كتابه الكريم: **إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا** [النساء: ١٠٣]، أي: فرضاً مؤقَّتاً، وفيها أيضاً سأل رجلُ النبي عليه السلام، أي الأعمال أفضل؟ فقال عليه السلام: ((الصَّلَاةُ لوقتها))<sup>(٣)</sup>.

ويرى المحقِّق البحراني<sup>(٤)</sup> أنَّ أبان بن تغلب أراد الحثَّ على وقت الصلوات المأمور بالمحافظة عليهنَّ (أوائل الأوقات) التي هي على المشهور وقت فضيلة، أما الوقت الثاني فهو وقت (إجزاء)، وبتعبير آخر أنَّ الأوَّل هو اختيار، والثاني هو للاضطرار وأصحاب الأعذار.

ولأهميَّة الصَّلَاة ينقل لنا أبان بن تغلب مرويته عن أبي ليلى عن عبد الله بن جعفر يرفعه عن الإمام علي عليه السلام، وفيه: ((مَنْ صَلَّى بآذان<sup>(٥)</sup> وإقامة<sup>(٦)</sup> صَلَّى خلفه صفان من الملائكة لا يرى طرفاه، ومن صَلَّى بإقامة صَلَّى خلفه ملك))<sup>(٧)</sup>.

(١) المزدلفة: مكان بين بطن محسر والمأزمين، وهي (المشعر الحرام) وسُمِّيت المزدلفة لآراء عدَّة منها: الازدلاف، أي: الاجتماع، وفيها مبيت الحاج، ومجمع الصلاة إذا جاءوا من عرفات، وقيل الاقتراب؛ لأنَّها مقربة من الله تعالى. ينظر: معجم البلدان: ١٢٠/٥ - ١٢١.

(٢) الكافي: ٢٦٧/٣، وتهذيب الأحكام: ٢٣٩/٢.

(٣) صحيح البخاري: ٢١٢/٨، والسنن الكبرى: ٢١٥/٢.

(٤) ينظر: الحقائق الناظرة: ٢٠/٦.

(٥) الأذان: هو الإعلام بالشيء، ويستعمل للإعلام بوقت الصلاة. النهاية في غريب الحديث: ٣٤/١.

(٦) الإقامة: في الأصل مصدر أقام، أي: إقامة القاعد والمضطجع، وفي الشرع: هي الإعلام بالقيام إلى الصلاة. ينظر: كشاف القناع عن متن الإقناع: ٢٧٠/١.

(٧) ثواب الأعمال: ٣٢-٣٣، ووسائل الشيعة (آل البيت): ٣٨٢/٥.

ودلت هذه المروية على فضل (الأذان)؛ لكونه تذكيراً للسّاهي، وتنبهها للغافل، وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة، وليكون ذلك داعياً إلى عبادة الله مرغباً فيها مقرراً بالتوحيد، مجاهراً بالإيمان معلناً الإسلام مؤذناً لمن نسيها<sup>(١)</sup>، وفيها أيضاً إشارة إلى فضل الأذان والإقامة في الصلاة، يؤيدها قول النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه في مواعظه: ((يا أبا ذر؛ إن ربك ﷻ يباهي الملائكة... في رجل في أرض قفر، فيؤذن ثم يقيم ثم يصلي، فيقول ربك للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلي ولا يراه أحدٌ غيري، فينزل سبعين ألف ملك يصلون وراءه، ويستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم))<sup>(٢)</sup>.

#### ٧ - صوم المسافر:

لقد شرع الله تعالى الإفطار في شهر رمضان المبارك لكل من سافر فيه بالمقدار الذي تقصر فيه الصلاة، وهذا الأمر مما اجتمعت عليه الأمة الإسلامية بدلالة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكان رسول الله ﷺ إذا سافر في شهر رمضان يفطر ويعلن إفطاره ويقول: ((ليس البر أن تصوموا في السفر))<sup>(٣)</sup>، وقد أراد أبان أن يؤكد قول الله تعالى ونبيه المصطفى ﷺ، عندما أورد مرويته التي نقلها عن الإمام أبي جعفر رضي الله عنه عن النبي ﷺ؛ إذ قال: ((خيار أمتي الذين إذا سافروا أفطروا وقصروا))<sup>(٤)</sup>. لقد دلت مروية أبان إلى أن هذا التخفيف من لدن الله تعالى للعبد المؤمن؛ لموضع سفره وتعبه ونصبه واشتغاله بأمر نفسه وظيفته وإقامته؛ لئلا يشتغل عما لا بد منه من معيشته؛ رحمة من الله تعالى وتعطفاً على عبده<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: عيون أخبار الرضا رضي الله عنه: ١١٢/٢، ومسند الإمام الرضا رضي الله عنه: ١٦٠/٢.

(٢) مكارم الأخلاق: ٤٦٦، ومستدرک سفينة البحار: ٩١/١.

(٣) اختلاف الحديث: ٤٩٢-٤٩٣، وشرح معاني الآثار: ٦٢/١، ومسائل فقهية: ٤٨.

(٤) الكافي: ١٢٧/٤، ومدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام: ١٤٦.

(٥) ينظر: وسائل الشيعة (آل البيت): ٥٢١/٨، وتفسير نور الثقلين: ٥٤٢/١.

## ٨- دخول الحرم وآدابه:

الحجُّ من أعظم الشعائر الإسلاميَّة وأفضلها وأرفعها وسيلة يمكن للنَّاس بواسطتها الاقتراب من ذات الله (جلَّ وعلا)، ففيه تحمُّل مشقَّة الأبدان وتهيئة النَّفس بهذا الاتجاه والابتعاد عن الأهل والأحبَّة، وكبح جماح الشهوات والعادات والتقاليد، وبذل الأموال، والحجِّ واقِعًا رياضة للنَّفْس والطاعة، وتهيئة للجسد والاعتسال لدخول الحرم<sup>(١)</sup>، وبهذا يقول أبان بن تغلب: ((كنتُ مع أبي عبد الله ﷺ مزاملة في ما بين مكَّة والمدينة لمَّا انتهى إلى الحرم نزل واغتسل وأخذ نعليه بيديه، ثمَّ دخل الحرم حافيًّا، فصنعت مثل ما صنع، فقال: يا أبان، من صنع مثل ما رأيتني صنعت تواضعًا لله محًا الله عنه مائة ألف سيئة، وكتب له مائة ألف حسنة، وبنى الله ﷻ له مائة ألف درجة، وقضى له مائة ألف حاجة))<sup>(٢)</sup>. ففي المروية دلالة على أنه ينبغي على العبد أن يتطهَّر قبل دخول الحرم وقد سئل الإمام الصادق ﷺ عن ذلك فقال: ((إنَّ الله ﷻ يقول: **«أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»**) [البقرة: ١٢٥]، فيجب على العبد الصالح أن لا يدخل بيت الله تعالى إلَّا وهو طاهر قد غسل عنه الوسخ وتطهَّر فينال رضا الله والفوز بحسن العقبى))<sup>(٣)</sup>.

وفي موضوع الحج ينقل لنا أبان بن تغلب مروية عن أبي إسحاق السبيعي عن عبد الرحمن بن يزيد<sup>(٤)</sup>، عن عبد الله بن عباس، وفيها قال: ((كانت تلبية رسول الله ﷺ لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة

(١) ينظر: الاحصار والصد: ٥.

(٢) الكافي: ٤/ ٣٩٨، وتهذيب الأحكام: ٥/ ٩٧ وتذكرة الفقهاء: ٨/ ٧٩.

(٣) علل الشرائع: ٢/ ٤١١.

(٤) عبد الرحمن بن يزيد: بن جارية ولد في عهد النبي محمد ﷺ ((وكان يُكنى أبا محمد، ولي قضاء المدينة لعمر بن عبد العزيز، توفي بالمدينة سنة (٩٣هـ/ ٧١١م)، كان ثقة قليل الحديث)). ينظر: الطبقات الكبرى: ٥/ ٨٤، والاستيعاب: ٢/ ٨٥٥.

لك))<sup>(١)</sup>، وفي ذلك قال ابن عبد البر: ((لقد أجمع المسلمون على لفظ التلبية المذكورة؛ لكن اختلفوا في الزيادة عليه بألفاظ فيها تعظيم الله تعالى))<sup>(٢)</sup>.

#### ٩- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ اختلاف النَّاس فيما بينهم من حيث الطاقات والإمكانيات البدنيَّة والعقليَّة والروحيَّة يودِّي إلى اختلافهم في مراتب التكليف والمسؤوليَّة، التي تتناسب مع الطاقات والإمكانيات، ومن هنا يتعيَّن وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على القادرين للقيام به وأدائه بالصورة التي تحقِّق الهدف المناط به<sup>(٣)</sup>، وفي ذلك يقول أبان نقلًا عن أبي عبد الله عليه السلام: ((كان المسيح عليه السلام يقول: إنَّ التارك شفاء المجروح من جرحه شريك لجارحه لا محالة؛ وذلك أنَّ الجراح أراد فساد المجروح، والتارك لإشفائه لم يشأ صلاحه، فقد شاء فساده اضطرارًا، فكذلك لا تحدَّثوا بالحكمة غير أهلها فتجهلوا، ولا تمنعوها أهلها فتأثموا، وليكن أحدكم بمنزلة الطبيب المداوي إن رأى موضعًا لدوائه وإلا أمسك))<sup>(٤)</sup>.

دلَّت مروية أبان بن تغلب أنَّ الحثَّ على مداواة المجروح والمريض وتكفُّل أحوالهما، والعمل بالطبِّ؛ بل وجوبه، وتعليم الجاهل إن كان له أهل، وجواز كتمان العلم عن غير أهله، هي جلُّها من باب الإصلاح والعمل بالمعروف والنهي عن المنكر<sup>(٥)</sup>.

(١) مسند أحمد: ١/٤١٠، وسنن النسائي: ٥/١٦١.

(٢) التمهيد: ١٥/١٢٧، وسلسلة الذهب: ٥٤.

(٣) ينظر: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ٦.

(٤) الكافي: ٨/٣٤٥، وموسوعة الأحاديث الطبيَّة: ١/٥٣.

(٥) ينظر: أصول الكافي: ١٢/٤٩١.

١٠ - الدعاء:

الدعاء سمو للروح، وإشراق في النَّفس؛ ليصل الإنسان برَّبِّه خالق الكون وواهب الحياة من يديه مجريات الأمور، وهو بكلِّ شيءٍ محيط. إنَّ علاقة الإنسان برَّبِّه علاقة متَّصلة في نفس الإنسان، فهو يفرع إليه تعالى إذا داهمته كارثة من كوارث الدهر، أو ألَّمت به محنة من محن الأيام؛ إذ لا يوجد أحد يلجأ إليه، ولا يكشف عنه الفقر والشقاء سوى الله تعالى اللطيف بعباده، وقد تحدَّث القرآن الكريم عن ذلك في كثير من آياته؛ إذ قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَاهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣].

وكان الدعاء من أبرز القيم الماثلة عند الأنبياء ﷺ، وفي ذلك قال النبي إبراهيم وابنه إسماعيل ﷺ، وهما يرفعان أسس البيت الحرام: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ \* رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَآرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧-١٢٨]. ومن ثمَّ إنَّ هناك تأكيداً على أهميَّة الدعاء في الروايات الواردة عن النبي ﷺ: ((الدعاء هو العبادة))<sup>(١)</sup>، وفي ذلك ينقل لنا أبان بن تغلب مرويته عن أبي إسحاق السبيعي عن البراء بن عازب<sup>(٢)</sup>، إنَّ النبي ﷺ قال: ((يا براء، كيف تقول إذا أخذت مضجعتك؟ قال: قلت: اللهم صلِّ ورسوله أعلم، قال ﷺ: إذا أويت إلى فراشك طاهراً فتوسد يمينك، وقل: اللهم أسلمت نفسي إليك وفوضت أمري

(١) مسند ابن المبارك: ١٣٨، والأدب المفرد: ١٥٤.

(٢) البراء بن عازب: بن الحارث ويكنى أبو عمارة أوَّل مشاهده أحد وشهد مع علي (رضي الله عنه) المشاهد كلها، نزل الكوفة وابتنى بها داراً، وتوفي أيام مصعب بن الزبير. ينظر: أسد الغابة: ١/ ١٧١، وتاريخ الإسلام: ٣٦٥/٥.

إليك وألجأت ظهري إليك؛ رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك،  
أمنت بكتابك الذي أنزلت ونبئت الذي أرسلت... قال: فَمَنْ قالها في ليلته ثم  
مات، مات على الفطرة<sup>(١)</sup> ((٢)).

لقد دلت مروية أبان أن النبي ﷺ يعلم ويربي أمته بتسليم الأنفس إلى الله  
تعالى، وتفويض الأمور إليه سبحانه ﷻ معتصمين به، و متمسكين بحبله، وموقنين  
أن لا حول ولا قوة إلا به.

ومن أدعية الإمام الصادق عليه السلام الدعاء المعروف باسم (دعاء حفظ القرآن)  
الذي رواه تلميذه أبان بن تغلب، وهذا الدعاء الشريف مما يعين المسلم على حفظ  
القرآن الذي هو رحمة للعالمين، وذخر للإنسان المؤمن، وقد أقسم سليل النبوة  
على الله تعالى بجميع قدراته وأسمائه على الإغاثة لحفظ كتابه، ومن الطبيعي أن  
للدعاء أثراً في تحقيق ذلك الهدف الأسمى.

(١) الفطرة، الخلقة التي يُخلق عليها المولود في بطن أمه. ينظر: لسان العرب: ٥/ ٥٦.

(٢) كتاب الدعاء: ٩٨.

## المبحث الثالث

### مرويات أبان بن تغلب في المعاملات دراسة تحليلية

- المعاملات في اللغة: جمع معاملة، مأخوذة من عاملت الشخص معاملة، إذا تعاملت معه، وخالطته وعاشرته، والمعاملة تُطلق على التصرف في البيع ونحوه<sup>(١)</sup>.  
- المعاملات في الاصطلاح: هي المعرفة العميقة للأحكام المتعلقة، وعللها، ومآخذها، وترابطها بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية؛ لتتمكّن من إنزال تلك الأحكام على الواقع الجديد، وهي أساس تنظيم الحياة الدنيوية تنظيمًا يصون مصلحة حقّين؛ حقّ الله، وحقّ الناس، أي: الحقّ الخاص والحقّ العام، وبذلك نستطيع القول: إنّ المعاملات تُبنى عليها الحياة المطلقة في جميع صورها وألوانها<sup>(٢)</sup>.

ولهذا نجد أبان بن تغلب قد عني بهذا الجانب ونقل لنا العديد من المرويات التي جاءت في الأبواب المختلفة وعلى النحو الآتي:

#### ١- التجارة:

لقد تكفّلت لنا الشريعة الإسلامية بمعالجة مختلف جوانب حياتنا الاقتصادية بما يضمن العدالة وحسن استثمار وتوزيع الثروة وانتقالها بين مختلف الأفراد والطبقات؛ لما فيه خير وسعادة الجميع، ومن هنا نجد أنّ أبان بن تغلب قد نقل لنا في مرويته عن القاسم بن عبد الرحمن<sup>(٣)</sup> عن عبد الله بن مسعود عن رسول

(١) ينظر: لسان العرب: ٤٧٦/١١.

(٢) ينظر: الشيعة في الميزان: ٣٥٥.

(٣) ينظر: القاسم بن عبد الرحمن: بن عبد الله بن مسعود الهذلي، ولي قضاء الكوفة وتوفي في ولاية خالد بن عبد الله القسري. الطبقات الكبرى: ٣٠٣/٦، ومعرفة الثقات: ٢/٢١١.

اللَّهِ ﷻ قال: ((إذا اختلف البيعان فالقول ما قال البائع أو يترادان))<sup>(١)</sup>.

وفي الموضوع نفسه ينقل لنا مروية أخرى عن أبي حمزة الشمالي رفعها قال: ((قام أمير المؤمنين ﷺ على دار ابن أبي معيط<sup>(٢)</sup>، وكان يقام فيها الإبل فقال: يا معاشر السماسة<sup>(٣)</sup> أقلوا الأيمان فإنها منفقة للسلعة لمحقة للربح))<sup>(٤)</sup>.

فدلّت مروية أبان على كراهية الحلف، لا سيما عند البيع وإن كان صادقاً، وأما إذا كان كاذباً فلا شكّ تحريمه في المدح والذم؛ لأنّ مراده من الحلف احتمال أن يكون ستر عيب أو تدليس أو غيرها من الأمور<sup>(٥)</sup>.

## ٢- التذكية<sup>(٦)</sup>:

أحلّ الله الطيبات من الرزق وحرّم الخبائث منها وما أحلّه الله أكثر ممّا حرّمه، وعائدية هذا التحليل والتحرّيم إنّما شرّعت لمصلحة الإنسان الصحية والنفسية، وكان تفضيل الله واسعاً على البشرية، وعندما ارتبطت حلّية نعمه على عباده المؤمنين بالتذكية الشرعية<sup>(٧)</sup>، وفي ذلك أورد أبان بن تغلب مرويته عن الإمام الصادق ﷺ فيقول: ((إذا شككت في حياة شاة، فرأيتها تطرف عينها، أو

(١) مسند أبو يعلى: ٢٧٩/٩، والتمهيد: ٢٩٣/٢٤.

(٢) ابن أبي معيط: اسمه عقبه واسم أبي معيط أبان، من بني عبد شمس، عدو رسول الله ﷺ وكان في أسارى بدر، فأمر الرسول ﷺ أن تضرب عنقه. ينظر: الوافي بالوفيات: ٥٩/٢٠.

(٣) السماسة: الواحد سمسار وفي البيع هو الذي يدخل بين البائع والمشتري متوسطاً لإمضاء البيع. لسان العرب: ٣٨١/٤.

(٤) ينظر: الكافي: ١٦٢/٥، وجامع أحاديث الشيعة: ٤٢/١٨.

(٥) ينظر: مجمع الفائدة: ٨، شرح ١٢٣.

(٦) التذكية: الذبح أو النحر. ينظر: القاموس الفقهي: ١٣٧.

(٧) ينظر: فقه الحضارة: ١٢٥.

تَحْرُكُ أَذْنِيهَا، أَوْ تَمِصْعٌ<sup>(١)</sup> بِذَنْبِهَا فَادْبَحُهَا، فَإِنَّهَا لَكَ حَلَالٌ<sup>(٢)</sup>.

وقد دلَّت هذه المروية على وجود علامة يرجع إليها المؤمن القائم على هذه التذكية لاستكشاف الحياة في الشاة أو غيرها من أجل أن تكون له الشرعية في التذكية<sup>(٣)</sup>، ومن جانبٍ آخر ينقل لنا مروية أخرى يبين فيها كراهة الذباحة في الليل فيقول: ((سمعت علي بن الحسين عليه السلام، وهو يقول لغلمانه: لا تذبحوا حتى يطلع الفجر، فإنَّ الله جعل الليل سكناً لكلِّ شيءٍ، قال: قلت: جعلت فداك فإن خفنا؟ فقال عليه السلام: إن خفت الموت فاذبح))<sup>(٤)</sup>. فدلَّت هذه المروية على ضرورة الأخذ بما ذكره الإمام السَّجَّاد عليه السلام بالالتزام بأوقات التذكية لحين طلوع الفجر، وإثبات كراهة الحكم لمن يخالف ذلك مع الاستثناء لبعض الحالات كخشية الموت<sup>(٥)</sup>.

### ٣- الإرث:

للإرث جذور فطرية تمتد تاريخاً مع تاريخ الحضارة الإنسانية، ثم تطوَّر مع سائر جوانب الحياة باختلاف الأزمنة والأمكنة، أمَّا الدين الإسلامي فقد شرَّع على تركة المتوفي حقوقاً يتقدَّم بعضها على بعض رتبة، وفي ذلك أورد أبان بن تغلب مرويته عن الإمام الصادق عليه السلام؛ إذ قال: ((مَنْ مات لا مولى له ولا وارث، فهو من أهل هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾<sup>(٦)</sup> قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ١])<sup>(٧)</sup>.

(١) تمصع: أي تحرك ذنبها. ينظر: العين: ٣١٧/١.

(٢) الكافي: ٦/٢٣٢، وتهذيب الأحكام: ٥٧/٩.

(٣) ينظر: فقه الصادق عليه السلام: ٥٦.

(٤) الكافي: ٦/٢٣٦، وتهذيب الأحكام: ٦٠/٩، وكفاية الأحكام: ٥٨٧/٢.

(٥) ينظر: مستند الشيعة في أحكام الشريعة: ٤٥١/١٥.

(٦) الأنفال: ممَّا لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب، وهي لله ورسوله ومن قام مقامه. مجمع البحرين:

٣٥٠/٤.

(٧) الاستبصار: ٤/١٩٥، وجواهر الكلام: ١٢٨/١٦.

ويرى المازندراني<sup>(١)</sup>: أنه بعد وفاة الإنسان يُقدّم الوارث بحسب درجة القرابة من المتوفّي، وإن بعد ثمّ ولاء العتق<sup>(٢)</sup> ثمّ ولاء الضمان<sup>(٣)</sup>، فإن لم يجد فالتركة من الأنفال التي جعلها الله للإمام عليه السلام.

ويذكر أبان بن تغلب مرويةً أخرى بخصوص الميراث، فينقل لنا عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: ((رجل مات وترك أبويه، قال: للأُمّ الثلث، وما بقي فلأب))<sup>(٤)</sup>.

وقد حدّدت هذه المروية حقّ الأبوين في الميراث؛ إذ تحصل الأم على الثلث وما تبقى للأب.

#### ٤- الدية:

تعدّ الحضارة الإسلاميّة ذات صفحات مشرقة؛ إذ واكبت التطوّر الإنساني في مجالاته كافّة، وكان لذلك أثره الفاعل في تنظيم جملة ما يحتاج إليه من التشريع الذي يلبي حاجاته الآنيّة والمستقبليّة، وقد سجّل ذلك سبقاً علمياً متحضّراً ونصراً متطوراً في علاج كثير من المواضيع، ومنها الدية التي أورد أبان بن تغلب مرويةً فيها؛ إذ قال: ((قال أبو عبد الله عليه السلام: دية اليهودي والنصراني والمجوسي دية المسلم))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: شرح أصول الكافي: ٧/ ٤١١-٤١٢، والحدائق الناضرة: ٢٠/ ١٥٦.

(٢) ولاء العتق: المعتق يصبح مولى للعتيق (العبد الحر) فيرثه إذا لم يوجد من يرثه بنسب أو زوجية وعلى الترتيب المذكور. ينظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٤٥٢.

(٣) ولاء الضمان: أن يتولّى شخص شخصاً آخر على أن يضمن جنايته بأن يعقل عنه، أي: يدفع دية جنايته، ويترتب على هذا العقد، الدية والإرث، فإن مات المضمون ورثه الضامن، إذا لم يوجد من يرثه. ينظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ٤٥٢.

(٤) تهذيب الأحكام: ٩/ ٢٧٣، ووسائل الشيعة (آل البيت): ٢٦/ ١١٦.

(٥) تهذيب الأحكام: ١٠/ ١٨٧، ووسائل الشيعة (آل البيت): ٢٩/ ٢٢١.

وفي ذلك يقول الصدوق (ت: ٣٨١ هـ): ((متى ما أعطى الإمام الأمان لليهود والنصارى والمجوس على ما عاهدوا عليه من ترك المحرّمات، وجعلهم في عهده وعقده جعل لهم ذمّة، ولم ينقضوا ما عاهدهم عليه من الشرائط، وأقروا بالجزية وأدّوها، فعلى من قتل واحد منهم دية المسلم))<sup>(١)</sup>.

وفي جانب آخر من ذات الموضوع يُحاور أبان بن تغلب الإمام الصادق عليه السلام في دية أصابع المرأة فيقول: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما تقول: في رجل قطع أصبغاً من أصابع المرأة كم فيها؟ قال: عشر من الإبل، قلت: قطع اثنتين؟ قال: عشرون من الإبل، قلت: قطع ثلاثاً؟ قال: ثلاثون من الإبل، قال: قلت قطع أربعاً؟ قال: عشرون من الإبل، قلت: سبحان الله يقطع ثلاثاً فيكون عليه ثلاثون ويقطع أربعاً فيكون عليه عشرون؟ إن كان هذا يبلغنا ونحن بالعراق فنبراً ممنّ قاله، ونقول الذي جاء به شيطان. فقال عليه السلام: مهلاً يا أبان، إن هكذا حكم رسول الله صلى الله عليه وآله، إن المرأة تقابل الرجل إلى ثلث الدية، فإن بلغت الثلث رجعت إلى النصف، يا أبان إنك أخذتني بالقياس<sup>(٢)</sup> والسنة إذا قيست محق الدين))<sup>(٣)</sup>.

وقد دلّت المروية أنّ دية (المرأة الحرّة المسلمة) تساوي دية الرجل إلى أن (تبلغ الثلث) عندها تنتقص إلى النصف، وأنّ هذه هي سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الدين الإسلامي لا يقاس ولا يدرك بعقول الناس، وإنّما بنصوص القرآن الكريم وسنة النبيّ محمد وآله (صلوات الله عليهم)<sup>(٤)</sup>.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ١٢٢-١٢٣.

(٢) القياس: هو إثبات حكم في محله بعلّة لثبوتها في محلّ آخر بتلك العلة، والمحلّ الأوّل هو المقيس ويسمّى فرعاً، والمحلّ الثاني هو المقيس عليه ويسمّى أصلاً، والعلة المشتركة تسمّى جامعاً. أصول الفقه: ٣/ ١٨٦.

(٣) الكافي: ٧/ ٢٩٩-٣٠٠، والروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة: ١٠/ ٤١.

(٤) ينظر: تحرير الأحكام الشرعيّة على مذهب الإماميّة: ٥/ ٥٦٨.

وفي المروية رفض الإمام الصادق عليه السلام القياس، وقد كان له موقف واضح من مدرسة أصحاب الرأي<sup>(١)</sup>، فقد أنكر القياس على رائدها أبي حنيفة النعمان؛ إذ دارت مناقشات عدة بينهما كانت الغلبة فيها للإمام الصادق عليه السلام.

ونظراً لأهمية موضوع الدييات في المجتمع الإسلامي، وما يترتب عليه من أثر اجتماعي، وأخلاقي يؤكد لنا أبان في مروية أخرى على دييات الأعضاء، ومنها دية الشفتين؛ إذ ينقل لنا عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((في الشفة السفلى ستة آلاف، وفي العليا أربعة آلاف؛ لأنَّ السفلى تُمسك الماء))<sup>(٢)</sup>.

وهنا دلّت المروية أن منفعة الشفة السفلى أكثر للإنسان، فناسب ذلك كثرة دييتها وزيادتها على دية الشفة العليا<sup>(٣)</sup>.

(١) أصحاب الرأي: عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتأويل كأصحاب أبي حنيفة النعمان، وأبي الحسن الأشعري، وهم يأخذون بالرأي وما اجتمع عليه الناس. ينظر: مجمع البحرين: ١٢٣/٢.  
(٢) تهذيب الأحكام: ٢٤٦/١٠، وعوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية: ٦٤٣/٣.  
(٣) ينظر: مختلف الشيعة في أحكام الشريعة: ٣٧٠/٩.

## نتائج البحث

من دراستنا لدلالات مرويات أبان بن تغلب في العلوم الدينية دراسة تحليلية ظهر لنا عدد من النتائج وعلى النحو الآتي:

١- أظهر البحث الأثر الذي تركه أبان بن تغلب بما نقلته مصادرنا الإسلامية من مروياته الموثقة عن أئمة آل البيت عليهم السلام، وعلماء الأمة الإسلامية.

٢- بين البحث أن أبان بن تغلب كان له مناقشات وحوارات مع الإمامين محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهما السلام في العلوم الدينية.

٣- دلّ البحث أن مرويات أبان ذات دلالات مهمة في العلوم الدينية لاسيما في علوم القرآن الكريم سواء في تفسير آيات القرآن الكريم، أو أسباب نزول الآيات القرآنية المباركة.

٤- أثبت البحث أن مرويات أبان ذات أهمية كبرى؛ إذ بينت كثير من المبادئ والأحكام في التطبيقات الدينية.

٥- كشفت مرويات أبان في المعاملات الإسلامية جوانب مهمة في التجارة والإرث والتذكية، والدييات وكيفية تطبيق البرامج الدينية الصحيحة.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- الاتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، تح: سعيد المندوب، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- ٢- الإحصار والصد، مركز الرسالة، د.ط، ١٩٩٢م.
- ٣- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، مؤسسه الكتب الثقافيه، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
- ٤- أسباب النزول، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، دار الاتحاد العربي، القاهرة، ١٩٦٨م.
- ٥- الاستبصار فيما اختلف من الأخبار، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: حسن الخرسان، خورشيد، طهران، ط٤، ١٩٨٤م.
- ٦- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٤٦٣هـ)، تح: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
- ٧- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد بن الأثير (٦٣٠هـ)، د.ط، د.ت.
- ٨- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلميه، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
- ٩- أصول الفقه، محمد رضا المظفر (١٣٨٣هـ)، مؤسسه النشر الإسلامي، قم، د.ت.
- ١٠- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، محمد حسين الطباطبائي (١٤١٢هـ)، د.ط، د.ت.

- ١١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، محمّد رضا الموسوي الكلبايكاني (١٤١٤هـ)، مهر، قم، ط١، ١٩٩٩ م.
- ١٢- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي (١١١١هـ)، تح: يحيى العابدي وعبد الرحيم الرباني، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.
- ١٣- بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم، يوسف بن الحسن المبرّد، (٩٠٩هـ)، تحقيق وتعليق: روحية عبد الرحمن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٢ م.
- ١٤- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (٧٩٤هـ)، تح: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، ط١، ١٩٥٧ م.
- ١٥- تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حمّاد الجوهري (٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧ م.
- ١٦- تاريخ ابن معين (برواية الدارمي)، يحيى بن معين، (٢٣٣هـ)، تح: أحمد محمود نور، دار المأمون للتراث، دمشق، د.ت.
- ١٧- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم (١٣٨٨هـ)، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، ط٧، ١٩٦٤ م.
- ١٨- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام، محمّد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٧ م.
- ١٩- التاريخ الكبير، محمّد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلاميّة، ديار بكر، د.ت.

٢٠- تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسين بن هبة الله بن عساكر (٥٧١ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤ م.

٢١- التبيان في تفسير القرآن، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠ هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب، مكتب الأعلام الإسلامي، قم، ١٩٨٨ م.

٢٢- تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، الحسن بن يوسف المطهر (٧٢٦ هـ)، تح: إبراهيم البهادري، اعتماد، قم، ط ١، ٢٠٠١ م.

٢٣- تذكرة الحفاظ، محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٢٤- تذكرة الفقهاء، الحسن بن يوسف المطهر (٧٢٦ هـ)، تح: مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ستارة، قم، ط ١، ١٩٩٣ م.

٢٥- ترتيب إصلاح المنطق، يعقوب بن السكيت الأحوازي (٢٤٤ هـ)، ترتيب وتقديم وتعليق: محمد حسن بكائي، الاستانة الرضوية، مشهد، ط ١، ١٩٩١ م.

٢٦- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم (٣٥٢ هـ)، تح: محمد الكاظم، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط ١، ١٩٩٠ م.

٢٧- تفسير القرآن، عبد الرزاق الصنعاني (٢١١ هـ)، تح: مصطفى مسلم محمد، مكتبة الرشيد، الرياض، ١٩٨٩ م.

٢٨- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمرو بن كثير (٧٧٤ هـ)، تقديم: يوسف عبد الرحمن المرعشي، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٢٩- تفسير نور الثقلين، عبد علي جمعة الحويزي (١١١٢ هـ)، تصحيح وتعليق: هاشم المحلّاتي، إسماعيليان، قم، ط ٤، ١٩٩١ م.

٣٠- تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة (آل البيت)، محمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤هـ)، تح: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مهر، قم، ط١٩٩٣، ٢م.

٣١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر (٤٦٣هـ)، تح: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكر، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الدينية، مراكش، ١٩٦٧م.

٣٢- تنقيح كتاب التحقيق في أحاديث التعليق، محمد بن أحمد الذهبي (٧٤٨هـ)، تح: مصطفى أبو الغيط وعبد الحي عجيب، دار الوطن، الرياض، ٢٠٠٠م.

٣٣- تهذيب الأحكام، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تحقيق وتعليق: حسن الخرسان، خورشيد، طهران، ط٣، ١٩٨٥م.

٣٤- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي (٧٤٢هـ)، تحقيق وضبط وتعليق: بشار عواد معروف، مؤسّسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

٣٦- الثقات، محمد بن حبان (٣٥٤هـ)، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٩٧٣م.

٣٧- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

٣٨- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، محمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٨١هـ)، تح: محمد مهدي، أمير، قم، ط٢، ١٩٨٩م.

٣٩- جامع أحاديث الشيعة، حسين البروجردي (١٣٨٣هـ)، العلمية، قم، ١٩٧٩ م.

٤٠- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ)، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥ م.

٤١- جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، محمد حسين الجواهري (١٢٦٦هـ)، تح: علي الأخوندي، حيدري، ط٩، ١٩٨٩ م.

٤٢- الحقائق الناظرة في أحكام العترة الطاهرة، يوسف البحراني (١١٨٦هـ)، تحقيق وتعليق: محمد تقي الأيرواني، د.ط، د.ت.

٤٣- حقائق التأويل في متشابه التنزيل، محمد بن الحسين الشريف الرضي (٤٠٦هـ)، شرح: محمد رضا آل كاشف الغطاء، دار المهاجر، بيروت، د.ت.

٤٤- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ت.

٤٥- الدروس الشرعية في فقه الإمامية، محمد بن مكي العاملي (٧٨٦هـ)، تح: مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٩٩٣ م.

٤٦- ذيل تاريخ بغداد، محمد بن محمود النجار، (٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر يحيى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧ م.

٤٧- رجال الطوسي، محمد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، تح: جواد الفيومي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ط١، ١٩٩٥ م.

٤٨- روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود الألوسي (١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

- ٤٩- الروضة البهية في شرح اللمعة دمشقية، زين الدين بن علي (٩٦٦هـ)،  
الداوري، قم، ط ١، ١٩٨٩م.
- ٥٠- زبدة البيان في أحكام القرآن، أحمد بن محمد الأردبيلي (٩٩٣هـ)، تح: محمد  
باقر البهبودي، المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران، د. ت.
- ٥١- سلسلة الذهب فيما رواه الإمام الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر،  
عبد المعطي أمين قلعجي، د. ط، د. ت.
- ٥٢- سنن الدارقطني، علي بن عمر (٣٨٥هـ)، تح: مجدي منصور، دار الكتب  
العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٦م.
- ٥٣- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، دار الفكر، د. ت.
- ٥٤- سنن النبي ﷺ، ناصر مكارم الشيرازي، تح: محمد هادي الفقهي، مؤسسة  
النشر الإسلامي، قم، ١٩٩٨م.
- ٥٥- سنن النسائي، أحمد بن علي (٣٠٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٣٠م.
- ٥٦- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني (١٠٨١هـ)، تحقيق: أبو  
الحسن الشعراني وعلي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- ٥٧- شرح معاني الآثار، أحمد بن محمد الأزدي (٣٢١هـ)، تحقيق وتعليق: محمد  
زهير النجار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م.
- ٥٨- شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البيت (صلوات  
الله وسلامه عليهم)، عبید الله بن أحمد الحسكاني (ق ٥ هـ)، تح: محمد باقر  
المحمودي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي،  
طهران، ط ١، ١٩٩٠م.

- ٥٩- الشيعة في الميزان، محمد جواد مغنية، (١٤٠٠هـ)، دار التعارف، بيروت، ٤٤، ١٩٧٩ م.
- ٦٠- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١ م.
- ٦١- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، (٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٦٢- علل الشرائع، محمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٨١هـ)، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م.
- ٦٣- علوم القرآن، محمد باقر الحكيم (١٤٢٤هـ)، مؤسسه الهادي، قم، ط ٣، ١٩٩٦ م.
- ٦٤- عوالي اللثالي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي الاحسائي (٨٨٠هـ)، تح: مجتبي العراقي، سيّد الشهداء عليه السلام، قم، ط ١، ١٩٨٤ م.
- ٦٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسسه الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ٦٦- غنائم الأيام في مسائل الحلال والحرام، الميرزا أبو القاسم القمي (١٢٢١هـ)، تح: عباس تبريزيان وآخرون، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ١٩٩٦ م.
- ٦٧- فقه الحضارة، علي الحسيني السيستاني، دار المؤرخ العربي، بيروت، د.ت.
- ٦٨- فقه الصادق، محمد صادق الروحاني، العلمية، قم، ط ٣، ١٩٩٢ م.
- ٦٩- فقه القرآن، سعيد بن هبة الله الراوندي (٥٧٣هـ)، تح: أحمد الحسيني، الولاية، قم، ط ٢، ١٩٨٦ م.

- ٧٠- القاموس الفقهي، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط ٢، ١٩٨٨ م.
- ٧١- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، تح: علي أكبر غفاري، طهران، ط ٣، ١٩٨٩ م.
- ٧٢- الكامل في ضعفاء الرجال، عبد الله بن عدي الجرجاني (٣٦٥هـ)، تح: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، ط ٣، ١٩٨٨ م.
- ٧٣- كتاب الدعاء، القاسم بن سليمان الطبراني (٣٦٠هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٩٩٣ م.
- ٧٤- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٧٥هـ)، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، طهران، ط ١، ١٩٨٩ م.
- ٧٥- كشاف القناع عن متن الاقناع، منصور بن يونس البهوتي (١٠٥١هـ)، تح: محمد حسن محمد حسن، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط ١، ١٩٩٧ م.
- ٧٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة (١٠٦٧هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٧٧- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد الثعلبي (٤٢٧هـ)، تح: أبو محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ٧٨- كفاية الأحكام، محمد باقر السبزواري (١٠٩٠هـ)، تح: مرتضى الواعظي، مؤسَّسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ٢٠٠٢ م.
- ٧٩- الكفاية في علم الدراية، أحمد بن علي البغدادي (٤٦٣هـ)، تح: أحمد عمر هاشم، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٩٨٥ م.
- ٨٠- الكنى والألقاب، عباس القمِّي (١٣٥٩هـ)، مكتبة الصدر، طهران، د.ت.

٨١- لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن السيوطي (٩١١هـ)، المدينة المنورة، د.ت.

٨٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور (٧١١هـ)، أدب الحوزة، قم، ١٩٨٤م.

٨٣- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (١٠٨٥هـ)، ط ٢، ١٩٨٧م.

٨٤- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، تحقيق وتعليق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٩٩٥م.

٨٥- مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، تح: مجتبي العراقي وآخرون، د. ط، د. ت.

٨٦- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، الحسن بن يوسف المطهر (٧٢٦هـ)، تح: مؤسّسة النشر الإسلامي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ط ١، ١٩٩٢م.

٨٧- مدارك الأحكام في شرح شرائع الإسلام، محمد بن علي العاملي (١٠٠٩هـ)، تح: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، مهر، قم، ط ١، ١٩٨٩م.

٨٨- مسائل فقهية، عبد الحسين شرف الدين العاملي (١٣٧٧هـ)، طهران، ١٩٨٧م.

٨٩- مستدرک سفينة البحار، علي النمازي (١٤٠٥هـ)، تح: حسن بن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم، ١٩٩٧م.

٩٠- مستمسك العروة الوثقى، محسن الحكيم (١٣٩٠هـ)، الآداب، النجف الأشرف، ١٩٦٩م.

٩١- مستند الشيعة في أحكام الشريعة، محمد الريشهري (١٤٢٥هـ)، تح: مؤسّسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث، ستارة، قم، ط ١، ١٩٩٧م.

- ٩٢- مسند ابن المبارك، عبد الله بن المبارك (١٨١هـ)، تح: مصطفى عثمان محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩١م.
- ٩٣- مسند أبو يعلى الموصليّ، أحمد بن عليّ الموصليّ (٣٠٧هـ)، تحقيق وتخرّيج: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، ط١، ١٩٨٧م.
- ٩٤- مسند أحمد، أحمد بن حنبل (٢٤١هـ)، دار صادر، بيروت، د.ت.
- ٩٥- مسند الإمام الرضا (عليه السلام)، عزيز الله العطاردي، جمع وترتيب: عزيز الله العطاردي، إستان قدس الرضوي، ١٩٨٥م.
- ٩٦- مشارق الشموس في شرح الدروس، حسين الخوانساري (١٠٩٩هـ)، طبعة حجرية، د.ت.
- ٩٧- المصنّف، عبد الله بن أبي شيبة (٢٣٥هـ)، تحقيق وتعليق: سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.
- ٩٨- المعارف، عبد الله بن قتيبة (٢٧٦هـ)، تح: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.
- ٩٩- معجم ألفاظ الفقه الجعفري، أحمد فتح الله، المدوخل، الدمام، ط١، ١٩٩٥م.
- ١٠٠- معجم البلدان، شهاب الدين الحموي (٦٢٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩م.
- ١٠١- المعجم الصغير، القاسم بن سليمان الطبراني (٣٦٠هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، د.ت.
- ١٠٢- المعجم الكبير، القاسم بن سليمان الطبراني (٣٦٠هـ)، تحقيق وتخرّيج: حمدي عبد المجيد السلفي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، د.ت.

١٠٣- معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله العجلي (٢٦١ هـ)، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٩٨٤ م.

١٠٤- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، أحمد مصطفى طاش كبري زادة (٩٦٨ هـ)، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٥ م.

١٠٥- مقدّمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨ هـ)، دار صادر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٩ م.

١٠٦- مكارم الأخلاق، الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨ هـ)، منشورات الشريف الرضي، ط٦، ١٩٧٢ م.

١٠٧- من لا يحضره الفقيه، محمّد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٨١ هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم، ط٢، ١٩٨٣ م.

١٠٨- منتهى المطلب، الحسن بن يوسف المطهر (٧٢٦ هـ)، تح: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، مؤسّسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة، مشهد، ط١، ١٩٩١ م.

١٠٩- المهذب البارع في شرح المختصر النافع، أحمد بن فهد الحلبي (٨٤١ هـ)، تح: مجتبي العراقي، ١٩٨٦ م.

١١٠- موسوعة الأحاديث الطيّبة، مركز بحوث دار الحديث، دار الحديث، ط١، ٢٠٠٤ م.

١١١- موسوعة الإمام الصادق عليه السلام، باقر شريف القرشي، تح: مهدي باقر القرشي، شريعت، قم، ٢٠٠٨ م.

- ١١٢- نزول القرآن على خير الخلائق، أحمد الكليدي (٩٠٩هـ)، المدينة المنورة، ط١، ١٩٩٥م.
- ١١٣- نصب الراية، عبد الله الزيلعي (٧٦٢هـ)، تح: أمين صالح شعبان، الوفاء، المنصورة، ط١، ١٩٩٥م.
- ١١٤- النهاية في غريب الحديث، المبارك بن محمد بن الأثير (٦٠٦هـ)، تح: محمود محمد الطناحي وطاهر أحمد الزاوي، إسماعيليان، قم، ط٤، ١٩٨٥م.
- ١١٥- الوافي بالوفيات، صلاح الدين ابيك الصفدي (٧٦٤هـ)، تح: أحمد الأرنبوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ١١٦- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، علي بن أحمد الواحدي (٤٦٨هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

أثر أمير المؤمنين عليه السلام في بيان المنطلقات المعرفية  
لتفسير النص القرآني

م.د سجاد هادي صاحب العنبي  
جامعة الكوفة / كلية الفقه

The Impact of the Commander of the Faithful (Imam Ali Ibn Abi Talib Peace Be Upon Him) in Clarifying the Epistemological Premises for Interpreting the Qur'anic Text

Asst. Lect. Dr. Sajad Hadi Sahib al-'Anbaki  
University of Kufa / College of Jurisprudence

## الملخص:

إنّ التأسيس النبوي للتلازم المعرفي بين القرآن الكريم والعترة المطهّرة عموماً، وأمير المؤمنين عليه السلام بشكل خاص، وتحديد مرجعيته البيانية للنص، من طريق (المعيّة) المتبادلة بين القرآن الكريم والإمام علي عليه السلام، أنارت المسار المعرفي لفهم النص وتفسيره، وعيّنت موطن الاشتغال المنهجيّ. لقد كان التراث القرآني الثرّ لأمر المؤمنين عليه السلام مكتنزاً لمنظومات معرفيّة متكاملة، في مسارب فكريّة شتى، الأخلاقيّة منها والتربويّة، والاقتصاديّة والاجتماعيّة، ومنها ما يتعلّق ببيان المنطلقات المعرفيّة اللازمة لتفسير النصّ القرآني وفهمه، يُبعده العقديّ والعمليّ، وإيجاد منهجيّة علميّة يتعيّن الأخذ بمعطياتها، والالتزام بمخرجاتها؛ ليكون الاستنطاق النصّي على وفق مراد صاحب النصّ عليه السلام.

من هنا جاء البحث؛ ليحلّل - بقدر وسعه - كلمات القرآن الناطق عليه السلام، مستنطقاً إيّاها لمعرفة ذلك الأثر المعرفي، واتّخاذه منطلقاً راکزاً في السير نحو فهم موثوق للنصّ القرآني، متّكئاً في ذلك على ما وصف به الأمير عليه السلام القرآن الكريم من صفاتٍ ينبغي الوقوف عليها، بروية تحليليّة؛ لاتّخاذها منطلقات أساسيّة يفهم النصّ في ضوئها.

الكلمات المفتاحيّة: أثر أمير المؤمنين، المنطلقات المعرفيّة، تفسير النصّ القرآنيّ.

**Abstract:**

The prophetic establishment of the epistemological interconnection between the holy Qur'an and the purified progeny in general, and the Commander of the Faithful (peace be upon him) in particular, and the determination of his interpretive authority over the text through the mutual ma'iyya (togetherness) between the Qur'an and Imam 'Ali (peace be upon him), illuminated the epistemic path for understanding and interpreting the text and identified the locus of methodological engagement. The rich Qur'anic heritage of the Commander of the Faithful (peace be upon him) contained integrated epistemological systems across various intellectual fields the ethical and educational, the economic and social and included what pertains to clarifying the epistemological premises necessary for interpreting and understanding the Qur'anic text in its doctrinal and practical dimensions, and for establishing a scientific methodology whose data must be adopted and whose outcomes must be adhered to, so that textual elicitation aligns with the intent of the Author of the text (Glorified and Exalted). Hence, this study comes to analyze within its capacity the words of the "Speaking Qur'an" (peace be upon him), eliciting from them the recognition of that epistemological impact and adopting it as a foundational starting point in the pursuit of a reliable understanding of the Qur'anic text, relying therein on the attributes with which the Commander (peace be upon him) described the holy Qur'an attributes that warrant careful consideration through an analytical vision, to adopt them as essential premises by which the text may be understood.

**Keywords:** Impact of the Commander of the Faithful, epistemological premises, interpretation of the Qur'anic text.

## المقدمة:

ضمَّ القرآن الكريم آيات تُفصي بظواهرها إلى دلالاتٍ من شأنها إضفاء الجسميّة على الذات المقدّسة، أو لحوق بعض الممتنعات عقلاً بساحة قدسه كالظلم، والإضلال وشبههما، وتلك الأفهام المتبادرة من الظهور الأوّليّ تتعارض مع دلالاتٍ قطعِيّة لآياتٍ أخرى، متوافقة وحصافة العقل، والموروث الروائيّ الصحيح، إلّا أنّ بعضهم أجرى ما دلّ على الجسميّة، والتشبيه على ظواهرها، وكذا استقى ما يؤيد ذلك من مروياتٍ يشوبها الوضع، والدسّ، فبنى عليه فهمه، ومن هنا تولّدت مدارس أو اتجاهات عقديّة وفقهيّة مختلفة، بعض أدّى فهمه للتكفير أو الاتهام بالشرك للمخالف في الفهم؛ لفساد منطلقه الفكريّ، وتأسيسه لقواعد تنتج تلك الانحرافات في الفهم، أو الواقع بداهة، فادّعت الحقانيّة لنفسها نافية إمكان تملكه غيرها، وأنها هي الناجية وغيرها الهلكى.

إنّ منزل النصّ القرآنيّ الكريم لم يكن ليترك الناس هملاً دون موجّه ومرشد، فبيّن لهم ما اختلفوا فيه، فأعطى لنبيه الأكرم عليه السلام صلاحية البيان والتفصيل، ثمّ أعطيت تلك الصلاحية لباب مدينة علمه عليه السلام والمعصومين من بعده.

من هنا تبرز أهميّة هذه الورقة البحثيّة، الساعية لرصد أبرز المنطلقات المحدّدة من قبل الأمير عليه السلام، والمحدّدة للمسارات الممكنة لفهم النصّ في ضوئها، وسيتمّ تبويب البحث على وفق المنطلقات التي أفادها الباحث من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، في وصف القرآن الكريم. ومن الله العون والتوفيق.

المنطلق الأوّل: بيانه وتبيينه

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم بدرجة من البيان أن يُعجز العرب على الإتيان بمثله، وفي الوقت عينه كان واضح الدلالة بيئاً ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، إلا أن معانيه غير مبتذلة، أو ميسرة لكل أحد، ولا مُطْلَسمة مغلقة على كل أحد؛ لذا احتاج إلى تبين النبي الأكرم ﷺ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

اتَّسم النصُّ القرآني منفردًا باستعمال ألفاظٍ اختيرت من معجزه متَّسقة الفصاحة، ومتَّفقة الذائقة البلاغيَّة العربيَّة، مطوِّعًا المفردة بتصريفاتها المعروفة، أو نحتًا لأخرى، حاملة دلالات غير معهود كثير منها، قاصدة لفت المخاطب لتدبُّر النصِّ واستجلاء معانيه، مكتنزة مرادات بمستويات متناسبة وأفهام قارئها، مع ما يحمله من ثقافة لغويَّة وروائيَّة سائرة على وفق قواعد منطقيَّة ونصيَّة، إلا أن معرفة المراد الأعلى لا يتحصَّل إلا ممَّن حُصَّ بلطفٍ إلهيٍّ، وكان من (الراسخين في العلم) معصومًا من الخطأ؛ فيكون تفسيره وبيانه موافقًا للمراد الإلهيِّ الأسمى؛ لملازمته للقرآن الكريم قولاً وفعلاً كما نصَّ النبيُّ الأكرم ﷺ بقوله: ((إني قد تركت فيكم أمرين لن تضلُّوا بعدي ما إن تمسَّكتم بهما: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير قد عهد إليَّ أنهما لن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض كهاتين - وجمع بين مسبحتيه - ولا أقول كهاتين - وجمع بين المسبحة والوسطى - فتسبق إحدهما الأخرى، فتمسَّكوا بهما لا تزُلُّوا ولا تضلُّوا ولا تقدِّموهم فتضلُّوا))<sup>(١)</sup>، فالثنائيَّة الظاهريَّة بين القرآن والعتره، هي واحدة واقعًا.

لقد وصف الله تعالى القرآن الكريم بأنَّه بيِّنٌ وواضح، وأنَّه جاء لأجل هداية

(١) الكافي، الكليني: ٤١٥ / ٢.

الناس، وهذا المعنى ورد في كثير من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ [الحجر: ١]، وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ \* يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، وغيرها من الآيات القرآنية الدالة على أن القرآن بينٌ وواضح، وهناك آيات أُخرُ أشارت إلى أنه تبيانيته؛ بل ومبيئته لغيره، منها قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، ونُلفه - كما أشرنا - يقرن الهداية بالبيان والتبيين.

### النص القرآني بين الوضوح والغموض

إلا أننا نتعرض لتساؤل أو شبهة، طرحها بعضهم مفادها: كيف يكون القرآن هادياً للناس، وهو غير بينٌ وواضح؛ فيحتاج إلى بيان من النبي صلى الله عليه وآله كما صرح بذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، فكيف يمكن الجمع بينهما؟

وفي هذا يقول السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ): ((وحاشا أن يكون القرآن تبيانياً لكل شيء ولا يكون تبيانياً لنفسه، وقال تعالى: ﴿هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وكيف يكون القرآن هدىً وبيئاً وفرقناً ونوراً، مبيئاً للناس في جميع ما يحتاجون ولا يكفيهم في احتياجهم إليه، وهو أشدُّ الاحتياج))<sup>(١)</sup>!

إن من الأسس المهمة التي يجب أن يُعتقد بها هو إمكان فهم بعض آيات القرآن الكريم وتفسيرها، وعدم انحصار تفسيرها بمجموعة من المخاطبين؛ لأن القرآن الكريم نصٌّ عربيٌّ بينٌ واضحٌ لا غموض فيه، وقد جرى على عرف

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١ / ١١ .

المحاورة العقلائيّة، ولم يتخذ له طريقًا خاصًّا في التفهيم، ولم يكن مُلغزًا ومُشفرًا ليستحيل فهمه على من يريد تفسيره<sup>(١)</sup>.

فهو لم يكن بنحو من الاستغلاق والطلسمة أن يحار في فهم العربيّ الفصيح؛ بل هو بدرجة من الوضوح والبيان أن يقدر على فهمه كلّ ذي معرفة باللسان العربيّ؛ لذا تحدّى الله تعالى العرب على أن يأتوا بمثله فقال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ثمّ تحدّى أن يؤتى بعشر سور من مثله فقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاذْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، وتحدّى أن يؤتى بسورة من مثله، وإن كانت صغيرة، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُوْرَةٍ مِثْلِهِ وَاذْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وهذا التحدي لا يكون إلا لمن يعرف اللسان، ويفقه البيان؛ وإلا يكون تكليفًا بما لا يُطاق.

لذا عدّ القول بحجّيّة ظواهر القرآن الكريم المنطلق الأساس في إثبات إمكان تفسير القرآن الكريم، وأنّ رفض بعض العلماء بهذا يترتب عليه عدم إمكان فهم النصّ القرآنيّ عند المتلقّي الاعتيادي، وحصر فهمه بالمعصومين (عليهم السلام)، مستدلين بأدلة عدّة منها ما روي عن أبي جعفر (عليه السلام) قوله: ((ويحك يا قتادة إنّما يعرف القرآن من خوطب به))<sup>(٢)</sup>.

وعند النظر في كلمات الإمام عليّ (عليه السلام) نجده قد أسّس لهذا المنطلق المعرفيّ والأصل القرآنيّ في أكثر من مورد، فعنه (عليه السلام) قال: ((قَدْ سَمَىٰ آثَارَكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ، وَكَتَبَ آجَالَكُمْ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمْ الْكِتَابَ؛ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ))<sup>(٣)</sup>، وقال (عليه السلام):

(١) ينظر: البيان، أبو القاسم الخوئي: ٢٦١.

(٢) الكافي: ٣١٢ / ٨.

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ٨٦.

((إن القرآن هدى من الضلالة، وتبيان من العمى...))<sup>(١)</sup>، وقوله: ((إن القرآن هو الكتاب الذي يرشد العباد إلى الحق، ويبين لهم الصواب والضلال))<sup>(٢)</sup>، ففي هذه النصوص يبين عليه السلام أن القرآن الكريم هو المرشد والهادي والواضح، وفي بعضها اقتباس قرآني لهذا الأساس والمنطق.

وفي مورد آخر نجده عليه السلام قد فصل في كيفية تبيان القرآن الكريم لتشريعاته وأحكامه فقال: ((كِتَابُ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مَبِينًا، حَلَالُهُ وَحَرَامُهُ، وَفَرَائِضُهُ وَفَضَائِلُهُ وَنَاسِخُهُ وَمَنْسُوخُهُ، وَرُخْصَتُهُ وَعَزَائِمُهُ وَخَاصَّتُهُ وَعَامَّتُهُ، وَعَبْرُهُ وَأَمْثَالُهُ وَمُرْسَلُهُ وَمَحْدُودُهُ وَمُحْكَمُهُ وَمُتَشَابِهُهُ، مُفَسَّرًا مُجْمَلًا وَمُبِينًا غَوَامِضُهُ بَيْنَ مَا أُخُوذُ مِيثَاقُ عِلْمِهِ، وَمَوْسَعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ، وَبَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ، وَمُرْخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ، وَبَيْنَ وَاجِبٍ بَوَاقِيهِ وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ، وَمُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدَدٍ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ، وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوسَعٍ فِي أَقْصَاهُ))<sup>(٣)</sup>.

فالقرآن الكريم كما وصفه صنوه بين للناس الحلال المرخص لهم فعله، وبين لهم الحرام الواجب عليهم تركه، وبين ما فرضه الله عليهم وأوجب فعله على العباد، وأوضح ما فيه الفضل والخير، إلى أن يقول عليه السلام: ((إن الله أنزل القرآن الكريم وقد فسّر وأوضح ما أجمل في موضع بموضع آخر، وبين ما قد غمض على الناس فهمه، ألا إن ذلك لا يكون - أكيداً - متيسراً لكل أحد، وقد بين هذا المعنى الإمام الصادق عليه السلام في خطبة له في ذكر النبي الأكرم عليه السلام فقال: ((وأُنزِلَ اللهُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ فِيهِ الْبَيَانُ وَالتَّبْيَانُ قَرَأْنَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، قَدْ بَيَّنَّهُ لِلنَّاسِ وَنَهَجَهُ بَعْلَمَ قَدْ فَصَّلَهُ، وَدِينٌ قَدْ أَوْضَحَهُ وَفَرَائِضٌ قَدْ أَوْجَبَهَا، وَحُدُودٌ

(١) نهج البلاغة الخطبة: ١٥٢ .

(٢) الكافي: ٢ / ٥٨٧ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ١ .

حدّها للنّاس، وبيّنها وأمور قد كشفها لخلقها وأعلنها، فيها دلالة إلى النجاة))<sup>(١)</sup>.  
فهذه الكلمات ونظيرها كثير في كلمات الأمير التي تشير إلى أن القرآن الكريم  
يُبين للنّاس ما يحتاج إلى بيان وإرشاد.

ومثله كثير ما ورد عنه عليه السلام في التصريح أن القرآن الكريم بين وواضح بنفسه،  
فهو غير غامض أو مطلسم، من ذلك ما ورد في نهج البلاغة التي عنونت الغاية  
من البعثة، فيقول فيها: ((فَبَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ  
الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ لِيَعْلَمَ  
الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقَرِّبُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ، فَتَجَلَّى  
لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا آرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ  
سَطْوَتِهِ، وَكَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ، وَاحْتَصَدَ مَنْ احْتَصَدَ بِالنَّقَمَاتِ))<sup>(٢)</sup>.

فالإمام عليه السلام يعرف النّاس بغاية البعثة المباركة للنبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي إخراج  
النّاس من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، وهذه الهداية كانت بواسطة هي كافية  
لتلك العمليّة، وهي (القرآن الكريم)، ثم إن هذا الكتاب بين وواضح، محكم  
البناء غير متعارض، ومتناقض في تشريعاته وأحكامه، ثم إنّه بهذا القرآن المعجز  
قد تجلّت قدرة الله ورحمته، فمن أراد أن يعرف قدرة الله وعلمه وحكمته فعليه  
بتدبر القرآن الكريم؛ فهي دليل ومرشد إلى تلك القدرة والعلم والحكمة غير  
المتناهية ولا ممكنة الإحاطة. وكذا قوله عليه السلام: ((وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ فَإِنَّهُ الْحَبْلُ  
الْمَتِينُ وَالنُّورُ الْمُبِينُ))<sup>(٣)</sup>، فيصفه عليه السلام أنّه نور واضح ومبين.

(١) الكافي: ١ / ٤٤٥ .

(٢) نهج البلاغة الخطبة: ١٤٧ .

(٣) م. ن: ١٥٦ .

## الحاجة إلى التفسير:

بعد أن تبين في الروايات المتقدمة إمكان فهم القرآن الكريم، بوصفه بياناً وجاء بلسان عربي مبين، فقد يطرح إشكال عدم الحاجة إلى التفسير؛ لأن التفسير هو الكشف والبيان، والكشف إنما يكون لما هو غامض وغير بين، فإما أن يكون القرآن الكريم واضحاً وبيّناً وحينئذ لا تكون حاجة للتفسير، أو يكون غامضاً، وهذا القول يتناقض مع صريح الأوصاف القرآنية التي أشارت إليها الآيات القرآنية. وللجواب عن هذا الإشكال لا بد من معرفة طبيعة الخطاب في النص القرآني، أ هو استغلاقي لا يفهم المقصود منه لوجود بعض الشفرات والتلغيزات؟ أم هو خطاب تداولي استهلاكي لا يمتد خارج زمانه ومكانه؟ والثابت أن القرآن الكريم لا هذا ولا ذلك؛ فهو خطاب إبداعي فيه من الغموض ما يُضفي على النص جماليةً فنيةً وبعداً زمنياً، وهذا الغموض ليس استغلاقياً، فيمكن لكل من يمتلك الأدوات التفسيرية أن يكشف عنه بالتأمل والتدبر الذي أمرنا به القرآن الكريم. ولهذا الغموض الإبداعي أسباب متعددة من أهمها:

- ١ - قد يكون الغموض بسبب المتلقي؛ لتفاوت مستويات الفهم، وليس في النص نفسه، لعدم امتلاك الأدوات المعرفية التي تُساعد المتلقي على الفهم.
- ٢ - قد يكون سبب الغموض في المفردة القرآنية قلة استعمالها، أو قد يكون الغموض ناشئاً من احتمالية تعدد معاني تلك الألفاظ في ضوء تعدد السياق من قبيل المشترك اللفظي، وقد يكون التعدد في معاني الألفاظ نتيجة للتطور الدلالي لمعاني تلك الألفاظ.
- ٣ - قد يكون الغموض بسبب احتمال التركيب القرآني لأكثر من صورة، وباختلاف الصورة يختلف المعنى، وقد يكون بسبب تفسير الآيات ذات الموضوع الواحد بمعزل عن الآراء الأخرى.

٤ - قد يكون الغموض بسبب احتمالية بعض الألفاظ لمعان باطنية تُدرك بالتأمل الدقيق، وقد لا يدركها إلا من له حظٌّ في فهم الحقائق القرآنية.

٥- وجود الآيات المتشابهة: وهو من أهم أسباب وجود الغموض في النصّ القرآني، فقد احتوى القرآن الكريم على المحكم والمتشابه، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، ووجود المتشابه لحكمة أرادها الله سبحانه، نحو مراعاة لمستويات الفهم؛ لأنّ الأذهان مختلفة في تلقي تلك المستويات<sup>(١)</sup>، وغيرها من الأسباب الداعية لوجود المتشابه في القرآن الكريم، وسنبسط الكلام فيه في محلّه إن شاء الله تعالى. من هنا يتضح هذا المنطلق المعرفي والمرتكز التفسيري المستقى من القرآن الكريم، وما وصف به الإمام عليّ عليه السلام، وهو أنّ القرآن بين واضح بمستوى يفهمه كلٌّ من له معرفة باللسان العربي، وأنّه يبيّن للناس الحقّ والهدى من تشريع وتنظيم، إلا أنّ فيه من الأحكام والتشريعات ما يحتاج إلى بيان من النبيّ ﷺ، وأهل بيته الذين هم عدل القرآن، وعلى رأسهم باب مدينة علمه أمير المؤمنين عليه السلام.

#### المنطلق الثاني: صيانتته عن التحريف

في البدء حرّيّ بنا أن نفهم المراد من (التحريف)، بوصفه منطلقاً واجب المعرفة والاعتقاد، لكلّ قارئٍ للنصّ معتقد بمصدريته المقدّسة، وما المصان عنه الوقوع فيه، هل المفهوم بإطلاقه، أو ممكن الوقوع في بعض معانيه؟

#### معاني التحريف:

وفي هذا الباب يكفينا ما فصله السيّد الخوئي (ت: ١٤١٣هـ) في معاني التحريف، وقد أورده في معان عدّة، فبعضٌ منها واقع في القرآن باتّفاق المسلمين، وبعضٌ لم يقع فيه باتّفاقٍ منهم أيضاً، وبعضٌ منها وقع الخلاف بينهم<sup>(٢)</sup>:

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ٥٧/٣.

(٢) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ١٩٧-٢٠٠.

الأول: نقل الشيء عن موضعه وتحويله إلى غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]. ويرى السيد أن لا خلاف بين المسلمين في وقوع مثل هذا التحريف في كتاب الله؛ فإن كل من فسّر القرآن بغير حقيقته، وحمله على غير معناه فقد حرّفه. ويقول إن: كثيراً من أهل البدع، والمذاهب الفاسدة قد حرّفوا القرآن بتأويلهم آياته على آرائهم وأهوائهم، وقد ورد المنع عن التحريف بهذا المعنى، وذمّ فاعله في روايات عدّة.

الثاني: النقص أو الزيادة في الحروف أو في الحركات، مع حفظ القرآن وعدم ضياعه، وإن لم يكن متميّزاً في الخارج من غيره. ويذهب إلى أنّ التحريف بهذا المعنى واقع في القرآن قطعاً؛ لأنّه ثبت عدم تواتر القراءات، ومعنى هذا أنّ القرآن المنزّل إنّما هو مطابق لإحدى القراءات، وأمّا غيرها فهو إمّا زيادة في القرآن وإمّا نقيصة فيه، أي في بعض حروفه أو حركاته.

الثالث: النقص أو الزيادة بكلمة أو كلمتين، مع التحفّظ على القرآن المنزّل نفسه. والتحريف بهذا المعنى قد وقع في صدر الإسلام، وفي زمان الصحابة قطعاً، ويدلنا على ذلك إجماع المسلمين على أنّ عثمان أحرق جملةً من المصاحف، وأمر ولاته بحرق كلّ مصحفٍ غير ما جمعه، وهذا يدلُّ على أنّ هذه المصاحف كانت مخالفة لما جمعه، وأمّا القرآن الموجود فليس فيه زيادة ولا نقيصة. ثمّ يقول عليه السلام: وخلاصة القول: إنّ من يقول بعدم تواتر تلك المصاحف - كما هو الصحيح - فالتحريف بهذا المعنى وإن كان قد وقع عنده في الصدر الأوّل إلاّ أنّه قد انقطع في زمان عثمان، وأمّا القائل بتواتر المصاحف بأجمعها، فلا بدّ له من الالتزام بوقوع التحريف بالمعنى المتنازع فيه في القرآن المنزّل، وبضياع شيء منه.

ويرى الباحث أنّ ما ذكره السيد في خلاصته فيه نظر، على التفريعين الذين ذكرهما، ففي الأوّل الذي يرى عليه السلام أنّه حدث وانقطع، لمن يقول بعدم تواتر تلك

المصاحف - وهو رأي يتبناه سماحته - فإن التحريف الذي نقصده هو الذي وقع في النص القرآني النازل على النبي الأكرم ﷺ، والمقطوع بنزوله، أما المصاحف غير المتواترة فهي ليست القرآن الذي نعيه.

أما الرأي الآخر الذي يرى تواتر المصاحف، والذي قال فيه ﷺ أنه يؤدي إلى التحريف بالمعنى المتنازع عليه، وأن بعضاً من القرآن ضاع، هذا يصح لو قطعنا أن في تلك المصاحف اختلافاً في الكلمات والآيات بزيادة أو نقصان، أما الرأي القائل إن هذه المصاحف كانت لغرض توحيد القراءة، وهو المشهور كما يقول السيوطي (ت: ٩١١هـ) : ((وقال الحارث المحاسبي المشهور عند الناس أن جامع القرآن عثمان وليس كذلك، إنما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على اختيار وقع بينه وبين من شاهده من المهاجرين والأنصار لما خشي الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام في حروف القراءات))<sup>(١)</sup>، فلم يقع التحريف بهذا المعنى؛ فلأن توجد مصاحف مرسومة بالقراءات السبع أو العشر، والأعلام يصححون القراءة في أحدها حتى في الصلاة.

الرابع: التحريف بالزيادة والنقص في الآية والسورة مع التحفظ على القرآن المنزل، والتسالم على قراءة النبي ﷺ إياها. والتحريف بهذا المعنى أيضاً واقع في القرآن قطعاً، فالبسملة - مثلاً - مما تسالم المسلمون على أن النبي ﷺ قرأها قبل كل سورة غير سورة التوبة، وقد وقع الخلاف في كونها من القرآن بين علماء السنة، فاختار جمع منهم أنها ليست من القرآن؛ بل ذهب المالكية إلى كراهة الإتيان بها قبل قراءة الفاتحة في الصلاة المفروضة، إلا إذا نوى به المصلي الخروج من الخلاف، وذهب جماعة أخرى إلى أن البسملة من القرآن.

وأما الشيعة فهم متسالمون على جزئية البسملة من كل سورة غير سورة التوبة،

(١) الإتيان: ١٦٦/١.

واختار هذا القول جماعة من علماء السنة أيضاً - وستعرف تفصيل ذلك عند تفسيرنا سورة الفاتحة - وإذن فالقرآن المنزل من السماء قد وقع فيه التحريف يقيناً، بالزيادة أو بالنقص، وفي هذا الإجماع نظر كذلك، فإن قول بعضهم إن البسمة ليست من القرآن لا تُثبت التحريف الواقعي، والقول إن هذا النوع واقع قطعاً؛ بل هو رأي بعضهم فقط.

الخامس: التحريف بالزيادة، بمعنى أن بعض المصحف الذي بأيدينا ليس من الكلام المنزل، والتحريف بهذا المعنى باطل بإجماع المسلمين؛ بل هو مما عُلِمَ بطلانه بالضرورة.

السادس: التحريف بالنقص، بمعنى أن المصحف الذي بأيدينا لا يشمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس، والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف، فأثبتته قوم ونفاه آخرون.

#### أهمية القول بعدم التحريف:

إن أهم منطلق معرفي يجب الاعتقاد به والعمل وفقه، هو القول بعدم تحريف القرآن الكريم، فبعدم القول بهذا المنطلق التفسيري سوف تنهار المنظومة التفسيرية، وينتفي الإعجاز القرآني، والتعهد الإلهي بحفظ النص، فلعل المفسر يفهم أمراً خلاف المراد الإلهي؛ لأن الآية المبيّنة لذلك المعنى قد حُرِّفت؛ بل قد يُفسر المفسر الآيات، وهي بالأصل ليست من القرآن، وكذا هذا يدل على أن الكلام الإلهي ليس بمعجز، وإمكان البشر الإتيان بمثله؛ لأننا لا نفرق بين ما لله وما للبشر من كلام، إلى غيرها من الإشكالات والمحاذير التي يضمّمها القول بعدم صيانة القرآن الكريم من التحريف.

لذا نجد القرآن الناطق عليه السلام، والمدون والأول للقرآن، والجامع له، أكد هذا

المنطلق القرآنيَّ والمعرفيَّ بمناسبات عدَّة، فعن يوسف بن عبد الرحمن رفعه إلى الحارث الأعور قال: ((دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت: يا أمير المؤمنين، إننا إذا كُنَّا عندك سمعنا الذي نسدُّ به ديننا، وإذا خرجنا من عندك سمعنا أشياء مختلفة مغموسة لا ندري ما هي؟ قال: أو قد فعلوها؟ قال: قلت: نعم، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أتاني جبرئيل فقال: يا محمد سيكون في أمَّتكَ فتنة، قلت: فما المخرج منها؟ فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر، وخبر ما بعدكم وحكم بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من ولَّاه من جبار فعمل بغيره قصمه الله، ومن التمس الهدى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم لا تزيغه الأهوية ولا تلبسه الألسنة، ولا يخلق على الردِّ ولا ينقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء هو الذي لم تكنه الجن؛ إذ سمعته أن قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا \* يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ [سورة الجن: ١-٢]، من قال به صدق، ومن عمِل به أُجر، ومن اعتصم به هدى إلى صراط مستقيم، هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه))<sup>(١)</sup>.

فقوله عليه السلام: (لا تلبسه الألسنة) أي: لا تختلط الألسنة به مع غيره، فهو كلام عربيٌّ مبين ومعجز، وفي هذه العبارة دلالة على إعجازه في النظم، وأنه لا يمكن أن يكون فيه تحريف بزيادة مع غيره، بغيره لا يرقى إليه ولا يمكن أن يختلط به، وبعبارة أدلُّ على هذا المعنى قوله عليه السلام: هو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أي: إنَّه محفوظ عن التحريف، سواء أكان بزيادة أو نقصان، فهو الحقُّ المطلق غير المدخل فيه ما ليس منه.

### المنطلق الثالث: المسائرة الزمكائية

إنَّ اقتضاء خاتمة الرسالة المحمَّديَّة لجميع الشرائع الإسلاميَّة يلزم خلود

(١) تفسير العياشي: ٣/١.

الرسالة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وما نقصده من كون القرآن الكريم مسيراً لكل زمان هو أن أحكامه وتشريعاته، ومعارفه صالحة للتطبيق في كل زمان، ولا تقف على زمان نزوله فقط، ولا تتعارض مع العلم أو الفطرة الإنسانية، فهو صالح للتطبيق في أي مكان من بقاع الأرض، مع اختلاف الثقافات والاتجاهات؛ لأنه يحمل قيمةً إنسانيةً ثابتة، فالتسامح والحرية والعدل والإحسان وغيرها من القيم الأخلاقية لا يختلف فيها اثنان في كل بقاع الأرض، وكذا تشريعاته الهادفة لصيانة الفرد والأسرة من التفكك والانجرار إلى الهاوية، لا يرفضها كل ذي عقل حصيف.

وهذه المسaire يضارع معناها ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام: ((إن القرآن حيٌّ لا يموت، والآية حيّة لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الأقاليم ماتوا فمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين... إن القرآن حيٌّ لم يموت، وأنه يجري ما يجري الليل والنهار، وكما تجري الشمس والقمر، ويجري على آخرنا كما يجري على أولنا))<sup>(١)</sup>.

فأسس الإعلام من هذه الرواية وغيرها قاعدة تفسيرية سمّوها (الجري والانطباق)<sup>(٢)</sup>: بمعنى أن المفاهيم القرآنية لا تتوقف على زمان معين أو مصداق خاص؛ بل تنطبق تلك المفاهيم الكلية على مصداق متعددة غير ما نزل النص بها، أي أنها لا تقف على المصداق الذي كان سبباً لنزول تلك الآية؛ بل يتعداه لغيره؛ لذا قال العلماء قاعدة مفادها أن ((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب))<sup>(٣)</sup>.

ثم إن الخلود وحده من دون صلاحية مواكبة متغيّرات الأزمنة والأمكنة يتعارض مع قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالتلازم المعرفي الذي أشارت إليه

(١) تفسير العياشي: ٢/ ٢٠٣-٢٠٤.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ٣٩٢.

(٣) ينظر: المحصول، الرازي: ٣/ ١٢٥، ومختلف الشيعة، العلامة الحلي: ٣/ ٥٤٠.

الآية ودلت عليه القرائن المحيطة بالنص يفاد منها استمرارية الرسالة وديمومتها بهذه المعية التي نص عليها حديث الثقلين.

### أسس المنطلق:

وقد أسس الإمام علي عليه السلام لهذا المنطلق المعرفي بوصفه أساساً تفسيريّاً، بمجموعة من الأقوال التي رويت عنه، فقد روى أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في وصف القرآن الكريم: ((لا تختلقه الألسن، ولا تفنى أعاجيبه، فيه نبأ ما كان قبلكم، وفصل ما بينكم، وخبر ما هو كائن بعدكم))<sup>(١)</sup>، وفي هذا الحديث إشارة جليّة لمسيرة القرآن الكريم، وصلاحيّة العمل به، والأخذ منه في كلّ زمان ومكان، وكذا بيان لإعجاز القرآن الكريم، ومن بديع قوله صلى الله عليه وآله شمول الإعجاز الغيبيّ الماضيّ، والإعجاز التشريعيّ، والإعجاز الغيبيّ المستقبليّ، وقوله صلى الله عليه وآله: (لا تختلقه) أي: ليس بمقدور ألسن البشر أن تأتي بمثله، أو تخلق وتوجد كلاماً مثله، وهذا دليل على إعجازه اللغويّ والبيانيّ والنظميّ، وفي لفظ آخر (لا تُخلقه) أي: لا تُبليه، وتجعله قديماً؛ بل هو جديد في كلّ آن، طريٌّ كأنه يُقرأ لأول مرة. وفي نهج البلاغة عنه عليه السلام أنه قال: ((إنّ القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق لا تُفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلّا به))<sup>(٢)</sup>، وهذا أيضاً يدلّ على مسيرته ومعاصرته لكلّ زمان ومكان، وانتفاع أهل كلّ عصر بعلمه، وإرشادهم وهديمهم به، وهذا القول يتضمّن رصد الإعجاز العلميّ، بأنّ ما يكشفه في كلّ عصر من الغرائب العلميّة، والعلوم بأنواعها، أمر يدلّ على الغرابة والانبهار بأنّ هذا النصّ له القابليّة أن يُخاطب أهل العصر الذي نزل عليهم، ويبيّن لهم من الأحكام والتشريعات التي تهديهم، وترشدهم للتي هي أقوم، بصياغات ليس لهم عهد بها، فعجزوا عن الإتيان بالصياغة والدلالات، وكذلك هو باقٍ

(١) مسند الإمام علي عليه السلام، حسن القبانجي: ٢٣٨/١.

(٢) نهج البلاغة: ٥٥/١.

على هدايته، وإرشاده للناس في كل عصر، كاشف لهم ما ينفعهم في أمر دنياهم وأخراهم.

وروي أيضاً أنه قال في وصف القرآن الكريم: ((لا يعوجّ فيقام ولا يزيغ فيستعَب، ولا تُخلِّقه كثرة الردّ وولوج السمع، من قال به صدق ومن عمل به سبق))<sup>(١)</sup>، فهو لا يُمَلّ حتّى من كثرة قراءته أو الاستماع له: ((ولا يُخلِّقه كثرة الردّ وولوج السمع، هذا من خصائص القرآن المجيد شرفه الله تعالى، وذلك أنّ كلّ كلام منشور أو منظوم إذا تكرّرت تلاوته وتردّد ولوجه الأسماع مُلّ وسمح واستُهجن، إلّا القرآن فإنّه لا يزال غصّاً طريّاً محبوباً غير مملول))<sup>(٢)</sup>. وروي في وصف القرآن الكريم أيضاً أنه قال: ((كتاب الله بين أظهركم ناطق لا يعيب لسانه، وبيت لا تُهدم أركانه، وعزٌّ لا تُهزم أعوانه))<sup>(٣)</sup>. فمقتضى ما تقدّم من أوصاف للقرآن الكريم تُفيد صلاحيّته، وقابليّته لمسيرة كلّ زمان ومكان، فلو كان غير ذلك لما وُصف بأنّه (لا تختلفه الألسن)، و(لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه)، و(لا تخلقه كثرة الردّ وولوج السمع)، (ناطق لا يعيب لسانه، وبيت لا تهدم أركانه، وعزٌّ لا تهزم أعوانه)، فعناصر الديموميّة والاستمراريّة متوافرة في القرآن الكريم؛ لأنّه كتاب هداية، والهداية يجب أن تستمرّ.

وفي هذا المعنى ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن القاسم بن إسماعيل أبي ذكوان، قال: ((سمعتُ إبراهيم بن العباس يُحدّث عن الرضا، عن أبيه موسى ابن جعفر عليه السلام أنّ رجلاً سأل أبا عبد الله عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد عند النشر والدراسة إلّا غضاضة؟ فقال: لأنّ الله لم ينزّله لزمان دون زمان، ولا لناس دون ناس، فهو في كلّ زمان جديد، وعند كلّ قوم غضٌّ إلى يوم القيامة))<sup>(٤)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ٤٩/٢ .

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٤٠٢ / ٩ .

(٣) نهج البلاغة الخطبة: ١٣٣ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٩٣ / ٢ .

و مسألة صلاحية القرآن الكريم لكل زمان من المسائل الجدلية بين المفسرين الأصوليين<sup>(١)</sup> والحدائين، فقد ذهب الحدائون إلى خلاف ذلك، فهم يرون عدم صلاحية كثير من التشريعات التي ذكرت في القرآن؛ لعدم انسجامها مع الواقع - بحسب زعمهم - كأحكام الحدود وما يخصّ تشريعات المرأة والعلاقة مع الكفار وغير ذلك، وعليه فلا بد من جعل تلك التشريعات خاصّة بذلك الزمان والبحث عن تشريعات أكثر ملائمة مع تطوّرات العصر والحياة المدنية والأنظمة والقوانين الدولية<sup>(٢)</sup>.

لذا قالوا بتاريخية النصّ القرآني بوصفه خطاباً خاصّاً بزمان نزول النصّ، وقد صرّحوا بذلك في أكثر من مناسبة، فقال آركون: ((أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تطرح عملياً قط بهذا الشكل من قبل الفكر الإسلاميّ ألا وهي: تاريخية القرآن، وتاريخية ارتباطه بلحظة زمنية وتاريخية معينة))<sup>(٣)</sup>، ومَن نظر للتاريخية في كثير من كتاباته نصر حامد أبو زيد بطرحه مسألة المعنى والمغزى<sup>(\*)</sup>، فذهب إلى أن المعنى ((ذو طابع تاريخي، أي إنّه لا يمكن الوصول إليه إلا بالمعرفة الدقيقة لكل من السياق اللغويّ الداخليّ والسياق الثقافيّ الاجتماعيّ الخارجيّ، والمغزى - وإن كان لا ينفك عن المعنى؛ بل يلامسه وينطلق منه - ذو طابع معاصر، بمعنى أنّه محصّلة لقراءة عصر غير عصر النصّ))<sup>(٤)</sup>، ويترتب على ذلك إنكار صلاحية القرآن لكل زمان ومكان.

(١) يُقصد بالأصوليين ما يقابل الحدائين: والفرق بين القراءة الأصولية والحدائية هو أن القراءة الأصولية تتحرّك في ضوء الرؤية الإسلامية، وتلتزم بشروط وضوابط التفسير، أمّا القراءة الحدائية: فهي لا تلتزم عادة بشروط التفسير وضوابطه، وتعتمد على إسقاط النظريات الغربية على التفسير ومحاوله فهم القرآن الكريم في ضوء فهم المتلقي.

(٢) يُنظر: الإسلام والحريّة، محمّد الشرفي: ٨٦، والوحي والظاهرة القرآنية، عبد الكريم سروش، وآخرون: ٦٤.

(٣) الفكر الإسلاميّ قراءة علمية: ٢١٢.

(\*) يُقصد بالمعنى ظهور اللفظ ويجعله خاصّاً بزمان النزول، أمّا المغزى فهو ما يفاد من اللفظ بالمقايسة مع الواقع مع قطع النظر عن أيّ ظهور؛ بل حتّى لو كان اللفظ نصّاً على معنى لا يؤخذ به إذا كان مخالفاً للواقع، يُنظر: نقد الخطاب الديني: ٢٣٦.

(٤) م. ن: ٢٣١-٢٣٢.

وتمسك المفسرون بهذا الأصل الذي أسس له الإمام علي عليه السلام فيما تقدم من روايات، لما يترتب على إنكاره من آثار خطيرة منها<sup>(١)</sup>:

- ١- أن القرآن الكريم منتجاً ثقافياً خاضعاً للأيدولوجيات والظروف الزمانية.
- ٢- اختلاف الدلالة القرآنية وتغيرها بحسب تغير الزمان والمكان.
- ٣- حاكمية الواقع على بقية المصادر التفسيرية، فالمدار في الفهم هو الواقع أولاً، وهو مقدم على أي فهم آخر.
- ٤- أن الفهم متغير وغير ثابت ونسبي، فلكل زمان فهمه الخاص به بحسب الظروف والواقع.

٥- عدم صلاحية أحكام القرآن؛ لتكون تشريعات لغير زمان نزول النص، ومن ثم لا بد من بحث عن تشريعات جديدة تتناسب مع الواقع في كل زمان ومكان. وهذا البيان يتضح هذا المنطلق المعرفي اللازم الاعتقاد به، وتطبيقه في العملية التفسيرية؛ لإنتاج فهم وتفسير هو أقرب لمراد الله تعالى.

#### المنطلق الرابع: الظهور والبطون

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على النبي الأكرم صلى الله عليه وآله هدى وبشرى للناس فقال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]؛ وكانت رسالته خاتمة للرسالات السماوية ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛ لذا من اللازم أن يكون في تلك الرسالة - متمثلة بالقرآن الكريم - من القابلية أن تُخاطب بمختلف أفهامهم وتعدد مستويات إدراكهم؛ فكان القرآن الكريم كتاب

(١) يُنظر: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن، أحمد محمد الفاضل: ٢٤٠، وتاريخية القرآن عند نصر حامد أبو زيد، أحمد واعظي، بحث منشور في مجلة المحجة، العدد ٢٥، صيف - خريف ٢٠١٢م: ٧٢.

اللَّه المعجز النازل باللسان العربيِّ المبين، حاوياً من المعاني المختبئة في ظلِّ اللفظ، ما لا يفهمها إلا من كان له مستوى عالٍ من المعرفة والعلم، ثُمَّ كان من إعجازه أن يتعدَّد المعنى المستنبط من اللفظ نفسه، بقدر ما علم الإنسان ومعرفته، وهذا من سرِّ إعجاز نظمته، وحُسن تحيُّر الألفاظ فيه، وهذه لا ينفي إعجاز المعنى الظاهريِّ المتبادر، ففيه من الإعجاز التشريعيِّ، والبلاغيِّ، والغبييِّ، ما عجز العرب مجتمعين ومتفرِّقين من أن يأتوا بمثل أقصر سورة من سوره.

من هنا انماز القرآن الكريم بهذه الخصيصة وهي أن ألفاظه وآياته لها معنى ظاهر وآخر باطن، كما روي أنه: ((جاء رجل إلى أبي جعفر عليه السلام بمكة، فسأله عن مسائل فأجابه فيها، ثُمَّ قال له الرجل: أنت الذي تزعم أنه ليس شيء من كتاب الله إلا معروف؟ - قال: ليس هكذا قلت: ولكن ليس شيء من كتاب الله، إلا عليه دليل ناطق عن الله في كتابه ممَّا لا يعلمه الناس، قال: فأنت الذي تزعم أنه ليس من كتاب الله إلا والناس يحتاجون إليه؟ قال: نعم، ولا حرف واحد، فقال له: فما (المص)؟ قال أبو لييد: فأجابه بجواب نسيته، فخرج الرجل فقال لي أبو جعفر عليه السلام: هذا تفسيرها في ظهر القرآن، أفلا أخبرك بتفسيرها في بطن القرآن؟ قلت: وللقرآن بطن وظهر؟ فقال: نعم، إنَّ لكتاب الله ظاهراً، وباطناً، ومعيناً، وناسخاً ومنسوخاً، ومحكماً، ومتشابهاً، وسنناً وأمثلاً وفصلاً ووصلاً وأحرفاً وتصريفاً، فمن زعم أن كتاب الله مبهم فقد هلك وأهلك))<sup>(١)</sup>.

والظاهر والباطن هما من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: **(هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)** [الحديد: ٣]، إلا أن معنى الظهور والبطون له تعالى بما يليق بجلاله كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الظَّاهِرُ بَعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاطِرِينَ، وَالْبَاطِنُ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ))<sup>(٢)</sup>، وقال عليه السلام: ((هُوَ

(١) المحاسن، البرقي: ١ / ٢٧٠.

(٢) نهج البلاغة: ٢١٣.

الظاهر عليها بسُلطانهِ وَعَظَمَتِهِ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ))<sup>(١)</sup>.

### أهمية معرفة البطون القرآنية:

وتعدُّ مسألة معرفة البطون القرآنية من أمّات المسائل في القرآن الكريم، وهي من أهم خصائصه، لذا قال بعضهم: ((وعلى الجملة فكلُّ مَنْ زاغَ ومالَ عن الصراط المستقيم، فبمقدار ما فاته من باطن القرآن فهماً وعلماً، وكلُّ من أصاب الحقَّ وصادف الصواب فعلى مقدار ما حصل له من فهم باطنه))<sup>(٢)</sup>.

لذا ورد عن ((جابر قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام عن شيء في تفسير القرآن فأجابني، ثمَّ سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم، فقال عليه السلام لي: يا جابر، إنَّ للقرآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر، وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن))<sup>(٣)</sup>.

ثمَّ إنَّ قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] بين أنَّ القرآن تبيان لكلِّ شيء، فيكون من المنطقيِّ أنَّ هذا التبيين لا يمكن أن يتحقَّق من طريق ظواهر القرآن الكريم، فلا يمكن لجميع الناس الاستفادة من الظواهر لتحقيق الهداية، فلا سبيل لفهم كلِّ شيء مع إغفال البطون القرآنية؛ لأنَّ الألفاظ تضيق بالمعاني فتحيل الفهم إلى الدلالات الالتزامية وغيرها من الدلالات الأخرى التي لا تُفاد من ظاهر النصِّ القرآني<sup>(٤)</sup>.

وقد انطلق بعض الأعلام من نقطة جوهرية وهي تعدُّ مراتب القرآن الكريم، فالظاهر يمثل هذه المرتبة (عالم الشهادة)، وله عوالم ومراتب متعدّدة في العوالم

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٦.

(٢) الموافقات، الشاطبي: ٢٢٣/٤.

(٣) تفسير العياشي: ١٢/١.

(٤) يُنظر: مبادئ تفسير القرآن دراسة مقارنة: ٩٠-٩١، وباطن القرآن الكريم وجدلية الإثبات والمعنى والمنشأ، علي الحواني، بحث منشور في مجلة المصباح، خريف (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، العدد: ٤: ٢٦٣.

الغيبية الأخرى تمثل مستويات البطون القرآنية، يقول السيد الخميني: ((فإنَّ للقرآن منازل ومراحل وظواهر وبواطن، أدناها ما يكون في قشور الألفاظ وقبور التعينات، كما ورد: (إنَّ للقرآن ظهراً وبطناً وحدّاً ومطلعاً)، وهذا المنزل الأدنى رِزق المسجونين في ظلمات عالم الطبيعة، ولا يمسُّ سائر مراتبه إلاَّ المطهَّرون من أرجاس عالم الطبيعة وحدثه))<sup>(١)</sup>.

والنصُّ القرآنيُّ بوصفه بناءً بلاغيًّا، فيه مجاز، واستعارة، وتمثيل، وقصص وتشبيه وكناية وغيرها، فهذا البناء يفتح النصَّ القرآنيَّ على دلالات ومعانٍ مستمرة عبر الزمن بحسب تطوُّر الوعي الإنسانيِّ، وهذه المعاني والدلالات هي ما تُسمَّى بالبطون القرآنية على بعض الآراء<sup>(٢)</sup>.

لقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: ((ما من آيةٍ إلاَّ ولها أربعة معانٍ: ظاهر وباطن وحدّ ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم، والحدّ هو أحكام الحلال والحرام، والمطلع هو مراد الله من العبد بها))<sup>(٣)</sup>، إلاَّ أنَّ التفسير بالبطون القرآنية لا يعني أن يقول كلُّ برأيه؛ بل بشروط وضوابط وضعت في ذلك.

### شروط الأخذ بالباطن القرآنية:

هناك مجموعة من الشروط التي يجب توافرها في البطون، ومن أهمِّ تلك الشروط:

١- أن تكون هناك علاقة وثيقة بين الظاهر والباطن<sup>(٤)</sup>، فمثلاً في تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [الرحمن: ١٩]، ذكرت كتب التفسير من الفريقين أنَّ المقصود بالبحرين الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة الزهراء عليهما السلام، أمَّا

(١) شرح دعاء السحر، الخميني: ٣٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥.

(٣) تفسير الصافي: ٣١/١.

(٤) ينظر: فهم القرآن، جواد كسار: ٤١/٢ ما بعدها.

المقصود باللؤلؤ والمرجان، الحسن والحسين عليهما السلام (١)، وهذا تفسيرٌ بالبطون بلا شك، وفُسر المقصود بالبحرين في ظاهر الآية بحر فارس وبحر الروم، وقيل: البحرين: الملح والعذب (٢).

وللبحث عن العلاقة بين الظاهر والباطن يوجه الشيخ الطبرسي الرواية التي فسرت الآية بالبطون بقوله: ((ولا غرو أن يكونا بحرين، لسعة فضلهما، وكثرة خيرهما، فإن البحر إنما يُسمى بحرًا لسعته)) (٣).

فهناك غاية مشتركة بين مصاديق الظاهر والباطن بتجريد المفهوم من خصوصياته اللفظية والبحث عن المغزى، وهذا الشرط أشار إليه العلامة الطباطبائي بقوله: ((وحاشا أن يكون هناك باطن لا يهدى إليه ظاهر، والظاهر عنوان الباطن وطريقه)) (٤).

٢- أن لا تتعارض البطون فيما بينها، فهي مراتب طولية بعضها فوق بعض، كما لا يمكن أن تتعارض مع روح الشريعة والوحي، فلا يمكن قبول ما يخالف القرآن، أو السنة الصحيحة، أو العقل البرهاني (٥).

٣- أن إدراك البطون القرآنية بتمامها لا يعلمها إلا المعصومون، وعليه فلا بد من إحراز صحة الأحاديث التي ذكرت البطون القرآنية، فليس كل رواية تقبل على علاقتها؛ بل لابد من إخضاع تلك الروايات إلى دراسة سنديّة ومتنيّة ودلاليّة، وبعد استيفاء شروط قبول الرواية نأخذ بها (٦).

(١) يُنظر: مجمع البيان: ٣٣٦ / ٩، وتفسير الصافي: ١٠٩ / ٥، والدر المنثور: ٦٩٧ / ٧، وروح المعاني: ١٠٦ / ١٤.

(٢) يُنظر: التبيان: ٦٦ / ٧.

(٣) مجمع البيان: ٣٣٦ / ٩.

(٤) تفسير الميزان: ٢٨٢ / ٥.

(٥) يُنظر: الموافقات: ٦٥٣، ومدارس التفسير الإسلامي: ١٣٥ / ٢.

(٦) يُنظر: مبادئ تفسير القرآن: ١١٠-١١١، ومدارس التفسير الإسلامي: ١٥١-١٥٢.

وهذا لا يعني أن البطون لا يُمكن أن تُدرك إلا من المعصومين؛ بل هناك مستويات يمكن أن تُدرك بحسب مستوى الفهم عند المتلقّي، بإيجاد مصاديق صالحة الانطباق عليها. وهناك من يرى أن فهم البطون توقيفيّ على المعصوم فقط، ولا يجوز لغير المعصوم إدراك البطون، وكلُّ ما ذُكر من دون الاستناد لقول المعصوم ليس بحجّة ولا اعتبار له<sup>(١)</sup>.

٤- أن القول بالبطون القرآنيّة لا يعني إلغاء الظاهر، فظواهر القرآن حجّة ووجود البطون يُعزّز الفهم للظواهر، للعلاقة بين الظاهر والباطن<sup>(٢)</sup>. وأن إثبات بطن الآية لا يعني انتهاء معناها؛ بل يمكن الإفادة منها في أزمنة مختلفة لصلاحيتها للانطباق على مصاديق جديدة، فالمفهوم وإن كان ثابتاً، بيد أن المصداق متحرّك ومتغيّر بحسب الأزمنة<sup>(٣)</sup>.

٥- أن لا يتنافى الباطن مع مقتضى الظاهر ونظام اللغة العربيّ عند العقلاء، وهذا الشرط ذكره الشاطبيّ (ت: ٧٩٠ هـ) بقوله: ((أن يصحّ على مقتضى الظاهر المقرّر في لسان العرب ويجري على المقاصد العربيّة))<sup>(٤)</sup>؛ ولكن هذا لا يعني أن جميع البطون تُفهم من طريق أصول المحاوراة العقلائيّة إذا دلّت على البطون رواية صحيحة، فعليه لا بدّ من تأويل النصّ القرآنيّ استناداً إلى الرواية الصحيحة مع عدم إهدار ظاهر النصّ وقيّمته.

وكما أشرنا سابقاً لارتباط مسألة البطون بالنظم القرآنيّ، وبتعدّد مستويات الفهم، ويدلّ عليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: ((وإنّ القرآن ظاهره أُنيق وباطنه عميق))<sup>(٥)</sup>.

(١) يُنظر: دروس في القواعد التفسيرية: ٦٨ / ٢ .

(٢) يُنظر: إحياء علوم الدين: ٣٤٤، والميزان في تفسير القرآن: ٢٨٢ / ٥، وعلوم القرآن عند العلامة الطباطبائي، ليث عباس الكرعوي: ٨٤ .

(٣) يُنظر: مناهج تفسير النصّ القرآنيّ: ١٩٣ .

(٤) الموافقات: ٢٣٢ / ٤ .

(٥) نهج البلاغة: ١٨ .

وهذا العمق القرآني الذي لا يعلمه إلا أهله، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا\* وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٢، ٨٣]، وترتبط مسألة البطون القرآنية ارتباطاً وثيقاً بمسألة التأويل، وتعدُّ مستويات الفهم. من هنا تتضح أهمية معرفة أن للقرآن ظهراً وباطناً، وأن بطونه لا يعلمها إلا من اختصه الله بعلمه، وكان من الراسخين بالعلم، وأنه حينما يأتيه معنى غير متبادر من ظاهر اللفظ لا ينكره مباشرة؛ بل يتأمل فيه وينظر مدى توافقه مع الشريعة، ومع ما ذكر من شروط.

#### المنطلق الخامس: معرفة علوم القرآن:

إن لكل علم مقدماته وأسسها، وإن لكل نص لغته وسياقه، ولكل كاتب أسلوبه وثقافته، فلا يمكن أن تقرأ كل نص بثقافة وإطلاع علم واحد، أو تقرأ لكاتب من دون أن تعرف خصائص أسلوبه، وإلا لا يفهم النص على وجهه، ولا المقصود منه، هذا في العلوم والمدونات الوضعية الميسرة الفهم، غير معجزة في نظمها وتشريعاتها، فكيف إذا كان التعامل مع النص القرآني؟

من هنا برزت أهمية معرفة علوم القرآن، بوصفها مقدمة موصلة لفهم القرآن الكريم وتفسيره، والوصول إلى بيان أحكامه وتشريعاته، وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض تلك العلوم كالمحكم والمتشابه والتأويل بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، فصرح الله تعالى أن في هذا القرآن آيات (محكمات)

سَمَّاهن (أم الكتاب)، ونوع آخر من الآيات سَمَّاهن (المتشابهات)، ثُمَّ عَقَّبَ منكَرًا على من يَتَّبِع المتشابهات؛ ابتغاء الفتنة والتأويل، مؤكِّدًا أَنَّهُ لا يعلم التأويل الصحيح لتلك المتشابهات غير الله، والراسخون بالعلم.

ثُمَّ يَبْحَثُ في هذا العلم ما المراد من الآيات المحكمات؟ وكم عددها؟ وكيف نعرفها؟ وغير ذلك، ثُمَّ ما الآيات المتشابهة؟ وكيف نحكم على تشابهها؟ وما هو الموقف منها؟... إلخ، ثُمَّ ما المراد من التأويل؟ وما فرقه عن التفسير؟ وهل الله وحده يعلم التأويل أم الراسخون بالعلم كذلك؟ أي هل تكون الواو عاطفة أو استئنافية؟ ومن هم الراسخون بالعلم؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابة وبحث في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، والعقل، فمن دون معرفة الإجابات عن هذه الأسئلة لا يمكن الدخول إلى تفسير القرآن وفهمه، فإنَّ القرآن صريح بذلك، فقد تَبَّع المتشابه ظنًا منك أَنَّهُ محكم أو العكس، فنتج من ذلك أحكام وتشريعات غير مرادة من الله تعالى، وتشرع غير شرع لله .

ومن تلك العلوم كذلك ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿مَا نُنسخُ مِنْ آيةٍ أَوْ نُنسِئُهَا نَاتٍ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٦]، وهو ما أطلق عليه العلماء بـ (الناسخ والمنسوخ)، وهذا العلم يبحث في المراد من النسخ، وكم الآيات المنسوخة وكم النسخة؟ وما شروط النسخ؟ وما فرقه عن التخصيص؟ وما الفائدة منه؟ وكيف نعرفه؟ وغير ذلك من التساؤلات، التي دون الاطلاع عليها ومعرفتها لا يمكن أن يحكم على آية ناسخة، وهي منسوخة أو العكس، فيكون العمل بحكم أو آية هي قد نُسخ حكمها بآية أخرى، ومعرفة الآيات الناسخة من المنسوخة متصلة بعلوم أخرى كالمكي والمدني، وأسباب النزول، ولكلٍّ منهما مباحثه، ومسائله.

لذا نجد أن أمير المؤمنين يؤكِّد معرفة هذه العلوم بوصفها منطلقًا ومرتكزًا

أساساً لفهم النص القرآني، فقد ((أحرز قصب السبق في مضمار تدوين القرآن وتفسيره وبيان علومه، وقد برع في هذا المجال حتى روي عنه أنه أُملي ستين نوعاً من أنواع علوم القرآن، وذكر لكل نوع مثلاً يَخُصُّه))<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك ما ورد في نهج البلاغة عنه عليه السلام قوله: ((وخلف فيكم ما خلفت الأنبياء في أممها؛ إذ لم يتركوهم هملاً، بغير طريق واضح، ولا علم قائم، كتاب ربكم فيكم مبيّناً حلاله وحرامه وفرائضه وفضائله وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، مفسراً مجمله ومبيّناً غوامضه، بين مأخوذ ميثاق في علمه وموسع على العباد في جهله، وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخته، وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته، وزائل في مستقبله، ومباين بين محارمه من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه، وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه))<sup>(٢)</sup>.

وفي هذا النص يؤكد عليه السلام أموراً نبين بعضها بالآتي:

١- أن الله لم يترك الناس هملاً من دون بيان هدايم ورشدهم؛ فأرسل رسله بالحق والنور، وكتب بها يهتدون إلى الحق، ويحذّره مما به هلاكهم وعذابهم.

٢- أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو امتداد لتلك الرسل «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ» [غافر: ٧٨]، ورسالته خاتمة الرسائل وكتابه خاتم للكتب السماوية، ولأجل امتداد تلك الهداية لجميع الناس ولمختلف الأجيال كان الكتاب معجزة خالدة، مبيّنة لكل ما يحتاجه الناس في أمور دينهم ودنياهم.

(١) مقدمة علوم القرآن، محمد باقر الحكيم: ٥.

(٢) نهج البلاغة: ١/ ٢٥-٢٦.

٣- بين ﷺ كثيراً من علوم القرآن، وقواعد فهمه، التي ذكرت مفصلة في هذا النص المبارك.

ومن ذلك ما روي عن ((أبي عبد الرحمن السلمي أن علياً ﷺ مرَّ على قاضٍ فقال: تعرفُ الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، فقال: هلكتَ وأهلكتَ، تأويل كلِّ حرف من القرآن على وجوه))<sup>(١)</sup>، وفيه تصريح بعدم إمكان فهم القرآن الكريم، أو التصدر إلى الفتيا أو القضاء، أو التفسير ما لم يعرف الناسخ من المنسوخ.

وفي رواية هي من نفائس الروايات عنه ﷺ يُشير فيها إلى ضرورة معرفة علوم القرآن وعدّها منطلقاً لفهم القرآن الكريم، مبيناً أن في حديث النبي الأكرم ﷺ وبين القرآن الكريم، من وجوه للفهم، فعن سليم بن قيس الهلالي، قال: قلتُ لأمير المؤمنين ﷺ: أني سمعت من سلمان والمقداد وأبي ذر شيئاً من تفسير القرآن وأحاديث عن نبي الله ﷺ غير ما في أيدي الناس، إلى أن يقول: أفترى الناس يكذبون على رسول الله ﷺ متعمدين، ويفسرون القرآن بأرائهم؟ قال: فأقبل عليّ فقال: قد سألت فافهم الجواب: إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعمماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً، وبعد أن يعدد ﷺ أنواع الناقلين عن رسول الله ﷺ فيقول: ورجل ثالث سمع من رسول الله ﷺ شيئاً أمر به، ثم نهى عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم، فحفظ منسوخه ولم يحفظ الناسخ، ولو علم أنه منسوخ لرفضه، ولو علم المسلمون؛ إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه، وآخر رابع لم يكذب على رسول الله ﷺ، مبغض للكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسول الله ﷺ، لم ينسه؛ بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به كما سمع لم يزد فيه ولم ينقص منه، وعلم الناسخ من المنسوخ، فعمل بالناسخ ورفض المنسوخ فإن

(١) تفسير العياشي، العياشي: ١ / ١٢.

أمر النبي صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، قد كان يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الكلام له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل وقد كنت أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله كل يوم دخلة، وكل ليلة دخلة فيخيلني فيها أدور معه حيث دار، وقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أنه لم يصنع ذلك بأحد من الناس غيري فربما كان في بيتي يأتيني رسول الله صلى الله عليه وآله أكثر ذلك في بيتي، وكنت إذا دخلت عليه بعض منازل أخلاقي وأقام عني نساءه. فلا يبقى عنده غيري، وإذا أتاني للخلوة معي في منزلي لم تقم عني فاطمة ولا أحد من بني، وكنت إذا سألته أجابني وإذا سكت عنه وفنيت مسائلي ابتدأني، ثم يقول صلى الله عليه وآله: فما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله ((آية من القرآن إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بخطي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وخاصها وعامها))<sup>(١)</sup>، وهذه الرواية القيمة تبين أهمية معرفة هذه العلوم، فإن رسول الله الذي قال عنه الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ \* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤، ٣]، يعلم أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله، الآيات الناسخة والمنسوخة، والمحكمة والمتشابهة، والخاصة والعامة، وهذا لا يكون إلا لخطر وعظم هذه العلوم في فهم القرآن الكريم، والوصول إلى مراد الله تعالى.

الخاتمة:

يَتَّضِحُ مِمَّا سَبَقَ بِاخْتِصَارٍ أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ الْمُعْجَزَ بِصِيَاجَاتِهِ، وَبِنَائِهِ، وَإِخْبَارَاتِهِ، وَتَشْرِيعَاتِهِ مَعَ أَنَّهُ نَازَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وَأَنَّهُ مُبَيِّنٌ لِلنَّاسِ مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، وَمَا إِلَيْهِ مُحْتَاجُونَ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْطِقُ إِلَّا لِلَّذِي يَسْتَنْطِقُهُ، وَقَدْ أَوْكَلَ اللَّهُ صِلَاحِيَّةَ بَيَانِهِ، وَتَفْصِيلَ أَحْكَامِهِ إِلَّا النَّبِيَّ الْأَكْرَمَ ﷺ وَأَهْلَ بَيْتِهِ مِنْ بَعْدِهِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام.

وَلِأَجْلِ السَّيْرِ عَلَى خُطَا الْأُمَّةِ الْأَطْهَارِ وَمَا أَقْرَبَهُ لَنَا مِنْ مَنْطَلِقَاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ، بِوَصْفِهَا قَوَاعِدَ وَأَسْئَلًا لِزَمَةِ لِفْهَمِ النَّصِّ وَتَفْسِيرِهِ، وَجِبَ الرَّجُوعُ إِلَى مَا خَطَّهُ لَنَا الْمَعْصُومُونَ عليهم السلام، فَأَخَذَ الْبَحْثُ بَيَانَ تِلْكَ الْمَنْطَلِقَاتِ، أَوْ فَلَنْقُلَ أُبْرَزَ تِلْكَ الْمَنْطَلِقَاتِ؛ لِأَجْلِ أَنْ تَقُومَ الْعَمَلِيَّةُ التَّفْسِيرِيَّةُ، وَتُعْطِيَ أَكْلَهَا الَّذِي يُرْجَى لَهَا.

وَكَانَ مِنْ أُبْرَزِ تِلْكَ الْمَنْطَلِقَاتِ مَعْرِفَةُ أَنَّ الْقُرْآنَ بَيْنَ وَاضِحٍ، وَمُبَيِّنٍ لِغَيْرِهِ، لَيْسَ عَسِيرًا عَلَى الْفِهْمِ، أَوْ مُسْتَعْلِقَ الْعِبَارَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا الْإِعْتِقَادُ أَنَّ النَّصَّ الْقُرْآنِيَّ مُحْفُوظٌ، غَيْرَ مُحَرَّفٍ بِزِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ، وَلَمْ تَطْلُهُ أَيْدِي الْعَابِثِينَ، كَمَا حُرِّفَتِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ السَّالِفَةُ، وَمِنْهَا أَنَّ الْقُرْآنَ مُعْجَزٌ، وَشَامِلٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَأَنَّ فِيهِ مِنَ الْمَعَارِفِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ إِنْسَانٍ عَلَى اخْتِلَافِ مَشْرَبِهِ، وَمَعْتَقَدِهِ، وَلِأَيِّ زَمَانٍ انْتَمَى، وَمَكَانٍ اسْتَقَرَّ.

وَمِنْ تِلْكَ الْمَنْطَلِقَاتِ الْإِعْتِقَادُ أَنَّ الْقُرْآنَ ظَهْرًا وَبَطْنًا، وَتَفْسِيرًا وَتَأْوِيلًا، فَحِينَمَا يَرِدُ عَنِ الْمَعْصُومِ مَعْنَى، وَيَرِدُ فِي النَّصِّ نَفْسُهُ مَعْنَى آخَرَ عَنْهُ عليه السلام، هَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ اخْتِلَافًا أَوْ تَعَارُضًا؛ بَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا مُرَادًا بِهِ الْمَعْنَى الظَّاهِرَ، وَالْآخَرُ مُرَادًا بِهِ الْمَعْنَى الْبَاطِنَ.

كَانَ آخِرَ مَا ذَكَرْنَا الْمَنْطَلِقَ الْمَعْرِفِيَّ الْمُهَمِّمَ، وَهُوَ وَجُوبُ الْإِحَاطَةِ بِعُلُومِ الْقُرْآنِ

اللازمة لفهم النص القرآني، التي من دونها لا يمكن الوصول إلى المعنى المراد؛ بل الجهل بها يوصل إلى خلاف ما أراد الله تعالى، كما فهم بعضهم التجسيم، والمكان، والتشبيه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وفي الختام لا يدعي الباحث الإحاطة بالموضوع، فهو ممّا لا يُحاط به بمجلّدات؛ بل كانت شذرات، وإفادات من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام التي وصف القرآن بها، فإنّ ما لا يدرك كلّه لا يُترك كلّه، داعياً الله أن يجعلنا من المتمسّكين بالثقلين، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

## المصادر والمراجع:

بعد القرآن الكريم

- ١- إحياء علوم الدين، محمد بن محمد الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ)، دار المعرفة، بيروت.
- ٢- الإسلام والحرية سوء التفاهم التاريخي، محمد الشرفي، دار بترا للنشر والتوزيع، دمشق، (د.ط)، ٢٠٠٨ م.
- ٣- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم بن علي أكبر بن هاشم الخوئي (ت: ١٤١٣ هـ)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ٤- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ)، تح: أغا بزرك الطهراني وأحمد قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥- تفسير الصافي، محسن الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ)، تح: حسين الأعلمي، منشورات الصدر، طهران، ط ١، ١٤١٥ هـ.
- ٦- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (ت: ٣٢٠ هـ)، تصحيح وتعليق: هاشم رسولي المحلاتي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩١ م.
- ٧- الدرّ المنتثور في تفسير المأثور، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١ هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ.
- ٨- دروس في القواعد التفسيرية، علي أكبر السيفي المازندراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ط ٢، ١٤٣١ هـ.
- ٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، (ت: ١٢٧٠ هـ)، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ.

- ١٠- شرح دعاء السحر، روح الله الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، طهران، ط١، ١٤١٦هـ.
- ١١- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، (ت: ٦٥٦هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، ١٩٥٩م.
- ١٢- علوم القرآن عند العلامة الطباطبائي، ليث عباس الكرعائي، العتبة العلوية المقدسة، ط: ١، ٢٠١١م.
- ١٣- علوم القرآن، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، قم المقدسة، ط٩، ١٤٣٣هـ.
- ١٤- عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق، (ت: ٣٨١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٤هـ.
- ١٥- الفكر الإسلامي قراءة علمية، محمد آركون، تر: هاشم صالح مركز الإنماء القومي - بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.
- ١٦- الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت: ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ)، دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.
- ١٧- كسار، جواد علي، فهم القرآن مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.
- ١٨- مبادئ تفسير القرآن دراسة مقارنة، فتح الله نجارزادكان، تر: محمد حسين حكمت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي - بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

- ١٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، (ت: ٥٤٨هـ)، تح: محمد جواد البلاغي، ناصر خسرو، طهران، ط٣، ١٤١٣هـ.
- ٢٠- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت: ٢٧٤هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، ١٣٣٠هـ.ش
- ٢١- المحصول، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي خطيب الري الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، مؤسّسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٧ م.
- ٢٢- مختلف الشيعة، أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر الأسدي الحلّي (ت: ٧٢٦هـ)، تح: مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، ط٢، ١٤١٣هـ.
- ٢٣- مدارس التفسير الإسلامي، علي أكبر بابائي، تعريب: محمد حسين حكمت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠١٠ م.
- ٢٤- مسند الإمام علي، حسن القبانجي، تح: الشيخ طاهر السلامي، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، ط١، ٢٠٠٠ م.
- ٢٥- مناهج تفسير النصّ القرآني بين النظرية والتطبيق، سيروان عبد الزهرة الجنابي، دار ومكتبة البصائر، بيروت، ط١، ٢٠١٥ م.
- ٢٦- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تح: أبو عبيد مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٧ م.
- ٢٧- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم، ط٥، ١٤١٧هـ.

٢٨- نقد الخطاب الديني، نصر حامد زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧ م.

٢٩- الوحي والظاهرة القرآنية، عبد الكريم سروش وآخرون، إعداد وتقديم: حيدر حبّ الله، مؤسّسة الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠١٢ م.

#### المجلات:

١- باطن القرآن الكريم وجدلية الإثبات والمعنى والمنشأ، علي الحواني، بحث منشور في مجلة المصباح، خريف (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م)، العدد: ٤.

٢- تاريخية القرآن عند نصر حامد أبو زيد، أحمد واعظي، بحث منشور في مجلة المحجة، العدد ٢٥، صيف - خريف ٢٠١٢ م.



التَّأْوِيلُ الْقُرْآنِيُّ عِنْدَ الْإِمَامِ الْهَادِي عليه السلام فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ

م . د . أحمد راضي جبر الشمري  
المديرية العامة للتربية في بابل

**Qur'anic Interpretation (Ta'wīl) by Imam Al-Hādī (Peace Be Upon Him) In the Al-Ziyārah Al-Jāmi'Ah Al-Kabīrah**

**Asst. Lect. Dr. Ahmad Radi Jabr al-Shammari  
General Directorate of Education in Babylon**

### الملخص:

يدرس هذا البحث جملةً من تراكيب الزيارة الجامعة الكبيرة للإمام الهادي عليه السلام، وهو أحد أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين هم ترجمان القرآن؛ في محاولة لإبراز الأثر القرآني في نصوصها الشريفة. ولما كان سند هذه الزيارة متواتراً عن الإمام عليه السلام توسّل الباحث بنصّ هذه الزيارة؛ لمعرفة الدلالة القرآنيّة لبعض الآيات الواردة فيها، وبيان مصاديقها، والمراد منها.

فوجد أنّ الإمام عليه السلام ترجم النصوص القرآنيّة الشريفة إلى مقاطع خطابيّة ودعائيّة يتوجّه بها العبد إلى الله سبحانه، بيّن منزلة أهل البيت عليهم السلام وعلمهم بالقرآن، وقربهم من الله سبحانه، وعلوّ قدرهم على سائر الخلق، وأنهم من عباد الله المنتجبين الذين أخلصوا لله تعالى في عبادته، فرزقهم جزاء ذلك الإخلاص بأن جعلهم أبواب رحمته وجنته.

الكلمات المفتاحيّة: التأويل، الإمام الهادي عليه السلام، الزيارة الجامعة الكبيرة.

**Abstract:**

This research studies a set of structures from the al-Ziyārah al-Jāmi'ah al-Kabīrah attributed to Imam al-Hādī (peace be upon him), one of the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) who are the interpreters of the Qur'an, in an attempt to highlight the Qur'anic influence in its Holy texts. And since the chain of transmission of this ziyārah is recurrently reported from the Imam (peace be upon him), the researcher relied on its text to identify the Qur'anic meanings of some of the verses included within it, clarify their referents, and determine what is intended by them.

He found that the Imam (peace be upon him) translated the Holy Qur'anic texts into rhetorical and supplicatory passages through which the servant turns to God, Blessed and Exalted, and which clarify the status of Ahl al-Bayt (peace be upon them), their knowledge of the Qur'an, their closeness to God, their superiority over all creation, and that they are among God's chosen servants who devoted themselves sincerely to His worship. Consequently, God granted them, as a reward for that sincerity, that they be the gates of His mercy and His paradise.

**Keywords:** interpretation (ta'wīl), Imam al-Hādī (peace be upon him), al-Ziyārah al-Jāmi'ah al-Kabīrah.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوازي نعمه، وكما يحبُّ ويرضى، والصلاة والسلام على خير الأنام، مصابيح الدجى وسفن النجاة، محمد الأمين وآله الطيبين الطاهرين، والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وبعده.

فقد وقفتُ كثيراً متأملاً قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] متسائلاً عن العلة من بعثة الرُّسُل عليهم السلام، فالله تعالى أقرب إلينا من حبل الوريد، وأمره بقانون (كن فيكون)، فيستطيع - وهو القادر سبحانه - أن يبلغ العباد بأوامره ونواهيه بلا واسطة، فشرقتُ وغربتُ وضربتُ أخماساً بأسداسٍ لحل هذه المعضلة، إلى أن قرأت قول أمير المؤمنين عليه السلام في دعاء الصباح (وتنزه عن مجانسة - مجالسة - مخلوقاته) حتى تكشفت تلك المغطاء، وتحللت العقدة، فهو سبحانه أعلى وأجلُّ من أن يجانس مخلوقاته، تعالى عن ذلك علواً كبيراً، فهو سبحانه ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٢٠٣]، وقد أدركتُ واعتقدتُ أيما اعتقاد أن الحلول جميعها عند السادة الأشراف، فهُم القرآن الناطق وعندهم الشفاء لكل أدوائنا.

ومن هذا المنطلق سلطتُ في هذا البحث الضوء على جملة من التراكيب الواردة في الزيارة الجامعة المباركة المروية عن الإمام علي الهادي عليه السلام مبرزاً الأثر القرآني فيها، ذلك أنه من آل البيت عليهم السلام الذين هم ترجمان القرآن، فلا يعلم تأويله إلا الله تعالى وهُم .

ولمَّا كانَ سندُ هذه الزيارة متواتراً عن الإمام علي الهادي عليه السلام توسَّل الباحثُ بنصِّ هذه الزيارة لمعرفة الدلالة القرآنية لبعض الآيات، وبيان مصاديقها؛ بل المراد من تلك الآيات .

قسَم الباحث هذه الدراسة على مبحثين؛ خُصَّص الأولُ منهما لبيان معنى

التأويل من المنظور اللغوي والمنظور القرآني، وبين نقاط الشبه والاختلاف بينه وبين التفسير، أما المبحث الثاني فقد اشتمل على مسائل عدّة، تناولت كل مسألة نصّاً من الزيارة، وإرجاعه إلى أصله القرآنيّ، سبق هذين المبحثين تمهيدٌ في هذه الزيارة وبيان قدرها، وتسليط الضوء على تعليمه ﷺ لمحبيه كيف يزورون الأئمة عليهم السلام.

نسأل الله تعالى أن يتقبّل منّا هذا القليل؛ ليكون ذخراً لنا في الدنيا والآخرة، وألاً يفرّق بيننا وبين آل البيت الأطهار عليهم السلام طرفة عين أبداً، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

## التمهيد

أهميّة الزيارة الجامعة الكبيرة وآداب زيارتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بها لعلّه من نافلة القول الحديث عن زيارات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وحثّهم على أدائها؛ بل وردت عنهم زياراتٌ ينبغي علينا أن نلتزمها في زيارتهم، فهم عدلُ الكتاب ومبيّئوه .

ومن هذه الزيارات الواردة عن أهل بيت العصمة الزيارة الجامعة الكبيرة، التي رواها جملةٌ من العلماء الأعلام<sup>(١)</sup>، الذين اتَّفَقوا على نسبتها إلى الإمام علي الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ بل تصدّى لشرحها بعض الأعلام وهو السيد عبد الله شبر<sup>(٢)</sup>؛ لما فيها من مضامين عالية، حتّى وُصِفَتْ بأنها أعظم زياراتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ شأنًا وأعلاها مكانة، تنبئ أفاظها ومعانيها على عظمة قائلها، فلا تصدر مثل هذه العبارات إلا من حملة كتاب الله وترجمانه<sup>(٣)</sup>، فقد بيّنت منزلتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولاسيّما إذا أخذنا بالعلم أنّها صادرة عن إمام معصوم مفترض الطاعة .

قد يوحى وصفها بالكبيرة الجامعة أنّها تصلح لزيارتهم كلّهم بها، وهو ما طلبه السائل من الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقد روي أنّ رجلاً قال للإمام الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((عَلِّمْنِي يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ قَوْلًا أَقُولُهُ بَلِيغًا كَامِلًا إِذَا زُرْتُ أَحَدًا مِنْكُمْ))<sup>(٤)</sup>، ومّا يُلْحَظُ على هذا النصّ أنّ الزيارة الجامعة قولٌ بليغٌ كاملٌ يليق بمقامهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فلا بدّ من التأمل في عبارتها وأن لا تُحْمَلْ على المبالغة أو العاطفة وما شابه ذلك، وهو ما يرجو الباحث بيانه بإرجاع هذه المضامين العالية إلى منبعها الأم وهو القرآن الكريم. والأمر الآخر الذي نفيده من القول المذكور أنّ من تمام زيارتهم أن نلتزم بما ورد عنهم في ذلك، ويسحب هذا الأمر على الدعاء أيضًا، إذ هم أعلم وأعرف بما فيه الفائدة والنفع في أمور عبادتنا وطاعاتنا وما يقربنا إلى الله تعالى.

(١) ينظر: على سبيل المثال لا الحصر: عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٣٠٩ / ١، ومفاتيح الجنان: ٤٤٥ .

(٢) ينظر: شرح الزيارة الجامعة الكبيرة .

(٣) ينظر: م. ن: ٢٩ .

(٤) ينظر: مفاتيح الجنان: ٤٤٥ .

وهذا يتضح في أجابته عليه السلام لطالب الزيارة: ((إِذَا صَرْتَ إِلَى الْبَابِ فَاقْفُ وَأَشْهَدِ الشَّهَادَتَيْنِ ... وَأَنْتَ عَلَى غُسْلٍ، فَإِذَا دَخَلْتَ وَرَأَيْتَ الْقَبْرَ فَاقْفُ، وَقُلْ: (اللَّهُ أَكْبَرُ) ثَلَاثِينَ مَرَّةً، ثُمَّ امْشِ قَلِيلًا وَعَلَيْكَ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ، وَقَارِبْ بَيْنَ حُطَاكَ، ثُمَّ قَفْ وَكَبِّرِ اللَّهَ عز وجل ثَلَاثِينَ مَرَّةً، ثُمَّ ادْنُ مِنَ الْقَبْرِ وَكَبِّرِ اللَّهَ أَرْبَعِينَ مَرَّةً، تَمَامَ مِئَةِ تَكْبِيرَةٍ))<sup>(١)</sup>. وهذا القول هو عتبة نصّ الزيارة، وفيها تهيئة النفس لما سيُلْقَى عليها من فيوضات حتى تتحملها وتعيها، وفيه الغاية العظمى المرجوة من الزيارة وهي توحيد الله تعالى، ويتجلى ذلك في تكبير الله تعالى، والحث عليه ليس في هذه الزيارة فحسب وإنما في كلّ الزيارات الواردة عنهم، والإقرار برسالة الخاتم عليه السلام، ولعلّ التركيز على التكريات بهذا الشكل وقبل الشروع في نصّ الزيارة هو ((الاحترازُ عمّا قد تورثه أمثالُ هذه العبائر الواردة في الزيارة من الغلوّ أو الغفلة عن عظمة الله سبحانه وتعالى، فالطباع مائلة إلى الغلوّ، أو غير ذلك من الوجوه))<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: مفاتيح الجنان: ٤٤٦ .

(٢) م . ن : ٤٤٦ .

## المبحث الأول: مفهوم التأويل لغويًا وقرآنيًا

يدلُّ الجذر اللغويُّ (أ، و، ل) على معنيين؛ الأول: رجوع الشيء إلى أصله، وهو الأكثر في استعمال هذا الجذر باشتقاقاته المتعددة، وأمَّا المعنى الآخر: فهو نهايته، قال ابن فارس (٣٩٥ هـ): ((الْهَمْزَةُ وَالْوَاوُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: ابْتِدَاءُ الْأَمْرِ وَانْتِهَائُهُ. أَمَّا الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، وَهُوَ مُبْتَدَأُ الشَّيْءِ))<sup>(١)</sup>، ومنه تسمية الأيل بهذا المسمى؛ لأنَّه ((يُؤْوِلُ إِلَى الْجِبَالِ فَيَتَحَصَّنُ فِيهَا))<sup>(٢)</sup>، فكأنَّه يرجع إلى الأصل الذي خرج منه، وأمَّا المعنى الآخر: فقَوْلُهُمْ: ((آل اللَّبْنِ، أَي: خَشْرٌ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَا يَخْشُرُ إِلَّا آخِرَ أَمْرِهِ))<sup>(٣)</sup>، على حين زاد أبو منصور الأزهري (٣٧٠ هـ) معنى آخر: وهو جمع المتفرِّق وإصلاحه؛ إذ قال: ((أَلْتُ الشَّيْءَ: جَمَعْتُهُ وَأَصْلَحْتُهُ، فَكَأَنَّ التَّأْوِيلَ جَمْعٌ مَعَانَ مُشْكَلَةٌ بِلَفْظٍ وَاضِحٍ لَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَقَالَ بَعْضُ الْعَرَبِ: أَوَّلَ اللَّهِ عَلَيْكَ أَمْرٌ، أَي: جَمَعَهُ، وَإِذَا دَعَا عَلَيْهِ قَالُوا: لَا أَوَّلَ لِلَّهِ عَلَيْكَ شَمْلَكَ))<sup>(٤)</sup>، وهذه أكثر المعاني التي ذكرها المعجميون واجترَّها لاحقٌ عن سابقٍ.

وقد بينَّ الخليل (١٧٠ هـ) دلالة التأويل بالتفسير، ولاسيَّما فيما يخصُّ كلام الله تعالى؛ إذ قال: ((التَّأْوِيلُ وَالتَّأْوِيلُ: تَفْسِيرُ الْكَلَامِ الَّذِي تَخْتَلَفُ مَعَانِيهِ، وَلَا يَصِحُّ إِلَّا بَبَيَانٍ غَيْرِ لَفْظِهِ، قَالَ:

نَحْنُ ضَرَبْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ      فاليومَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ))<sup>(٥)</sup>

إلَّا أنَّ الباحث لا يتفق مع الخليل في إردافه التأويل بالتفسير؛ لأنَّ التفسير

(١) مقاييس اللغة، باب الهمزة والواو وما بعدهما في الثلاثي: ١٥٩/١.

(٢) العين، باب الثلاثي المعتل من اللام: ٣٦٩ / ٨.

(٣) مقاييس اللغة، باب الهمزة وما بعدهما في الثلاثي: ١٦٠ / ١.

(٤) تهذيب اللغة، باب اللام والميم: ٢٣٣ / ١.

(٥) العين، باب الثلاثي المعتل من اللام: ٣٦٩ / ٨. والبيت لعبد الله بن رواحة، ديوانه: ٣٤.

دالٌّ على ((بَيَانِ شَيْءٍ وَإِيضًا حَهُ))<sup>(١)</sup>، ولعلّه ذهب هذا المذهب بلحاظ أنّ تأويل القرآن الكريم بيان دلالاته وتوضيحها، وهو بهذا يقترب من معنى التفسير، إلا أنّنا إذا استعرضنا الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر التأويل، نجد أنّ اللفظين مختلفان في دلاليتهما، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فإنّ يوسف قال هذا الكلام لأبيه ﷺ بعد سنين طوال من قصّة رؤياه في طفولته، المتمثلة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤]، فلمّا سجدوا بين يديه في نهاية الأمر، قال لأبيه هذا تأويل تلك الرؤيا، أي: حقيقتها الناصعة التي لا غبار عليها، وليس مصداقًا لها من مصاديق شتّى<sup>(٢)</sup>، فسجودهم له هو معنى تلك الرؤيا وليس لها معنى آخر، ولذلك استعمل (تأويل) لدلالته على الرجوع إلى الأصل<sup>(٣)</sup>، وهذا المعنى غير متحقّق مع التفسير الذي بيّن ويوضّح .

ولعلّ هذا المعنى مؤهّلٌ في سائر المشتمة على ألفاظ للتأويل، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧]، فهذه الآية قد استشهد بها الإمام الصادق (عليه السلام) في بيان حقيقة آية أخرى، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فإنّ المراد بالخوف والجوع والنقص بهذه الثلاثة بيّنه ﷺ لمحمّد بن مسلم بقوله: ((نبلونكم بشيءٍ من الخوف من ملوك بني فلان في آخر سلطانتهم، والجوع بغلاء أسعارهم، ونقص من الأموال قال: كساد التّجارات وقلة الفضل، ونقص من الأنفس)، قال: مَوْتُ ذَرِيعٍ، ونقص من الثّمرات) لقلّة ربيع ما يُزرعُ، (وبشّر الصّابرين) عند ذلك بتعجيل الفرج، ثمّ قال لي: يا محمّد هذا تأويله<sup>(٤)</sup> .

(١) مقاييس اللغة، باب الفاء والسين وما يشثهما: ٤ / ٥٠٤ .

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ١٤٩ / ٥ .

(٣) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ١٤٨ / ١ .

(٤) كمال الدين وتمام النعمة: ٨٢ .

والفرق بين التفسير والتأويل واضح بلحاظ هذه الرواية المباركة، فوظيفة التفسير بيان دلالات الألفاظ مفردة ومؤتلفة في جمل<sup>(١)</sup>، قد تكون هي الدلالة المرادة من المتكلم وقد يراد غيرها، وأمّا التأويل فيقطع بحصر دلالة النصّ بهذا المعنى لا غيره، إذ بيّن حقيقته بلا احتمال غيرها.

وخير دليل على ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣]، فالهاء تعود على الكتاب في الآية السابقة لهذا النصّ الكريم، وهو قوله عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ فليس المراد من التأويل هنا التوضيح والتبيين؛ لأنه فصل وبيّن من قبل<sup>(٢)</sup>، وأمّا المراد بالتأويل فقد بيّنه أكثر المفسّرين بالعاقبة، ويكون معنى النصّ ((عاقبة ما وعدوا به على ألسنة الرسل من الثواب والعقاب))<sup>(٣)</sup>، ولا يميل الباحث إلى هذا المعنى؛ لأنّ الضمير عائد على كتاب الله تعالى وهو يتضمّن التهديد والوعيد وغيرها من المعارف الإلهية التي احتواها، وعلى تخريجهم حصّرتهم تلك العاقبة بالثواب والعقاب فحسب، ولا يوجد في النصّ الكريم ما يوحي بذلك؛ لأنّ إخبار الرسل عليهم السلام لا يتعلّق بهذين الأمرين فقط، وإنّما بما ((أخبروا به وأنبؤا أنّ الله هو مولاهم الحقّ، وأنّ ما يدعون من دونه هو الباطل، وأنّ النبوة حقّ، وأنّ الدين حقّ، وأنّ الله يبعث من في القبور، وبالجملة كلّ ما يظهر حقيقته يوم القيامة من أنباء النبوة وأخبارها))<sup>(٤)</sup>؛ لأنّ الإنسان يرى الأشياء على حقيقتها عند موته؛ لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، فلمّا يكون الإنسان حادّ البصر ستتكشف له ((حقيقة الأمر يوم القيامة، يعترف التاركون له بحقيقة ما جاءت به الرسل من

(١) ينظر: مقاييس اللغة، باب الفاء والسين وما يثلثهما: ٥٠٤ / ٤ .

(٢) ينظر: الكشاف: ١٠٩ / ٢، والجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢١٧ .

(٣) مفاتيح الغيب: ٢٥٤ / ١٤، وينظر: الكشاف: ١٠٩ / ٢، والجامع لأحكام القرآن: ٧ / ٢١٧ .

(٤) الميزان في تفسير القرآن: ١٣ / ٣ .

الشَّرَائِعِ التي أَوْجَبُوا العَمَلَ بِهَا، وَأَخْبَرُوا أَنَّ اللّٰهَ سَيَبْعَثُهُمْ وَيَجَازِيهِمْ عَلَيْهَا))<sup>(١)</sup>،  
فالتأويل يُظهِرُ حَقِيقَةَ الأَشْيَاءِ لَا أَنْ يَبَيِّنَهَا وَيَفْصِّلُهَا فَحَسَبَ، ففِيهِ يُرْفَعُ الحِجَابُ  
عَنْ غَوَامِضِ الأَشْيَاءِ وَتَتَضَحُّ أَسْرَارُهَا، وَيَتَجَلَّى ذَلِكُ فِي قِصَّةِ كَلِيمِ اللّٰهِ مُوسَى مَعَ  
العَبْدِ الصَّالِحِ ﷺ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ أَعْمَالَ العَبْدِ الصَّالِحِ كَانَتْ مَخَالِفَةً لِلظَّاهِرِ،  
إِلَّا أَنَّ حَقِيقَتَهَا غَيْرُ ذَلِكِ، وَلِذَلِكَ اعْتَرَضَ عَلَيْهِ مُوسَى؛ وَلَكِنَّهُ وَعَدَهُ بِتَبْيَانِ تِلْكَ  
الأَعْمَالِ<sup>(٢)</sup> بِقَوْلِهِ: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا تَسْتَعْطِفُ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٩].

إِنَّ عِلَاقَةَ التَّأْوِيلِ بِالتَّفْسِيرِ عِلَاقَةٌ خَاصَّةٌ بِالعَامِ، فَالتَّفْسِيرُ يَتَعَهَّدُ بِتَبْيَانِ الأَوْجُهِ  
المَعْنَوِيَّةِ المَتَعَدِّدَةِ لِلنَّصِّ، وَأَمَّا التَّأْوِيلُ فَيَجَلِّي حَقِيقَتَهُ لَا غَيْرَ، وَهُوَ مَا يَفِيدُنَا فِي  
بَيَانِ دِلَالَةِ بَعْضِ الآيَاتِ الكَرِيمَةِ، الَّتِي ضَمَّنَتْ فِي الزِّيَارَةِ الجَامِعَةِ الكَبِيرَةِ لِلإِمَامِ  
الهُدَايِ ﷺ.

وَنَجِدُ هَذِهِ الدَّلَالََةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا  
قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، إِذْ  
بَيَّنَّ سَجُودَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ حَقِيقَةَ الرُّؤْيَا الَّتِي رَأَاهَا قَبْلَ عَقُودِ مِنَ الزَّمَنِ، فَكَانَ هَذَا  
السُّجُودُ ((مِصْدَاقُ رُؤْيَاهُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ وَأَحَدَ عَشَرَ كَوَكَبًا سُجَّدًا لَهُ))<sup>(٣)</sup>، وَقَدْ  
يُوحِي اسْتِعْمَالُ (التَّأْوِيلِ) فِي هَذَا النِّصِّ المَبَارِكِ إِلَى مَالِ يَوسُفَ ﷺ الَّتِي الَّتِي  
إِلَيْهِ؛ إِذْ إِنَّ مِنْ دِلَالَاتِ التَّأْوِيلِ آخِرَ الشَّيْءِ، فَتَكُونُ رُؤْيَاهُ الَّتِي رَأَاهَا فِي صَبَاهِ  
وَسَجُودِ أَبْوِيهِ وَإِخْوَتِهِ أَيَّامَ شِدَّتِهِ وَقُوَّتِهِ دَالَّةً عَلَى أَفْضَلِيَّتِهِ وَعِلْوِّ مَكَانَتِهِ عَلَى مَنْ  
سِوَاهِ، وَاللّٰهُ تَعَالَى أَعْلَمُ .

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٧١ / ٨ .

(٢) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٣٢٥ / ٩ .

(٣) التحرير والتنوير: ٣١٨ / ٧ .

## المبحث الثاني

### تأويل الإمام الهادي عليه السلام لبعض الآيات الكريمة في الزيارة الجامعة الكبيرة

المسألة الأولى: وردَ في نصِّ الزيارة الجامعة الكبيرة قوله عليه السلام: ((وَعِبَادَهُ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ)): جاءت هذه الجملة في بداية الزيارة، وقد سبقت بألفاظ السلام على العترة الطاهرة، وبعد أن عدَّد جملةً من صفاتهم، قرَنَ هذه الصفات بالنداء، إذ قال: ((السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ بَيْتِ النَّبُوَّةِ وَمَوْضِعِ الرُّسَالَةِ...)). الذي يُفهم من النداء وتكراره في هذه الزيارة وسواها استحضر مهابة الإمام المراد زيارته، فالنداء طلب إقبال المنادى على المنادي وفيه دلالة على إيمان الزائر بحياة الإمام عليه السلام فهو من الشهداء وهم أحياء عند ربهم.

وصف الإمام الهادي عليه السلام آباءه الطاهرين بأنهم عبادٌ لله تعالى مكرمون، وأنهم يأتَمرون بأمره، وفي هذا الوصف تصريح للمراد من الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ \* لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧]. الذي يُتبادر إلى الذهن أوَّل وهلة أن المراد بالعباد المكرمين في هذه الآية الكريمة هم الملائكة، وهو ما قاله أكثر المفسرين<sup>(١)</sup>، فالملائكة مقرَّبون عند الله تعالى ((مُفَضَّلُونَ عَلَى سَائِرِ الْعِبَادِ، لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَحْوَالٍ وَصِفَاتٍ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِمْ))<sup>(٢)</sup>. ولا أعلم ما الذي دفع بالمفسرين إلى حصر هذه الآية بالملائكة، على الرغم من عدم وجود قرينة تدلُّ على هذا المعنى، وإليك الآيات التي تتحدَّث عن جرأة الكافرين بقولهم إنَّ الله تعالى اتَّخَذَ وَلَدًا؛ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ﴾ [البقرة: ١١٦]، وقوله عليه السلام: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨]،

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٢٣٥/٧، والكشاف ١١١/٣، وجوامع الجامع: ٦٠/٣، والتفسير الصافي: ١٨٩/١.  
(٢) الكشاف: ١١١/٣.

فليس في هذه الآيات ما يوحي بأن المراد بالولد هم الملائكة، وأمّا قول الزمخشري (ت: ٥٤٨ هـ) إنَّ الملائكة مفضّلون على سائر الخلق؛ نظرًا لما يتمتّعون به من صفات وميّزات أهلتهم لهذه الأفضليّة فمخالف لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وقوله عزّ من قائل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧].

زد على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]، ففيه تصريحٌ أنّ اليهود والنصارى جعلوا نبیین من الأنبياء أبناءً لله تعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، وليس للملائكة نصيبٌ من هذا الجعل . وبالرجوع إلى النصّ الكريم الذي استفتحنا به هذه المسألة، فقد وصف الله تعالى مَنْ جُعِلُوا أبناءً له سبحانه بأنّهم (عبادٌ مكرمون)، وهذا الوصف موافق لتكريم بني آدم وأفضليتهم على الخلق أجمعين، ثم خصّص هذه العبودية والإكرام بثلّة معيَّنة وُصِفَت بالشفاعة ورضاه سبحانه؛ إذ قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِّنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]، فليس كلُّ عباد الله مكرمين، وليس كلُّهم يشفعون للمذنب .

فالمحصّلة إذن أنّهم فئة خاصّة اتّهمهم الذين كفروا أو المغالون بأنّهم أبناء الله تعالى، وليت شعري ما الذي دفع هؤلاء الكافرين إلى هذا القول، أ للطيعة البشريّة أثر في ذلك؟ فالإنسان لا بدّ له من أبٍ يُولِّدُه وولدٍ يلده، فجرّوا هذه الصفات على الخالق تبارك وتعالى، أم لما رأوه من صفات قد تكون خارقةً لهذه الثلّة جعلتهم ينسبونهم إلى الذات الإلهيّة؟ وهذا واضحٌ أيّما وضوح في شخصيّة المسيح ﷺ؛ إذ وُلِدَ من غير أب، وفيه خروج عن سنّة الخلق، وما رأوا منه من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص وعلم الغيب، وهي من الصّفات الإلهيّة جعلهم يفترون الافتراء العظيم .

وبالعودة إلى كلام العترة الطاهرة وهم عدل القرآن وتبيانه وأهل الذكر، الذي أمرنا أن نسألهم، نجد الإمام الهادي عليه السلام بين أن المراد من (العباد المكرمون) هم الأئمة الأطهار وجدهم المختار عليه السلام، إذ يعرفهم بالزيارة الجامعة بأنهم ((وَعِبَادُهُ الْمُكْرَمِينَ الَّذِينَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ))، والنداء من وسائل التعريف المعروفة في الدرس النحوي<sup>(١)</sup>، فالإمام عليه السلام يُعرِّف العترة الطاهرة بأوصاف كثيرة، ومنها أنهم عباد الله المكرمون، ويُقوي هذا المذهب ما رواه العلامة المجلسي (ت: ١١١١ هـ) عن جابر الجعفي أنه قال: ((سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ، وَقَالَ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾))<sup>(٢)</sup>، ومما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه سُئِلَ عن المراد من العباد في الآية الكريمة، فقال عليه السلام: ((هم أئمة الهدى صلوات الله عليهم))<sup>(٣)</sup>.

وقد ذهب إلى ذلك السيّد الخوئي (رحمه الله)، إذ جعل من شروط الاعتقاد بوحداية الله تعالى ونبوة الخاتم أن يعتقد العبد ((بأنَّ النَّبِيَّ عليه السلام وَأَوْصِيَاءَهُ الْكَرَامَ عليهم السلام ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾))<sup>(٤)</sup>.

والذي يُستفاد من تأويل هذه الآية الكريمة بأئمة العترة الطاهرة عليهم السلام أمران: الأول: بيان منزلتهم وعلو كعبهم على مَنْ سواهم؛ إذ وُصِفوا بالعبودية لله تعالى، وهي أعلى مرتبة قد يصل إليها المخلوق؛ ولذلك قال تعالى في وصف النبي الأعم عليه السلام في أكثر من موضع في كتابه الكريم بأنه (عبده)، و(عبد الله)،

(١) ينظر: تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد: ١/ ٤٤٨، وحاشية الصبّان على شرح الأشموني: ٢٠٤/٣.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤ / ٩١.

(٣) مستدرک سفينة البحار: ٧ / ٦١.

(٤) البيان في تفسير القرآن: ١ / ٤٧٠.

حَتَّى إِنَّا نَقَدِّمُ صِفَةَ الْعِبُودِيَّةِ عَلَى الرِّسَالَةِ فِي التَّشْهَدِ فَنَقُولُ: عِبْدَهُ وَرَسُولَهُ، زِدْ عَلَى ذَلِكَ مَا فِي الْإِضَافَةِ إِلَى الْحَقِّ تَعَالَى مِنْ تَشْرِيفٍ وَتَعْظِيمٍ لَا نِهَآيَةَ لَهُ، وَلَهُمْ مِنَ الْإِخْتِصَاصِ بِهَذِهِ الدَّرَجَةِ مَا لَا يَنَافِسُهُمْ بِهَا أَحَدٌ<sup>(١)</sup>.

الأمر الثاني: رُدُّ عَلَى أَهْلِ الْغَلْوِ فِي الْأَثَمَةِ الْأَطْهَارِ؛ إِذْ جَعَلُوهُمْ وَلَا سِيَّمَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام إِلَهًا، لِمَا رَأَوْا مِنْ كِرَامَاتٍ لَهُ لَا تَحْتَمِلُهَا عَقُولُهُمْ فَنَسَبُوهُ إِلَى الْأُلُوْهِيَّةِ، وَنَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِ الْإِمَامِ الرِّضَا عليه السلام: ((يَا هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَإِلَهِي وَوَلَدَهُ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، مَخْلُوقُونَ، مُدَبَّرُونَ، لَا يَقْدِرُونَ إِلَّا عَلَيَّ مَا أَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ))<sup>(٢)</sup>. وَفِي هَذَا الْقَوْلِ تَأْوِيلٌ وَاضِحٌ لِلْمِرَادِ بِالْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَلَا تُشْرَقُ وَلَا نُعْرَبُ وَنُغْوَسُ فِي تَوْجِيهَاتِ الْمَفْسَّرِينَ وَأَرَائِهِمْ؛ بَلْ عَلَيْنَا أَنْ نَرْتَوِيَ مِنْ عَيْنٍ صَافِيَةٍ، وَهِيَ الْعَتْرَةُ الطَّاهِرَةُ.

وَيُسْتَشْفَى مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ دَفْعُ شَبْهَةِ الْغَلْوِ بِالْعَتْرَةِ الطَّاهِرَةِ عَنْ أَتْبَاعِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ النَّبِيَّ وَآلَهُ عليهم السلام عِبَادٌ لِلَّهِ تَعَالَى لَا غَيْرَ ذَلِكَ؛ وَلَكِنَّهُمْ مَفْضَلُونَ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ بِقَرْبِهِمْ مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى قَرَبًا لَا يَدْنُو مِنْ طَرَفِهِ أَحَدٌ.

### المسألة الثانية: وَصْفُهُمْ بِأَنَّهُمْ عليهم السلام (أهل الذكر وأولو الأمر):

مِنَ الْأَوْصَافِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الزِّيَارَةِ الْجَامِعَةِ الْكَبِيرَةِ (أهل الذكر وأولو الأمر)؛ إِذْ تَرْمِزُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا إِلَى مَعْنَى يَكْمُلُ الْآخَرَ، فَإِذَا رَجَعْنَا إِلَى الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي ضَمَّتْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ لِاتِّضَاحِ لَنَا خَطَرَ مَنْ يَحْمِلُهُمَا وَعَظَمَتِهِ، فَضْلًا عَنْ إِبْرَازِ الْمَهْمَةِ الْمَلْقَاةِ عَلَى عَاتِقِهِ، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَمَّنْ يَتَّصِفُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ، فَلْنَعْرِفْ أَوَّلًا مَا دَلَالَةُ أَهْلِ الذِّكْرِ وَأُولِي الْأَمْرِ قَرَأَتِيًّا؟ وَمَا وَظِيفَتُهُمْ؟ وَمِنْ ثَمَّ نَبْحَثُ فِي مَصْدَاقِهِمَا وَعَلَى مَنْ تَنْطَبِقُ هَاتَانِ الصِّفَتَانِ؟.

(١) ينظر: شرح الزيارة الجامعة: ٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ٢٧٨/٢٥.

وقبل البحث في المراد بأهل الذكر، لا بدَّ أن نعرف ما المراد بالذكر في المفهوم القرآني، وبعد ذلك نبحث في أصحابه وأهله، فقد ورد (الذكر) في القرآن الكريم في آيات عدَّة، منها قوله ﷻ: **﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾** [آل عمران: ٥٨]، وقوله سبحانه: **﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾** [الحجر: ٦]، وقوله تعالى: **﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾** [الحجر: ٩]، وقوله سبحانه: **﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [النحل: ٤٤]، وقوله عزَّ اسمه: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾** [الأنبياء: ١٠٥]، وفي قوله ﷻ: **﴿أَفَنْضِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾** [الزخرف: ٥]. ويمكن تقسيم دلالة الذكر قرآنيًا على أربعة معانٍ، هي:

أولًا: المراد بالذكر القرآن الكريم، وهو المعنى الأكثر في الاستعمال القرآني، وهو المفهوم من الآيات الأربع الأولى.

ثانيًا: اللوح المحفوظ<sup>(١)</sup>، كما في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾**، وتعددت أقوال المفسرين في دلالة الذكر في هذه الآية الكريمة، إلا أنَّ الباحث يميل إلى معنى اللوح المحفوظ، بلحاظ سياق الآية، ولا سيَّما قوله: **﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾**، بمعنى أنَّ الزبور مرحلة تالية للذكر، وبهذا يُستبعد قولٌ من ذهب إلى أنَّ الذكر هو القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

ثالثًا: العذاب<sup>(٣)</sup>، كما ورد في قوله ﷻ: **﴿أَفَنْضِبْ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾**، وهو من المعاني التي ذُكرت في تفسير هذا النصِّ المبارك.

(١) ينظر: الكشاف ٣/١٣٨، ومجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/١٠٤، وتفسير نور الثقلين ٥/٥٠٠.

(٢) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١٤/١٧٥، والأمثل: ١٠/٢٥٤.

(٣) ينظر: تفسير الماتريدي: ٩/١٤٨ والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٣/٤٠٧.

رابعاً: أن المراد بالذكر هو النبي الكريم ﷺ<sup>(١)</sup>، وهو المعنى الذي أفاده الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في التبيان من قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: ١٠ - ١١].

الذي يُفاد من هذه النصوص الكريمة أن المعنى الطاعني على (الذكر) قرآنيًا، هو القرآن نفسه، وإليه يميل الفكر إن سُمعت هذه المفردة، ولا سيّما إذا علمنا أن كثيراً من المفسرين ذكروا مع المعنيين الثاني والثالث معنى القرآن الكريم أيضاً، من غير أن نصرّف النظر عن المعنى الرابع، فقد يتّضح المراد من أهل الذكر بلحاظ هذا المعنى من غير تأويل ولا تقدير.

فإذا اتّضح المراد من الذكر في المفهوم القرآني، لا بدّ لنا من أن نسلط الضوء على أصحابه، المطلق عليهم قرآنيًا بـ(أهل الذكر)، فقد ذكر المفسرون مصاديق عدّة للأهل، ويمكن تصنيفهم على الآتي:

أولاً: أنّهم علماء اليهود والنصارى والصابئة<sup>(٢)</sup>، واستند من قال بهذا القول إلى سياق الآية الكريمة التي نصّها: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]؛ لأنّ مشرّكي قريش اعترضوا على نبوة الخاتم ﷺ أنه بشر، و((اللّه أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فقيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ على ألسنة الملائكة ﴿فاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ وهم أهل الكتاب، ليعلموكم أنّ الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٤٠/١٠، والتفسير الصافي: ١٨/٤.

(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢/٢ / ٤٧٠، والتفسير الوسيط: ٦٣/٣، والكشاف: ٦٠٨/٢، والتحرير والتنوير: ١٦٠/١٤.

(٣) الكشاف: ٢٠٨/٢.

ثانياً: هم علماء المسلمين: وعلى هذا التوجيه، يكون معنى النصِّ الكريم وجوب سؤال العلماء ليس في مسألة بشرية الأنبياء فحسب، وإنما في كلِّ أمرٍ يخصُّ دينهم وديانهم، وهو قول ابن عجيبة<sup>(١)</sup>، وأحد الاحتمالات التي احتملها الشوكاني<sup>(٢)</sup>.

ثالثاً: هم أئمة أهل البيت عليهم السلام<sup>(٣)</sup>، وهو المعنى الأقرب باعتقادي للنصوص القرآنية المتضمنة هذا التركيب جميعاً، وما دفعني لهذا الاعتقاد ما يأتي:

١- ما ذهب إليه عامة المفسرين من أن المراد ب(أهل الذكر) هم أهل الكتاب لا يمكن قبوله بأية حال، فالنصارى يؤمنون أن عيسى عليه السلام ابن الله، وهو يستلزم دفع البشرية عنه، وهو قول اليهود قبلهم في عزير أيضاً. فاليهود والنصارى مثل مشركي قريش في اعتقاد أن الرسل ليسوا من جنس البشر، فلو ذهب السائل إلى علماء اليهود والنصارى وسألهم عن هذه القضية، لأجابوه بخلاف ما جاء به القرآن الكريم؛ لأنهم - ببساطة - لم يؤمنوا بسماوية القرآن حتى يوافقوه.

٢- أن هذا المعنى يقود إلى حجية اليهود والنصارى على المسلمين؛ لأنَّ المأمورين بسؤال أهل الذكر غير منحصر بالمشركين، وإنما يشمل المسلمين أيضاً<sup>(٤)</sup>. وتعالى الله أن يجعل اليهود وغيرهم حججاً على اتباع آخر الشرائع وأرفعها.

وأما القول إنَّ أهل الذكر هم أئمة أهل البيت عليهم السلام فيميل إليه العقل قبل القلب، ولا سيما إذا وضعنا دلالة (الذكر) على النبيِّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ((الذِّكْرُ: رَسُولُ اللَّهِ، وَنَحْنُ أَهْلُهُ))<sup>(٥)</sup>، ففي بيوتهم نزل القرآن وهم أعلم به، يترجمونه على الوجه الذي أراده الحقُّ تبارك وتعالى، فإذا علمنا هذا المعنى، يتضح لنا قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة (أهل الذكر

(١) ينظر: البحر المديد: ٣/ ١٣٢.

(٢) ينظر: فتح القدير: ٣/ ١٩٧.

(٣) ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٦/ ٣٧٩.

(٤) ينظر: التفسير الصافي: ٤/ ١٣٨.

(٥) عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٤٣.

وأولو الأمر)، فلا غلوّ في هذا الوصف ولا مبالغة، وإنما بيّن ما أراد الله تعالى في كتابه المنزل، فسواءً كان المراد من الذكر (القرآن الكريم) فالعترة الطاهرة هم أهل القرآن؛ لأنهم مقرونون به، وقد أمرنا بالتمسك بهما بحديث الثقلين، وأمّا إن كان المراد به (الرسول الأعظم)، فأهله هم أيضاً تبعاً لآية التطهير المقدّسة، والعجيب الأعجب من يقبل بسؤال اليهود والنصارى ولا يجد حرجاً في ذلك ويضيق صدره إن ذكّرت العتره الطاهرة بدلالة النصوص القرآنيّة الكريمة.

المسألة الثالثة: قوله ﷺ فيهم: ((وَيَا ب الخلقِ إِلَيْكُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَيْكُمْ)):  
وفي هذا المقطع من الزيارة تصريحٌ منه ﷺ إلى مرجعيّة ضمير المتكلمين في الآيتين الكريمتين: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ \* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ [الغاشية: ٢٥-٢٦].

ولعلّ أوّل ما يُلحظ في الآيتين الكريمتين هو أسلوب التوكيد بصورتين؛ الأولى: بحرف التوكيد (إنّ)، والأخرى: بتقديم الجار والمجرور (إلينا) على الرغم من أنّ اسم (إنّ) معرفةٌ إلّا أنّه أُخّر لداعٍ دلاليّ، هو ((التشديد في الوعيد))<sup>(١)</sup>، ولعلّ الذي حمل الزمخشريّ إلى هذه الدلالة هو السياق السابق لهاتين الآيتين، إذ يقول الحقُّ سبحانه: ﴿فَذَكَرْنَا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ \* إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ \* فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢١-٢٤]، فالتهديد والتخويف واضحٌ للكافرين بأنّ إياهم إلى الله تعالى، وسيحاسبهم على أعمالهم<sup>(٢)</sup>، فضلاً عن دلالة الحصر والاختصاص التي يفيدها تقديم ما حقه التأخير<sup>(٣)</sup>، وهو من الدلالات الواضحة فلا داعي لبسط القول فيها في هذا البحث رعايةً للاختصار ودفعاً للتكرار. والذي يُفهم من كلام المفسّرين أنّ معنى (الإياب) هو الرجوع إلى الله تعالى بعد الموت، ومن ثمّ حسابهم يوم القيامة<sup>(٤)</sup>.

(١) الكشاف: ٤/٧٤٤.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٣٠٨/٣٠.

(٣) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: ١٦٤/٢.

(٤) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٥/٢٤٦، الكشاف: ٤/٧٤٤، مفاتيح الغيب: ٣١/١٤٧.

فيكون مرجع الضمير (نا) المتكلمين في الموضوعين إلى الله تعالى، واستعمال هذا الضمير كناية عن الحق تبارك وتعالى كثير في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢]، وغيرها كثير من الآيات التي تُكَنِّي عن الحق تعالى بضمير الجماعة تعظيمًا، فإنزال القرآن الكريم لم يك من الله تعالى مباشرة إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وإنما حصل بالوحي، وخلق الإنسان أيضًا لم يحدث دفعة واحدة باستعمال قانون (كن) فيكون) وإنما حصل بالأسباب الطبيعية بوجود الذكر والأنثى؛ ولذلك ناسب هذه الدلالات ضمير الجمع (١).

وتجد آيات أخرى تستعمل ضمير المفرد له تبارك وتعالى، كقوله: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، فقد ورد ضمير المفرد في هذه الآية خمس مرات، وقوله سبحانه: ﴿يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، إلى غيرها من الآيات التي تتحدث عن وحدانية الله وعبادته وحده لا شريك له، فناسب استعمال ضمير المفرد هذه المعاني، أمّا في الآيات التي تتحدث عن الخلق والرزق وإنزال القرآن وغيرها من المعاني التي لا تحدث إلا على هيئة مراحل ومنازل فُتُسْتَعْمَلُ ضمائر الجمع، ومن شاکلة هذه الآيات الكريمة ما استفتحت به هذه المسألة، وهو قوله: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾، فقد ورد ضمير الجمع في رجوع المخلوقين وحسابهم، ألتعظيم جاء ضمير الجمع ها هنا أم لدلالاتٍ آخر، فلم يستعمل هذا الضمير بالآيات التي تتضمن العبودية؟ الذي أريد أن أسلط عليه الضوء مستنيرًا بكلمات أهل البيت عليهم السلام أن استعمال ضمير المتكلمين هنا يمكن أن نستشف منه دلالاتٍ، منها أن (إياهم)

(١) ينظر: دراسة ضمير الغيبة والتكلم في القرآن الكريم وإبلاغية الالتفات منهما إلى الله: ٧٦.

ليس معناه الرجوع إلى الله تعالى بعد الموت، وإنما ((رُجُوعُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا لِأُمُورٍ دِينِيهِمْ وَدُنْيَاهُمْ وَأَحْكَامِ شَرَائِعِهِمْ، وَإِصْلَاحِ مَعَادِهِمْ وَمَعَاشِهِمْ))<sup>(١)</sup>، وهذا المعنى موافقٌ للقرآن الكريم؛ إذ أمرنا بالرجوع إلى الرسول الأعظم وأولي الأمر (عليهم الصلاة والسلام) لأحوال كثيرة، ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾ [النساء: ٨٣]، فهذا رجوع الخلق إلى السادة الأشراف عليهم السلام في الدنيا، وأمّا في الآخرة فقد يكون الرجوع طلباً للشفاعة منهم؛ أو لأنهم من يتولّى الحساب بإذن الله تبارك وتعالى<sup>(٢)</sup>، وقد يلمح هذا المعنى في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ أَهْؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [النساء: ٨٣]؛ لأنّ القائل: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ في هذه المحاوره هم أهل الأعراف<sup>(٣)</sup>، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: ((إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقْبَلَ سَبْعَ قَبَابٍ مِنْ نُورٍ يَواقِيتِ خُضْرٍ وَبَيْضٍ، فِي كُلِّ قُبَّةٍ إِمَامٌ دَهْرِهِ قَدْ احْتَفَّ بِهِ أَهْلُ دَهْرِهِ بَرَّهَا وَفَاجَرَهَا حَتَّى يَقْفُوا بَبَابَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُ أَوْلَهَا صَاحِبُ قُبَّةٍ اِطْلَاعَةً، فَيَمِيزُ أَهْلَ وَلَايَتِهِ وَعَدُوَّهُ، ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَىٰ عَدُوِّهِ، فيقول: أنتم الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم اليوم))<sup>(٤)</sup>، وأمّا من ذهب إلى أنّ القائل هو الله تعالى بتقدير: فقال الله ادخلوا الجنة، فمردود ((بَعْدَمُ مُسَاعَدَةِ السِّيَاقِ وَدَلَالَةِ الْقَرَائِنِ عَلَيْهِ بِوَجْهِ... وَلَيْسَ إِذَا جَازَ تَقْدِيرُ الْقَوْلِ فِي مَحَلِّ لَتَبَادُرِ

(١) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة: ١٣٦ .

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ٩٨ / ١ .

(٣) ينظر: مجمع البيان: ٢٣٥ / ٤ .

(٤) تفسير العيّاشي: ١٩ / ٢ .

مَعْنَاهُ مِنَ الْكَلَامِ جَازَ ذَلِكَ فِي أَيِّ مَقَامٍ أُرِيدَ، وَأَيُّ سِيَاقٍ أَمْ آيَةٌ قَرِيبَةٌ تَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ فِي الْمَقَامِ<sup>(١)</sup>، فَيَتَّضِحُ أَنَّ أَصْحَابَ الْأَعْرَافِ هُمْ مَنْ يُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَنَّةِ، وَالْكَافِرِينَ إِلَى النَّارِ بِالْمَقَابِلِ، فَلَا غَلُوٌّ مِنْ قَوْلِ الْإِمَامِ الْهَادِي عليه السلام أَنَّ حِسَابَ الْخَلَائِقِ مُوَكَّلٌ إِلَى الْأَثَمَةِ الْأَطْهَارِ وَسَيِّدِهِمُ الْخَاتَمِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ).

وفي هذا المعنى توحيدٌ لله تعالى بخلاف ما قد يوهمه الشيطان أنهم شركاء له تعالى عمّا يصفون علوًّا كبيرًا، استنادًا إلى قول الإمام علي عليه السلام في دعاء الصباح: ((وتنزّه عن مجانسة - مجالسة - مخلوقاته) فالحقُّ تبارك وتعالى أعلى وأجلُّ من هذه الصور التي يضعونها فيها؛ ولذلك لم يكلم البشر إلا برسولٍ أرسله إلينا، ونأخذ أحكامه من هذا الرسول، ولم يخلقنا مباشرةً بهيئتنا التي نحن عليها بقانون (كن فيكون) وإنما حصل الخلق بالذكر والأنثى، أي: إنه تعبدنا بالأسباب الطبيعية والقوانين التي خطّها في هذا العالم، ولا ينفي هذا قانون (كن فيكون) بعوالمه الخاصّة، وليس عالم البعث والنشور ببعيدٍ عن هذه القوانين فقد تنزّه عن مجانستنا أو مجالستنا فكيف يحاسبنا بنفسه، فبالحمل على قوانين الدُّنيا ببعثه الملائكة للرسول وهم إلينا، كذلك يكون الحساب كلُّ ذلك بإذنه سبحانه وتعالى، ويتجلّى هذا المعنى واضحًا في آية الأعراف .

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٨ / ٦٩ .

## نتائج البحث

بعد هذه الرحلة في سفر خالد من أسفار آل محمد المباركة، تفضل الحق تبارك وتعالى أن أقطف نتائج هذه الرحلة، وهي:

١- وَسُمَّ البحث بالتأويل القرآني غايته معرفة حقائق بعض الآيات القرآنية التي بَيَّنَّ دلالاتها الإمام الهادي (عليه السلام) في الزيارة، وليس قول مفسر قد يصيب وقد يُخطئ.

٢- تهيئة الزائر بذكر الله تعالى ممثلاً بالتكبير قبل الشروع بالزيارة الجامعة، يُفصِحُ أَنَّ الغاية من هذه الزيارة وسواها هو التوجُّه إلى الله تبارك وتعالى لا شريك له.

٣- لا يمكن الوصول إلى استنطاق القرآن الصامت إلا من القرآن الناطق، وهم العترة الطاهرة؛ استناداً إلى حديث الثقلين.

٤- بمعرفة مرجعيَّات الزيارة القرآنية اتَّضح أَنَّ لا غلَوَّ في تراكيبها، وإنَّما هي تجلُّ قرآنيٌّ بَيَّنَّه الإمام الهادي (عليه السلام).

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلَاة والسَّلَام على محمدٍ وآله الطيبين الكرام.

### مصادر البحث ومراجعته:

القرآن الكريم.

١- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزّل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢ م.

٢- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني محمّد بن عبد الرحمن بن عمر (٧٣٩هـ)، تح: محمّد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط٣، د.ت.

٣- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار: محمّد باقر المجلسي (١١١١هـ)، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣ م.

٤- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة أبو العباس أحمد بن محمّد (١٢٢٤هـ)، تح: أحمد عبد الله القرشي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢ م.

٥- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الخوئي (١٩٩١م)، دار الزهراء، بيروت، ط٤، ١٩٧٥ م.

٦- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي)، محمّد بن محمّد بن محمود (٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

٧- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (٤٦٠هـ)، المطبعة العلمية، النجف الأشرف، ١٣٧٦ هـ.

٨- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد)، ابن عاشور محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد (١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤ هـ.

٩- التفسير الصّافي، الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، منشورات مكتبة الصدر، طهران، ط٢، ١٤١٦ هـ .

١٠- تفسير العيّاشي، أبو النضر محمّد بن مسعود العيّاشي، تح: هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلمية الإسلاميّة، طهران، (د.ت) .

١١- تفسير القرآن العظيم، عبد الملك بن محمّد بن عبد الرحمن العاصمي، دار القاسم للنشر، المملكة العربيّة السعوديّة، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .

١٢- تفسير مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير (١٥٠هـ)، تح: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ .

١٣- التفسير الوسيط، مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلاميّة بالأزهر، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميريّة، ط١، ١٩٩٣ م .

١٤- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، ناظر الجيش محمّد بن يوسف بن أحمد (٧٧٨هـ)، دراسة وتحقيق: أ. د. علي محمّد فاخر وآخرين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط١، ١٤٢٨ هـ .

١٥- تهذيب اللغة، محمّد بن أحمد بن الأزهري الهروي (٣٧٠هـ)، تح: محمّد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١ م .

١٦- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمّد بن أحمد القرطبي (٦٧١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٥ م .

١٧- جوامع الجامع، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (٥٤٨هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي، قم المقدّسة، ١٤١٨ هـ .

١٨- حاشية الصّبّان على شرح الأشموني، أحمد بن محمّد بن علي الصّبّان (١٢٠٦هـ)، دار إحياء الكتب العربيّة، عيسى البابي الحلبي، مصر، د.ت .

- ١٩- ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره، د. وليد قصاب، دار العلوم للنشر، الرياض، السعودية، ١٩٨٢ م.
- ٢٠- شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، عبد الله شبر، مكتبة الرضا، قم، ط١، ١٩٨٣ م.
- ٢١- العين، الخليل بن أحمد، تح: د. مهدي المنزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ م.
- ٢٢- عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق (٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ٢٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٤٧ م.
- ٢٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبي)، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم (٤٢٧هـ)، تح: د. صلاح باعثمان وآخرين، دار التفسير، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م.
- ٢٥- كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق، تح: علي أكبر غفاري، منشورات مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٩٨٤ م.
- ٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦ م.
- ٢٧- مستدرک سفينة البحار، علي النمازي، مؤسسة النشر، قم المقدسة، (د.ت).
- ٢٨- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين (٥١٠هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٩- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي محمد بن عمر بن الحسن (٦٠٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨١م .

٣٠- مفاتيح الجنان، عباس القمي، المكتبة العلمية الإسلامية، طهران، (د.ت).

٣١- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس أبو الحسين بن زكريا (٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عمان، ١٩٧٩م .

٣٢- الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي (١٤٠٢هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م .

#### المجلات والدوريات

١- دراسة ضمير الغيبة والتكلم في القرآن الكريم وإبلاغية الالتفات منهما إلى الله، مجيد محمدي بايزيدي، بحث منشور في مجلة دواة مج ٦، ع ٢٥، محرم - آب، ٢٠٢٠م .



قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام كَانَ فِي وَصِيَّةِ  
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَصْحَابِهِ «اعْلَمُوا  
أَنَّ الْقُرْآنَ هُدَى النَّهَارِ وَنُورُ اللَّيْلِ  
الْمُظْلَمِ عَلَى مَا كَانَ مِنْ جَهْدٍ وَفَاقَةٍ»

الكافي، الشيخ الكليني (ت: ٣٢٩هـ): ٢ / ٦٠٠



التفسير الموضوعي عند الإمام عليؑ دراسة تأصيلية

م.د ساجد صباح العسكري

جامعة الإمام جعفر الصادقؑ فرع ذي قار

Thematic Exegesis According to Imam 'Ali (Peace Be Upon Him)

A Foundational Study

Asst. Lect. Sajid Sabah al-'Askari

Imam Ja'far al-Sadiq University (peace be upon him) – Dhi Qar ch

## الملخص:

يُمثل الأسلوب التفسيري الطريقة التي يعمد إليها المفسر في عرض تفسيره، في ضوء المنهج الذي يعتمدُه، فقد يكون التفسير ترتيبياً، وقد يكون موضوعياً، وقد يعتمد التفسير على الشرح والإيضاح، وقد يتعمق بذكر المصاديق، وقد يذهب أكثر من ذلك بالبحث في البطون القرآنية، وقد يجمع بين هذه الأساليب، وهو ما يمكن ملاحظته في الروايات التفسيرية الواردة عن أهل البيتؑ، فتنوعت أساليب المعصومينؑ بهدف بيان مفاهيم القرآن ومصاديقه، وهو دورٌ تكميلي للقرآن الكريم، يُمثل إحدى تجليات التلازم المعرفي بين القرآن والعترة، ومرجعية من مرجعياتهم في التعامل مع القرآن الكريم.

والهدف الآخر رسم طريق يسير عليه كل من أراد تفسير القرآن الكريم، فلا يعرف القرآن بحقيقته إلا من خوطب به، على مستوى النظرية والتطبيق.

ومن هنا جاء البحث الموسوم (التفسير الموضوعي عند الإمام عليؑ)؛ ليؤصل لأحد أساليب التفسير في ضوء ما ورد عن الإمام عليؑ من روايات سواء كانت على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق العملي، بتفسير بعض آيات القرآن الكريم؛ ليكشف بذلك عن أسلوب يعد من أهم الأساليب التفسيرية، التي بها يتوصل لمعرفة الرؤية القرآنية اتجاه موضوع معين.

الكلمات المفتاحية: التفسير الموضوعي، الإمام عليؑ، تفسير القرآن الكريم.

**Abstract:**

The exegetical method represents the approach that the exegete adopts in presenting his interpretation in light of the methodology he follows. Exegesis may be sequential, or it may be thematic. It may rely on explanation and clarification, or it may delve deeply into identifying the referents. It may go further by investigating the inner layers of the Qur'an, and it may combine these approaches all of which can be observed in the exegetical narrations transmitted from Ahl al-Bayt (peace be upon them). The methods of the Infallibles (peace be upon them) varied for the purpose of clarifying Qur'anic concepts and their referents. This constitutes a complementary role to the holy Qur'an and represents one of the manifestations of the epistemic interconnection between the Qur'an and the 'itrah, serving as one of their references in dealing with the Qur'an. Another goal is to draw a path for anyone who seeks to interpret the Holy Qur'an, for no one knows the Qur'an in its true reality except the one addressed by it both theoretically and practically. From here came the research titled "Thematic Exegesis According to Imam 'Ali (peace be upon him)", to establish one of the exegetical methods in light of what has been transmitted from Imam 'Ali (peace be upon him) in narrations, whether at the level of theoretical formulation or practical application through interpreting some Qur'anic verses. This aims to reveal an approach considered among the most important exegetical methods through which one can reach an understanding of the Qur'anic perspective regarding a specific topic.

**Keywords:** thematic exegesis, Imam 'Ali (peace be upon him), interpretation of the Holy Qur'an.

مقدمة

يُمثل الأسلوب التفسيري الطريقة التي يعتمد عليها المفسر في عرض تفسيره، في ضوء المنهج الذي يعتمد عليه، فقد يكون التفسير ترتيبياً، وقد يكون موضوعياً، وقد يعتمد التفسير على الشرح والايضاح، وقد يتعمق بذكر المصايد، وقد يذهب أكثر من ذلك بالبحث في البطون القرآنية، وقد يجمع بين هذه الأساليب، وهو ما يمكن ملاحظته في الروايات التفسيرية الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، فتنوعت أساليب المعصومين عليهم السلام بهدف بيان مفاهيم القرآن ومصايدقه، وهو دورٌ تكميلي للقرآن الكريم، يُمثل إحدى تجليات التلازم المعرفي بين القرآن والعترة، ومرجعية من مرجعياتهم في التعامل مع القرآن الكريم. والهدف الآخر رسم طريق يسير عليه كل من أراد تفسير القرآن الكريم، فلا يعرف القرآن بحقيقته إلا من خوطب به، على مستوى النظرية والتطبيق. ومن هنا جاء البحث الموسوم (التفسير الموضوعي عند الإمام علي عليه السلام)؛ ليؤصل لأحد أساليب التفسير في ضوء ما ورد عن الإمام علي عليه السلام من روايات سواء كانت على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق العملي، بتفسير بعض آيات القرآن الكريم؛ ليكشف بذلك عن أسلوب يعد من أهم الأساليب التفسيرية، التي بها يتوصل لمعرفة الرؤية القرآنية اتجاه موضوع معين. واقتضت مادة البحث أن يُقسّم على مطلبين سبقهما تمهيد؛ يُشكل الركيزة والمفتاح للبحث؛ لأنه يتناول التعريف بالأسلوب التفسيري، وأهم تمثلات التفسير الموضوعي، ومن ثم تحديد الإطار الذي يسير عليه البحث. وجاء المطلب الأول: فاقصر على بيان التأصيل النظري للتفسير الموضوعي عند أمير المؤمنين عليه السلام.

واختص المطلب الثاني بالتأصيل للتفسير الموضوعي عبر الممارسة العملية لتفسير القرآن الكريم عند أمير المؤمنين عليه السلام.

## التمهيد: التعريفُ بالأساليبِ التفسيريةِ

يُقصدُ بالأسلوبِ التفسيري: الطريقةُ التي يعمدُ إليها المفسرُ في عرضِ تفسيره، في ضوءِ المنهجِ الذي يعتمده، فقد تكونُ طريقةُ العرضِ مختصرةً، وقد تكونُ مطوّلةً، وقد يكونُ التفسيرُ ترتيبياً، وقد يكونُ موضوعياً، وقد يكونُ مزجياً يجمعُ بين الترتيبي والموضوعي وذلك بتناولِ موضوعاتٍ وبحوثٍ قرآنيةٍ في أثناءِ التفسيرِ الترتيبي، وقد يبدأُ المفسرُ في التفسيرِ الترتيبي من سورةِ الفاتحة، وقد يبدأُ من سورةِ النَّاسِ. ويمكنُ إجمالُ أساليبِ التفسيرِ بالآتي:

### ١. التفسيرِ الترتيبي:

وهو الأسلوبُ الذي يتناولُ فيه المفسرُ القرآنَ الكريمَ آيةً فآيةً على وفقِ تسلسلِ تدوينِ الآياتِ في المصحفِ الشريفِ<sup>(١)</sup>، فيبحثُ عن المعاني المعجميةِ لمفرداتِ الآيةِ، والمعاني الإجماليةِ لها، والقرائنِ الخارجيةِ كأسبابِ النزولِ، والقرائنِ الداخليةِ كالقراءاتِ وغيرها، ويبحثُ في إعرابِ الآيةِ وبلاغتها وفوائدها.. إلخ، ومن أشهرِ التفاسيرِ في ذلك: التبيانُ للشيخِ الطوسي، ومجمعُ البيانِ للطبرسي، ومفاتيحُ الغيبِ للرازي.

وقد يكونُ التفسيرُ التجزيئي مختصراً كما في تفسيرِ شبر، وتفسيرِ المعينِ لمحمدِ هويدي، وقد يكونُ مطوّلاً كما في تفسيرِ التبيانِ للطوسي ومجمعِ البيانِ للطبرسي، والتحريرِ والتنويرِ للطاهرِ بنِ عاشور وغيرِها.

وعادةً ما يكونُ التفسيرُ فيه تحليلاً؛ وهي طريقةُ تفكيكِ الآياتِ القرآنيةِ وتبسيطِها إلى كلماتٍ وجملٍ بهدفِ البحثِ عن أدقِّ المعاني لمفرداتٍ وجملٍ القرآنِ الكريمِ.

(١) تفسيرِ سورةِ الحمد، محمد باقر الحكيم: ٩١.

## ٢. التفسير الموضوعي:

هو الأسلوب الذي لا يتناول المفسر فيه تفسير القرآن آيةً فآيةً بالطريقة التي يمارسها في المنهج التجزيئي؛ بل يحاول القيام بالدراسة القرآنية لموضوع من موضوعات القرآن العقائدية أو الاجتماعية، كعقيدة التوحيد، أو النبوة، أو سنن التاريخ في القرآن. إلخ.

هذا هو المشهور والمتبادر في أذهان المختصين، بيد أن التفسير الموضوعي يُطلق ويراد منه أكثر من أسلوب من أساليب التفسير الموضوعي:

الأول: أبحاث موضوعية مستخرجة من ذات القرآن، من خلال تجميع الآيات التي تخص موضوعاً واحداً؛ وهو ما كتب فيه قديماً وحديثاً، كالكتب المختصة بأحكام القرآن، وأخلاق القرآن، وأمثال القرآن، والأقسام في القرآن... إلخ.

ومن يندرج تحت هذا الأسلوب كتاب مفاهيم القرآن للشيخ السبحاني، وكتاب نفحات القرآن لناصر مكارم الشيرازي، وتفسير محمد علي الصابوني<sup>(١)</sup>.

الثاني: أبحاث موضوعية مستنبطة من القرآن بعد العرض عليه، بمعنى أن نبحث عن المشكلة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية. من خلال القرآن لنصل إلى حلٍّ وحكم قرآني، وهذا هو ما يقصده السيد محمد باقر الصدر عندما طرح التفسير الموضوعي بوصفه تجربة رائدة في التفسير، وضرورة ملحة لعلاج مشاكل المجتمع<sup>(٢)</sup>.

الثالث: البحث عن المصطلح القرآني: ويطلق على الدراسات التي تتبّع مصطلحاً قرآنيًا بوصفه اصطلاحاً دالاً على معنى ما، لا بوصفه مسألة من المسائل التي طرحها القرآن الكريم، بمتابعة المفردة القرآنية في كل استعمالها

(١) ينظر: التمهيد، محمد هادي معرفة: ١٠ / ٥٢٥.

(٢) ينظر: م، ن: ١٠ / ٥٢٥ - ٥٢٦.

في القرآن الكريم وفي المعاجم<sup>(١)</sup>. ولعلَّ أوَّلَ مَنْ كَتَبَ في هذا الأسلوبِ التفسيري مقاتلُ بنِ سليمان (١٥٠هـ) في كتابه (الوجوه والنظائر)، وغير ذلك من كتب الوجوه والنظائر، والراغب الأصفهاني في مفرداته، والطريحي في مجمع البحرين. الرابع: البحث عن موضوعاتِ السورِ القرآنيَّةِ والتناسبِ بين آياتِ السورةِ الواحدة؛ أي: البحث عن مقصدِ السورةِ ومحاورها، ويمكنُ اعتبارُ البقاعي رائدَ هذا الفنِّ في كتابه (نظم الدرر في نظم الآياتِ والسور)<sup>(٢)</sup>، وكتبَ في هذا الأسلوبِ أيضًا الشيخُ محمَّدُ الغزالي كتابًا بعنوان (نحو تفسير موضوعي لسور القرآن)، وكتبَ أيضًا الدكتور البستاني كتابه (التفسير البنائي) الذي سارَ على هذا المنهجِ في كلِّ سورِ القرآنِ الكريمِ.

ومَّا تقدَّمَ يتبيَّنُ بوضوحٍ أنَّ الاشتراكَ بين أساليبِ التفسيرِ الموضوعي اشتراكٌ لفظيٌّ في الاسمِ فقط، ولكلُّ منها منهجُه الخاصُّ، وطريقتهُ في التفسيرِ الموضوعي، ولا تعارضٌ فيما بينها؛ لعدم احتكامها لتعريفٍ واحدٍ، فلا يمكنُ اخضاعها لتعريفٍ معيَّنٍ ومحكمةٍ تلكِ الأساليبِ في ضوئهِ. والذي يبدو للبحثِ والله أعلمُ أنَّ التفسيرَ الموضوعي المتبادرَ إلى الذهنِ عند اطلاقهِ هو الأسلوبُ الثاني والثالث، وعندما يقال: التفسيرُ الموضوعي عند السيِّدِ محمَّد باقر الصدر فالمقصودُ الأسلوبُ الذي سارَ عليه منطلقًا من المجتمعِ إلى القرآنِ لا العكسِ.

#### ٤. التفسيرُ المزجي:

وهو الذي يجمعُ بينَ الأسلوبِ الترتيبي، والموضوعي بالمعنى الثاني، فهو يفسِّرُ الآياتِ القرآنيَّةَ من الفاتحةِ إلى النَّاسِ ترتيبًا آيةً آيةً، وفي أثناءِ تفسيرهِ يتناولُ بعضَ الموضوعاتِ، وأشهرَ من مارسَ ذلكِ العلامةُ الطباطبائي في تفسيرِ

(١) ينظر: أطروحة التفسير الموضوعي عند السيِّدِ محمَّد باقر الصدر، أحمد عبد الله أبو زيد: ٤٧.

(٢) ينظر: م. ن. ٣٥.

الميزان، والشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسير الأمل، ومحمد رشيد رضا في تفسير المنار.

### ٥. التفسيرُ المقارنُ:

وهو أسلوبٌ يعتمدُ على جمع أقوال المفسرين، بهدف عرضها، أو الموازنة فيما بينها، ومن ثمَّ ترجيح أحد الأقوال، وبلا شكَّ فإنَّ أكثر التفاسير قد مارست المقارنة، إلا أنَّ بعضها عنونت بهذا الأسلوب، مثل: التفسيرُ المقارنُ للشيخ محمد باقر الناصري، والتفسيرُ المقارنُ للدكتور محمد البشير الإبراهيمي.

### الأساليبُ الفرعيةُ:

وتوجد أساليبُ فرعيةٌ تدرجُ تحت أيِّ أسلوبٍ من الأساليب المتقدمة عند النظر لتفسير الآية الواحدة، فقد يختلفُ الأسلوبُ التفسيري من آيةٍ لأخرى، وعند استقراء ذلك وجدَ الباحثُ أنَّها فسَّرت بثلاثة أساليب فرعية:

الأسلوبُ الأوَّل: التفسيرُ المفهومي: من قبيل الإيضاح والشرح للمفردات والتراكيب، فيختصُّ ببيان المبادئ التصورية لآيات القرآن الكريم.

الأسلوبُ الثاني: التفسيرُ المصداقي: بذكر المصدايق التي تنطبق عليها الآية، ويذكرُ أحد المصدايق، وقد يذكرُ أجلاها، وهذا لا يعني عدم وجودِ مصدايقٍ أخرى.

الأسلوبُ الثالث: التفسيرُ بالبطونِ القرآنية: بالبحث عن الدلالات الالتزامية، أو التأويل، أو المعاني الخفية، وهذا الأسلوب لا يكون إلا على وفق شروطٍ ذكرت في محلها.

## المطلبُ الأوَّلُ

### التأصيلُ النظريُّ للتفسيرِ الموضوعيِّ عندِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام

أصلُ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام للتفسيرِ الموضوعيِّ بجعلِ القرآنِ الكريمِ مصباحًا يُكشَفُ به ما كانَ غامضًا من نصوصٍ شرعيَّةٍ؛ سواءَ كانتِ قرآنيَّةً أو أحاديثَ شريفةً، ويمكنُ رصدُ ذلكِ في ثلاثِ مجموعاتٍ من الرواياتِ:

المجموعةُ الأولى: الرواياتُ التي أشارتِ إلى خصائصِ القرآنِ الكريمِ وصفاته: ومما وردَ في ذلكِ ما رُوِيَ عنه عليه السلام: ((واعلموا أنَّ هذا القرآنَ هو الناصحُ الذي لا يَغشُ، والهادي الذي لا يضلُّ، والمُحدِّثُ الذي لا يكذبُ. وما جالسَ هذا القرآنَ أحدٌ إلَّا قامَ عنه بزيادةٍ أو نقصانٍ: زيادةٌ في هدى، أو نقصانٌ في عمى... ألا إنَّ كلَّ حارثٍ مُبتلٍّ في حرثِهِ وعاقبةِ عملِهِ غيرَ حرثَةِ القرآنِ، فكونوا من حرثتهِ وأتباعِهِ واستدلُّوه على ربِّكم، واستنصحوه على أنفسِكم، واتَّهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم))<sup>(١)</sup>.

وكانَ في وصيَّةِ أميرِ المؤمنينَ عليه السلام لأصحابه: ((اعلموا أنَّ القرآنَ هدى النهارِ ونورَ الليلِ المظلمِ على ما كانَ من جهدٍ وفاقٍ))<sup>(٢)</sup>، وقد لا يُرادُ بالليلِ هنا الليلُ المعروفُ، بل كنايةٌ عن ظلمةِ الفتنِ وعدمِ وضوحِ الحقِّ، فيكونُ المرشدُ والهادي للصوابِ، وكذا يُزيلُ التعبَ والعناءَ، ويذهبُ أَلْفَاقَةَ والفقرَ، فهو بابٌ للرزقِ. وقالَ عليه السلام: ((عليكم بكتابِ اللهِ فإنَّه الحبلُ المتينُ، والنورُ المبينُ، والشفاءُ النافعُ، والرِّيُّ الناقعُ، والعصمةُ للمتمسِّكِ، والنجاةُ للمتعلِّقِ، لا يعوجُّ فيقومُ، ولا يزيغُ فيستعْتَبُ، ولا تخلقهُ كثرةُ الردِّ، وولوجُ السمعِ، مَنْ قالَ به صدقٌ، ومَنْ عملَ به سبقٌ))<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ٩٢/٢.

(٢) الكافي: ٦٠٠/٢.

(٣) نهج البلاغة: ٤٩/٢.

وقوله عليه السلام: ((وعليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين والنور المبين))<sup>(١)</sup> فيصفه عليه السلام بأنه نورٌ واضحٌ بنفسه، ومنورٌ ومبينٌ لغيره. ومجموع تلك الصفات تعني أن القرآن بينٌ لا غموض فيه، نورٌ يهتدى به في كشف الظلمات، وهنا يأتي السؤال: كيف يكون ذلك مع أن المعلوم أن في القرآن الكريم المتشابه والمجمل والمطلق والعام؟ والجواب: يكون من خلال البحث عن الرؤية القرآنية التي تتضح بالتفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم من خلال جمع الآيات لبعضها. المجموعة الثانية: الروايات التي تؤسس لتفسير القرآن بالقرآن: تُعدُّ مسألة تفسير القرآن بالقرآن الركيزة الأساسية للتفسير الموضوعي بالمعنى الذي يرى أن فكرة التفسير الموضوعي تركز على البحث عن النظرية القرآنية لموضوع من موضوعاته، وهذا لا يتحقق إلا بجمع الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها لبعض، ومن ثم الحصول على الرؤية القرآنية الموحدة في ذلك. وعلى المستوى النظري أصل أمير المؤمنين لهذا الأسلوب التفسيري في نصوص عديدة منها: ما روي عنه أنه قال: ((كتاب الله يُبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به، وينطق بعضهم ببعض، ويشهد بعضهم على بعض))<sup>(٢)</sup>. ولعل هذه الرواية من أوضح الروايات في تأسيس قاعدة تفسير القرآن بالقرآن التي يركز عليها التفسير الموضوعي بالمعنى المشهور بين المفسرين.

وهذا ما أشار إليه السيد محمد باقر الصدر بقوله: ((التعبير بالاستنطاق الذي جاء في كلام ابن القرآن عليه السلام أروع تعبير عن عملية التفسير الموضوعي؛ بوصفها حواراً مع القرآن الكريم وطرحاً للمشاكل الموضوعية عليه بقصد الحصول على الإجابة القرآنية عليها))<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: ٤٩/٢.

(٢) م. ن: ١٧/٢.

(٣) المدرسة القرآنية: ٢١.

فهو يرى أن التفسير الموضوعي عمليته حوار مع القرآن الكريم واستنطاق للنص القرآني، وتوظيفاً هادفاً للنص القرآني في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة؛ لأن وظيفته في كل عصر وزمان حمل أفكار عصره وتساؤلاته، ثم وضعها بين يدي القرآن للحصول على إجابات بما يمكن لهذا المفسر أن يفهمه، وأن يستشفه، وأن يتبينه في مجموعة آياته الشريفة، ومن هنا تكون للقرآن حينئذ قدرته على القيمومة والعطاء المستجد دائماً، فهو ليس تفسيراً لفظياً، فإن طاقات التفسير اللغوي ليست طاقات لا متناهية، على حين دل القرآن الكريم والروايات الشريفة على أنه لا ينفد، وبما أن التفسير اللفظي محدود فيكون من الضرورة اللجوء للتفسير الموضوعي<sup>(١)</sup>.

ومن الروايات المؤسسة للتفسير الموضوعي ما رواه الشيخ الصدوق بسنده ((عن أبي معمر السعداني أن رجلاً أتى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنني قد شككت في كتاب الله المنزل، قال له عليه السلام: تكلمت أمك وكيف شككت في كتاب الله المنزل؟! قال: لأنني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لا أشك فيه؟ فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: إن كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضاً، ولكنك لم تُرزق عقلاً تنتفع به، فهات ما شككت فيه من كتاب الله عليه السلام))<sup>(٢)</sup>.

فهذه الروايات وغيرها تكشف أن التفسير الموضوعي هو السائد عند أهل البيت عليهم السلام وهو المقدم على غيره، وهذا ما يؤكدُه العلامة الطباطبائي عند استعراضه ترتيب سور القرآن الكريم؛ إذ يقول: ((ويمكننا القول بجرأة أن سكوت علي عليه السلام الذي كان مصحفه يخالف في الترتيب المصحف المنتشر، كان لأن ترتيب النزول لم يكن ذا أهمية في تفسير القرآن بالقرآن الذي يهتم به أهل البيت عليهم السلام؛

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ٢٣.

(٢) التوحيد: ٢٥٥.

بل المهم فيه هو ملاحظة مجموع الآيات ومقارنته بعضها ببعض؛ لأن القرآن الذي هو الكتاب الدائم لكل الأزمان والعصور والأقوام والشعوب لا يمكن حصر مقاصده في خصوصية زمنية أو مكانية أو حوادث النزول وأشباهاها<sup>(١)</sup>.

المجموعة الثالثة: الروايات التي أشارت إلى محوريات بعض الآيات القرآنية، في القرآن الكريم آيات تُشكّل ركائز أساسية لها المحورية والحاكمية على آيات أخرى، فهي آيات محكمة بالمعنى العام، وحاكمة على غيرها، نحو الآيات الناسخة والآيات المقيّدة والآيات المخصّصة. إلخ.

ومقتضى وجود هذه الآيات يعني إرجاع الآيات التي تقابلها لها لفهم المراد الإلهي وإلا لما أمكن ذلك؛ لأن الآيات المنسوخة والمطلقة مع وجود المقيّد القرآني، والآية التي تفيد العموم مع وجود المخصّص القرآني، لا يمكن الكشف عن مضمونها إلا بالرجوع للآيات المحكمة، وهذا يعني تفسير القرآن بالقرآن.

ومّا ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال، ((أنّ علياً عليه السلام مرّ على قاضٍ فقال: تعرفُ الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، فقال: هلكت وأهلكت، وأويلُّ كلِّ حرفٍ من القرآن على وجوه))<sup>(٢)</sup>، وفي رواية عن الإمام الرضا عليه السلام قال: ((من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراطٍ مستقيم))<sup>(٣)</sup>.

وهذا يعني ((جواز تفسير الآيات المتشابهة بالآيات المحكمة الواضحة الدلالة في بيان المراد من الآية المتشابهة المفسّرة بها، وعليه يكون معنى قوله عليه السلام: (ينطقُ بعضه ببعض...)) تنطقُ متشابهاتها بمحكماتها وتشهدُ محكماتها على متشابهاتها. فهذا هو معنى هذا الحديث الشريف. وبناءً على هذا الأساس، لسان القرآن إنّما هو محكمات القرآن. وهي التي ينطقُ بها القرآن ويكشفُ بها مراد الله

(١) القرآن في الإسلام: ١٣٧ - ١٣٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٦/١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٦١.

تعالى من متشابهات الآيات، فهي لسانه الذي لا يعيا في تبيين مداليل متشابهات القرآن؛ بل تفصح عن المعاني المقصودة منها، بلا غموضٍ وغلاقةٍ<sup>(١)</sup>.  
ومن الروايات المتقدمة تبيين أمورٍ عدة:

أ. أهمية معرفة التقابلات الثنائية في التفسير لما فيها من أثر في كشف المعنى؛ لذا عُدت معرفتها من فضائل المعصومين عليهم السلام ومن كمالات المفسر.

ب. قدم هذه المفاهيم فهي ليست جديدة في علم التفسير إلا أن تأصيلاتها كانت متأخرة، فقد وردت الإشارة إلى أهميتها في روايات الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام.

ت. الروايات وإن لم تشر إلى حكومة بعض الآيات على بعض باستثناء الرواية الواردة عن الرضا عليه السلام، بيد أن هذه الحكومة تُفهم من التقابل بين المفاهيم مما يؤكد عدم فهم أحدهما بمعزل عن الآخر.

وروي عنه عليه السلام أنه قال: ((وفي القرآن ناسخٌ ومنسوخٌ ومحكمٌ ومتشابهٌ، وخاصٌ وعامٌ، ومقدمٌ ومؤخرٌ، وعزائمٌ ورخصٌ، وحلالٌ وحرامٌ، وفرائضٌ وأحكامٌ، ومنقطعٌ معطوفٌ ومنقطعٌ غير معطوفٍ))<sup>(٢)</sup>.

ففي الرواية المتقدمة ((صنّف الإمام علي عليه السلام كل نوعين من الآيات في نظام زوجي بشكل ثنائيات تناظرية) يمكن التفاعل فيما بينها ضمن إطار موضوع واحد) يجعل القرآن قادراً على تبيان المعلومة من هذا النظام الزوجي، وهذا النظام هو نظام كوني ثابت<sup>(٣)</sup>.

(١) دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية: ٢ / ٧٩-٨٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤ / ٩٠.

(٣) الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم: ٥٨.

وأستدل على حاكمية المحكمات بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، ومعنى الأصل<sup>(١)</sup>، ومقتضى ذلك رجوع ما لم يكن أصلاً إلى الأصل، حتى لا نقع في التفسير بالرأي، الناتج من مرض نفسي أو مطلباً للفتنة، أو انسجاماً مع قبلات عقديّة معيّنة. وأستدل أيضاً بالحديث الوارد عن الإمام الرضا عليه السلام: ((من ردّ متشابه القرآن إلى محكمه هدي إلى صراط مستقيم))<sup>(٢)</sup>.

وعليه فتكون المحكمات أحد أهم الركائز الأساسية في التفسير بلحاظ عدّة أمور، منها:

التفسير كشف عن الغموض<sup>(٣)</sup>، ووجود المتشابه يعني وجود الغموض في النص القرآني وعليه: لا بدّ من الكشف عن الغموض في ضوء إرجاعه إلى المحكم في القرآن الكريم بالدرجة الأساس، بوصفه أصول ترجع إليها الفروع، وعند ذاك يكشف الغموض، ويصبح القرآن الكريم كله محكماً لا غموض فيه.

لو أخذنا بالاتجاه المعرفي في بيان المحكم والمتشابه وأن المدار في التشابه غموض الدلالة، فيكون التشابه عنواناً واسعاً تدخل تحته كثير من المفاهيم نحو (العام، والمطلق، والمجمل، والمنسوخ)؛ لعدم وضوح دلالتها بمعزل عمّا يقابلها من النصوص إذا كان هناك ما يخصّصها أو يقيدها، أو يفصلها أو ينسخها فيفترض وجود آيات أمّات وركائز أساسية، فهي المحور الذي تدور حوله سائر الآيات للاستمداد من بياناتها والتزوّد بنورها، ففيها من الظهور ما ليس في غيرها، ومن تلك الآيات ما كانت محكمة أو مخصّصة أو مقيّدة أو مبيّنة أو ناسخة، وسبب جعل المحورية والحاكمية لهذه الآيات على الآيات المقابلة لها؛ لكاشفيّتها

(١) يُنظر: معجم مقاييس اللغة: ٢١ / ١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢٦١ / ١.

(٣) يُنظر: مجمع البحرين: ٤٣٨ / ٣.

وقوة ظهورها، وهذه المحورية تُشكّل الحجر الأساس في العملية التفسيرية<sup>(١)</sup>، فإنَّ (ورود المطلق في القرآن يأتي معضداً لمفهومي المحكم والمتشابه تأسيساً على أن الأخير مما تعدد المعاني فيه؛ لذا يدخل العام والمطلق في جنس المتشابه القرآني، ويدخل العام المخصّص والمطلق مع قيوده في جنس المحكم)<sup>(٢)</sup>.

افتراض أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء، وهدي ونور، لا يمكن تصوّره مع وجود المتشابه في القرآن الكريم، وحتى يتأكد هذا الافتراض ليصبح قانوناً مطّرداً، لابد من حلّ ذلك الغموض بإرجاع المتشابهات إلى المحكمات فيكون القرآن جميعه محكماً وبيّناً بلحاظ مراعاة الركيزة الأساسية في التفسير، وهي حاكمية المحكمات على المتشابهات.

(١) يُنظر: مدخل إلى النظام المعرفي لآلية فهم القرآن: ٣٤٦ - ٣٥٠.  
(٢) الإطلاق والتقييد في النصّ القرآني: ٥٥.

## المطلب الثاني: التأصيل للتفسير الموضوعي عند أمير المؤمنين عليه السلام في ضوء الممارسة التفسيرية

عند استقراء الممارسة العملية للتفسير عند أمير المؤمنين عليه السلام يتضح أن جزءاً منها يندرج ضمن أسلوب التفسير الموضوعي، وفيما يأتي بعض التطبيقات:

أولاً: تفسير القرآن بالقرآن:

لم يكتف أمير المؤمنين بالجانب النظري في التأصيل لتفسير القرآن بالقرآن؛ بل نجد الممارسة العملية في ما روي عنه عليه السلام في تحديد أقل مدة للحمل بالجمع بين قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] استنتج الإمام عليه السلام أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر عندما أنقص مدة الفصال (٢٤ شهراً) من الثلاثين شهراً الخاصة بالحمل والفصال في الآية الأولى<sup>(١)</sup>.

وعلى هذا سار الأئمة المعصومين في تفسير بعض آيات القرآن ولاسيما في آيات الأحكام بهدف الحصول على الرؤية القرآنية المتكاملة بجمع الآيات ذات الموضوع الواحد بعضها إلى بعض؛ إذ روى العياشي بسنده عن زرارة ومحمد بن مسلم: ((قلنا لأبي جعفر عليه السلام ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي؟ وكم هي؟ قال: إن الله يقول: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]، فصار التقصير في السفر واجباً كوجوب التمام في الحضر، قالوا: قلنا: إنما قال: ليس جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة ولم يقل اقلوا، فكيف أوجب الله ذلك كما أوجب التمام في الحضر؟ قال: أوليس قد قال الله في الصفا والمروة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]

(١) يُنظر: تفسير الصافي: ٥/ ١٤، بحار الأنوار: ٣٠/ ٦٩٨.

ألا ترى أن الطواف واجبٌ مفروضٌ؛ لأنَّ الله ذكرهما في كتابه وصنعهما نبيُّه ﷺ، وكذلك التقصيرُ في السفرِ شيءٌ صنعه النبيُّ ﷺ فذكره الله في الكتاب)) (١).

فالإمام رحمه الله أثبت في الرواية المتقدمة أن دلالة (فلا جناح) رفع الحرج وليس التخيير في الحكم، واستدلَّ بذلك على دلالتِهِ في آيةٍ أخرى.

ومن هنا تتضح أهمية التفسير الموضوعي بهذا المعنى في بيان الحكم الشرعي في آيات الأحكام.

ثانياً: الوجوه والنظائر:

عرَّف ابن الجوزي (٥٩٧هـ) الأشباه والنظائر بقوله: ((واعلم أن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر، فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر. وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الآخر هو الوجوه. فإذا النظائر: اسمٌ للألفاظ، والوجوه: اسمٌ للمعاني)) (٢).

وقال الزركشي (٧٩٤هـ) في بيان المقصود بالوجوه والنظائر: ((الوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ؛ كلفظ (الأمّة)، والنظائر: كالألفاظ المتواطئة. وقيل: النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني، وضعف؛ لأنه لو أريد هذا كان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة، فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر، كالأمثال)) (٣).

ومما تقدّم يتضح أن الوجوه والنظائر تبني على ضرورة معرفة الاستعمال القرآني للمفردة الواحدة التي يكون لها أكثر من استعمال، وهذا يفترض

(١) تفسير العياشي: ١ / ٢٧١.

(٢) نزهة الأعين النواظر: ٨٣.

(٣) البرهان: ١ / ١٠٢.

جمع الآيات القرآنية التي وردت بها المفردة، ومعرفة معانيها اعتماداً على القرائن الداخلية والخارجية، ويمكن أن تندرج هذه الممارسة ضمن التفسير الموضوعي. ومما روي عن الإمام عليؑ في ذلك:

١- استعمال لفظ (الضلال) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

في رواية طويلة الذيل يذكر وجوهاً عدة، منها<sup>(١)</sup>:

أ- الكفر: كما في قوله تعالى: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

ب- النسيان: كما في قوله تعالى: ﴿وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رَجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢].

ت- الغفلة: كما في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧]، ومعناه: وجدناك في قوم لا يعرفون نبوتك فهديناهم بك.

ث- بمعنى الجهل، أو بما يقابل الهدى والبيان: نحو قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥].

ج- الغواية: كما في قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه: ٧٩].

٢- استعمال لفظ (النسيان) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

روي عن الإمام عليؑ أن النسيان المنسوب إلى الله من باب المشاكلة فهو ليس كنسيان البشر، إذ يقول: ((أما قوله: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، إنما يعني نسوا الله في دار الدنيا، ولم يعلموا بطاعته فنسيهم في الآخرة، أي: لم يجعل لهم في ثوابه شيئاً فصاروا منسيين من الخير، وكذلك تفسير قوله ﷺ: ﴿فَالْيَوْمَ

**نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا** [الأعراف: ٥١] يعني بالنسيانِ أَنَّهُ لَمْ يُثْبِتْهُمْ كَمَا يُثْبِتُ أَوْلِيَاءَهُ الَّذِينَ كَانُوا فِي دَارِ الدُّنْيَا مُطِيعِينَ ذَاكِرِينَ حِينَ آمَنُوا بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَخَافُوهُ بِالْغَيْبِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: **﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾** [مريم: ٦٤]، فَإِنَّ رَبَّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَوًّا كَبِيرًا لَيْسَ بِالَّذِي يَنْسَى وَلَا يَغْفَلُ؛ بَلْ هُوَ الْحَفِيفُ الْعَلِيمُ، وَقَدْ يَقُولُ الْعَرَبُ فِي بَابِ النِّسْيَانِ: قَدْ نَسَيْتَا فَلَانٌ فَلَا يَذْكُرُنَا، أَيْ: إِنَّهُ لَا يَأْمُرُ لَنَا بِخَيْرٍ وَلَا يَذْكُرُنَا بِهِ<sup>(١)</sup>.

### ٣- استعمالات لفظ (الظن) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

رُوي عن الإمام عليٍّ عليه السلام في بيان استعمالات الظن أَنَّهُ قَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى اليقين، وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الشكِّ، وَهَذَا مَا نَصَّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ((وَأَمَّا قَوْلُهُ: **﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾** [الكهف: ٥٣]، يَعْنِي: أَيَقْنُوا أَنَّهُمْ دَاخِلُوهَا، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: **﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهٍ﴾** [الحاقة: ٢٠]، يَقُولُ: إِنِّي أَيَقْنْتُ أَنِّي أَبْعَثُ فَأَحَاسِبُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ لِلْمُنَافِقِينَ: **﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا﴾** [الأحزاب: ١٠]، فَهَذَا الظنُّ ظنُّ شكٍّ وَلَيْسَ ظنُّ يقينٍ، وَالظنُّ ظنُّانٌ: ظنُّ شكٍّ وَظنُّ يقينٍ، فَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ مَعَادٍ مِنَ الظنِّ فَهُوَ ظنُّ يقينٍ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ الدُّنْيَا فَهُوَ ظنُّ شكٍّ فَافْهَمْ مَا فَسَّرْتُ لَكَ<sup>(٢)</sup>.

### ٤- استعمالات لفظ (الوحي) ومشتقاتها في القرآن الكريم:

ذَكَرَ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام اسْتِعْمَالَ عِدَّةٍ لِلْوَحْيِ، وَهِيَ<sup>(٣)</sup>:

أ- وَحْيِ النُّبُوَّةِ: كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: **﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالتَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾** [النساء: ١٦٣].

(١) التوحيد: ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) م.ن: ٢٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ١٦/٩٠.

ب- بمعنى الإلهام: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].

ت- بمعنى الإشارة: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ١١].

ث- بمعنى الأمر، بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [المائدة: ١١١].

ج- بمعنى الخبر: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣].

ح- بمعنى التقدير: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ﴾ [فصلت: ١٢].

خ- الوسوسة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

٥- استعمال لفظ (الفتنة) ومشتقاتها في القرآن الكريم:  
رُوي عن الإمام عليؑ أن للفتنة أكثر من استعمال، ومنها<sup>(١)</sup>:

أ- بمعنى الامتحان والاختبار: كما في قوله سبحانه: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢].

ب- بمعنى الكفر: كما في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٤٨].

ثالثاً: الاستشهاد

المتَّبِعُ لرواياتِ أهلِ البيتِ (عليهم السلام) في مقام الاحتجاج، أو في مقام الإجابة عن سؤال يجدُّ أنهم (عليهم السلام) يستشهدون بالقرآن الكريم، فهو المصدرُ المعرفي الأول، ولعلَّ تلك سيرةٌ عمليَّةٌ أُريد منها أن تكون سلوكاً لمن يبحثُ عن إجابة عن سؤال، فهو تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، فقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيانِ شموليَّةِ الرسالة الإسلامية أنَّه قال: ((أم أنزلَ اللهُ - سبحانه - ديناً ناقصاً فاستعانَ بهم على تمامه! أم كانوا شركاءَ له، فلهم أن يقولوا، وعليه أن يرضى، أم أنزلَ اللهُ - سبحانه - ديناً تاماً فقصرَ الرسولُ (صلى الله عليه وآله) عن تبليغه وأدائه، والله يقول: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وفيه تبيانٌ لكلِّ شيءٍ، وذكرَ أنَّ الكتابَ يُصدِّقُ بعضُه بعضاً، وإنَّه لا اختلافَ فيه، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وأنَّ القرآنَ ظاهره أُنيقٌ (حسن) وباطنه عميقٌ، لا تفتنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبُه، ولا تنكشفُ الظلماتُ إلاَّ به)) (١).

وفي مقام الإجابة عن تكليم الله غير النبي موسى، روي عن الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي (عليه السلام)، قال: ((أتاهُ ابنُ الكواء، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله تبارك وتعالى هل كلَّم أحدًا من ولدِ آدمَ قبل موسى؟ فقال علي (عليه السلام): قد كلَّم اللهُ جميعَ خلقه برَّهم وفاجرهم، وردُّوا عليه الجواب، فثقلَ ذلك على ابنِ الكواء ولم يعرفه، فقال له: كيف كان ذلك يا أمير المؤمنين؟

فقال له: أو ما تقرأ كتابَ الله إذ يقولُ لنبِيِّه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢] فقد أسمعهم كلامه وردُّوا عليه الجواب)) (٢).

(١) نهج البلاغة: ٥٥/١.

(٢) تفسير العياشي: ٤١/٢.

وما دامت الإجابة لا تكون إلا بعد معرفة الرؤية القرآنية المتكاملة الذي يستلزم تفسير القرآن موضوعياً، فيمكن أن يندرج ذلك ضمن التفسير الموضوعي.

ومن أمثلة الإفادة من الشاهد القرآني ما روي عن الإمام علي عليه السلام: ((فكل من عمل من أعمال الخير فجري على غير أيدي أهل الاصطفاء، وعهودهم، وشرائعهم، وسننهم، ومعالم دينهم، مردود وغير مقبول، وأهله بمحل كفر، وإن شملتهم صفة الإيمان، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلُ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤]، فمن لم يهتد من أهل الإيمان إلى سبيل النجاة لم يغن عنه إيمانه بالله مع دفع حق أوليائه، وهبط عمله، وهو في الآخرة من الخاسرين، وكذلك قال الله سبحانه: ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ [غافر: ٨٥]، وهذا كثير في كتاب الله ﷻ))<sup>(١)</sup>.

## الخاتمة

في ختام البحث لابد من عرض بعض الخلاصات المعرفية:

١- بالنظر إلى تتبع السيرة القولية والفعلية للمعصوم يمكن القول إن التفسير الموضوعي هو الممارسة الأهم، فهي تعالج إشكالية عدم ترتيب السور القرآنية، فضلاً عن كونها تقدم رؤية قرآنية متكاملة.

٢- إن الاشتراك بين اتجاهات التفسير الموضوعي اشتراك لفظي في الاسم فقط، فلكل منها منهجيته الخاصة وطريقته في التفسير الموضوعي.

٣- إن التفسير الموضوعي المتبادر إلى الذهن عند اطلاقه هو أبحاث موضوعية مستخرجة من ذات القرآن وذلك بتجميع الآيات التي تخص موضوعاً واحداً، أو هو أبحاث موضوعية مستنبطة من القرآن بعد العرض عليه، أي: أن نبحث عن المشكلة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية معرفة الرؤية القرآنية.

٤- تُعد مسألة تفسير القرآن بالقرآن الركيزة الأساسية للتفسير الموضوعي بالمعنى الذي يرى أن فكرة التفسير الموضوعي تركز على البحث عن النظرية القرآنية لموضوع من موضوعاته.

٥- مقتضى وجوديات قرآنية تُشكل ركائز أساسية لها المحورية والحاكمية على آيات أخرى، يعني: إرجاع الآيات التي تقابلها لها؛ لفهم المراد الإلهي، فهي آيات محكمة بالمعنى العام وحاكمة على غيرها، نحو الآيات الناسخة والآيات المقيدة والآيات المخصصة... إلخ.

٦- باكورة التفسير الموضوعي بمعنى جمع الآيات ذات الموضوع الواحد لتحديد الرؤية القرآنية فيه، تعود إلى عصر صدر الإسلام، وقد أصل لها أمير المؤمنين (ع) على المستوى النظري، وعلى مستوى الممارسة العملية.

## المصادر والمراجع

### القرآن الكريم

- ١- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (٥٤٨هـ)، تعليقات وملاحظات: محمد باقر الخراسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف، (د.ط)، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م.
- ٢- الأصول المنهجية للتفسير الموضوعي في القرآن الكريم، مرتضى جمال الدين، الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة، قسم دار القرآن، كربلاء، ط: ١، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦ م.
- ٣- اطروحة التفسير الموضوعي عند السيد محمد باقر الصدر، قراءة فاحصة، أحمد عبد الله أبو زيد، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط: ١، ٢٠١١ م.
- ٤- الإطلاق والتقييد في النص القرآني قراءة في المفهوم والدلالة، سيروان عبد الزهرة الجنابي، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، ط: ١، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢ م.
- ٥- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي (١١١١هـ)، مؤسسه الوفاء، بيروت، لبنان، ط: ٢، ١٩٨٣ م.
- ٦- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (٧٩٤هـ)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: ١، ١٩٥٧ م.
- ٧- تفسير سورة الحمد، محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي، ط: ١، ١٤٢٠هـ.
- ٨- التفسير الصافي، محمد محسن الفيض الكاشاني (١٠٩١هـ)، صححه وقدم له وعلق عليه: حسين الأعلمي، مكتبة الصدر، طهران، ط: ٢، ١٤١٦هـ.

- ٩- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي (٣٢٠هـ)، تحقيق: الحاج السيّد هاشم الرسولي المحلاتي، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، (د.ط)، (د.ت).
- ١٠- التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة، منشورات ذوي القربى، قم المقدّسة، ط: ٢، ٢٠٠٩م.
- ١١- التوحيد، أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بـ (الصدوق) (٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، (د.ط)، (د.ت).
- ١٢- دروس تمهيدية في القواعد التفسيرية، علي أكبر النسفي المازندراني، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدّسة، ط: ٢، ١٤٣١هـ.
- ١٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه المعروف بالشيخ الصدوق (٣٨١هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، لبنان، (د.ط)، ١٩٨٤م.
- ١٤- القرآن في الإسلام، محمد حسين الطباطبائي، تعريب السيّد أحمد الحسيني، (د.ط)، (د.ت).
- ١٥- الكافي، محمد بن يعقوب الكليني (٣٢٩هـ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط: ٥، ١٣٦٣ش.
- ١٦- مجمع البحرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)، انتشارات مرتضوي، قم المقدّسة، ط: ٢، ١٣٦٢ش.
- ١٧- مدخل إلى النظام المعرفي لآلية فهم القرآن، قراءة في أبحاث السيّد كمال الحيدري، رضا الغرابي، مؤسّسة الهدى للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، (د.ط)، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٨- المدرسة القرآنية، محمد باقر الصدر، دار الكتاب الإسلامي، ط: ٢، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣.

١٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٠- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت، ط: ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٢١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي، شرح: محمد عبده، دار الذخائر، قم، إيران، ط: ١، ١٤١٢هـ.

٢٢- وسائل الشيعة، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الحر العاملي (١١٠٤هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث بقم المشرفة، ط: ٢، ١٤١٤هـ.

الْمَنْظُومَةُ الْمَعْرِفِيَّةُ لَدَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَأَثَرُهَا فِي بَيَانِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ

م.د. محسن عبد العظيم آل الشيخ هادي الخاقاني  
جامعة الكوفة / كلية التربية

The Epistemological System of The Commander of the Faithful (Imam Ali Ibn Abi Talib Peace Be Upon Him) and its Impact in Explaining Scientific Miracles  
Asst. Lect. Mohsen Abd al-'Azim al-Sheikh Hadi al-Khaqani  
University of Kufa / College of Education

## المُلخَص:

توقّفت معرفة نبوّات الأنبياء على مبدأ الإتيان بالبراهين السّاطعة من طريق المعجزات، وكان القرآن الكريم المعجزة الخالدة المثبتة للنبوة الخاتمة، فتحقّق الإيمان بها تبعاً لذلك العجز، وصدّقوا النبي ﷺ فيما أمر به ونهى عنه، ومن أهمّ أوامره وصيّته بالتمسك بالثقلين، من هنا عنى أئمّة أهل البيت ﷺ بمبحث الإعجاز القرآني؛ لأنّ التسليم بإعجازيّة القرآن الكريم تُفضي بالضرورة إلى التصديق بالنبيّ والإيمان به، وبأئمّة أهل البيت ﷺ. وقد عرض أمير المؤمنين ﷺ مظاهر الإعجاز القرآني في خطبه بوصفه أحد مصطلحات علوم الشريعة آنذاك؛ فضلاً على تجلّيه ضمن علوم القرآن، وهذا البحث يحاول استقراء كلامه ﷺ القائم على منظومة معرفيّة إلهيّة خاصّة به دون غيره؛ بوصفه باب علم الله، والقرآن الناطق، ومن الراسخين في العلم، وأحد أبرز رواد المعرفة الإلهيّة المتّصلة بين السماء والأرض، فيقوم البحث بتحليل ما له علاقة بالإعجاز العلميّ للقرآن الكريم عبر محدّدين اثنين: الأوّل اختصّ ببيان المفاهيم النظرية لمنظومة أمير المؤمنين ﷺ المعرفيّة، والمحدّد الآخر اختصّ بمبحث الإعجاز القرآني، وقراءة الأسس العلميّة في الكشف عن الإعجاز القرآني، ليسلّط الضوء على نزرٍ ممّا أثر عنه ﷺ من انفرادات معرفيّة سبق بها العلم المعاصر.

الكلمات المفتاحيّة: المنظومة المعرفيّة، أمير المؤمنين ﷺ، الإعجاز العلميّ.

### Abstract:

The knowledge of the prophecies of the prophets depended on the principle of presenting clear proofs through miracles. The holy Qur'an was the eternal miracle that confirmed the final prophethood. Faith in it was realized accordingly, and they believed in the Prophet (peace be upon him and his family) regarding what he commanded and forbade. Among his most important commands was his advice to adhere to the Thaqalayn (the two weighty matters). From this, the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them) paid attention to the study of Qur'anic miracles, because affirming the miraculous nature of the Qur'an necessarily leads to belief in the Prophet and faith in him and in the Imams of Ahl al-Bayt (peace be upon them).

The Commander of the Faithful (peace be upon him) presented the manifestations of Qur'anic miracles in his sermons as one of the terms of the religious sciences of that time, in addition to their expression within the sciences of the Qur'an. This research attempts to examine his words (peace be upon him), based on a unique divine epistemological system exclusive to him, as the gate to God's knowledge, the speaking Qur'an, and one of the firmest in knowledge and among the foremost pioneers of divine knowledge connecting heaven and earth. The research analyzes what relates to the scientific miracles of the Qur'an through two specifications: the first addresses the theoretical concepts of the epistemological system of the Commander of the Faithful (peace be upon him), and the second addresses the topic of Qur'anic miracles and the reading of scientific foundations in uncovering the Qur'anic miracle, in order to highlight a small portion of his unique epistemological contributions that preceded contemporary science.

**Keywords:** epistemological system, Commander of the Faithful (peace be upon him), scientific miracles.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين، محمد وآله الطاهرين، أما بعد، فتوقفت معرفة النبوات على مبدأ الإتيان بالبراهين الساطعة من طريق المعجزات، وكان القرآن الكريم المعجزة الخالدة المثبتة للنبوة الخاتمة للنبي ﷺ، وقد عنى أئمة أهل البيت ﷺ بمبحث الإعجاز القرآني؛ لأن التسليم بأن القرآن الكريم مُعْجَزٌ يُفْضِي بالضرورة إلى التسليم بأنه من عند الله تعالى، ويتوقف عليه التصديق بالنبي والإيمان به، كما يتوقف التصديق بأئمة أهل البيت ﷺ والإيمان بهم محصلة. وكان لأمر المؤمنين ﷺ قصب السبق في تناول بيان مظاهر الإعجاز القرآني في خطبه، من قبل أن يكون هناك تجلٍ واضح للإعجاز بوصفه أحد مصطلحات علوم الشريعة آنذاك، فضلاً على تجليه ضمن علوم القرآن، ومن قبل أن يصل العلم إلى ما وصل إليه اليوم بما اكتشف من وجه إعجاز علمي، فوسّع أمير المؤمنين ﷺ بمنظومته المعرفية أن يستوعب الماضي ويواكب الحاضر، وأن يمتدّ أفق علمه نحو المستقبل، وأن يتكلم بما يواكب العلوم الحديثة، وسبق عصر التقدم التكنولوجي.

وكان أمير المؤمنين ﷺ متبعاً أسلوب المنهج القرآني في عرضه للحقائق العلمية من طريق نصّ مكتنز الدلالات، فتجد لكلامه فهماً خاصاً يتناسب مع كلِّ عصر بحسب ما يمتلك من قابليات لفهمه، مع مزية قبوله من معاصريه الذين يعيشون في عصر بعيدٍ عنّا، ومع ذلك فلم يمجّه أحد من المتلقين له؛ بل كان يمثل فتحاً علمياً، وتيسيراً للعسير وتوضيحاً لما قد أغمض عليه، وفي الوقت نفسه ساير ذلك الأسلوب العصور المتأخرة التي وظفت إمكاناتها في الكشف عن الحقائق العلمية بكلِّ ما أوتيت من قوّة، والتي أخبر عنها الإمام ﷺ من دون توافر تلك الإمكانيات والأدوات المستعملة في البحوث العلمية والمنقبة عن الحقائق الكونية، وما ذاك إلا لأنّ منظومته المعرفية قائمة على مصدر ربّاني، وما

عنده لا يمكن أن يُتَحَصَّلَ عند غيره؛ لأنَّ نافذة علمه مستقاة من منزل القرآن الكريم نفسه جلَّ وعلا، فكان أحقَّ من غيره أن يُيِّنَ ما بيَّنه من إعجاز علمي للقرآن الكريم، وكأنَّه في كلامه سدُّ حاجة ذلك الوقت بالمعلومات الكافية، وأدَّخِر فيه كنوزاً إلى أزمان وأقوام تأتي فيما بعد.

ولما تقتضيه المنهجية العلمية المتبعة في إنجاز البحوث العلمية، شرع البحث بالتأسيس النظريِّ عبر مبحثه الأوَّل المعنون: المفاهيم النظرية لمنظومة أمير المؤمنين (عليه السلام) المعرفية، ومن ثمَّ انتقل إلى الجانب التطبيقيِّ عبر المبحث الثاني الموسوم: الإجراءات التطبيقية لبيان مظاهر الإعجاز العلميِّ في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ ضمَّ سبعة مطالب انتظمت؛ تبعاً لمجالات الإعجاز العلميِّ المقررة عند العلماء، ممثلة القراءة في مظاهره الكونية والفلكية والأرضية وما يتعلَّق بخلق الإنسان والحيوان، ممَّا اتَّفَق الحديث فيه بين النصِّ القرآنيِّ المقدَّس والنصِّ العلويِّ الشريف. فجاءت التطبيقات الإجرائية للتدليل على فرضية البحث فحسب وعلى سبيل المثال لا الحصر، فلا يمكن لبحث - بهذا الحجم - أن يستوفي جميع ما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في مجال ما يتعلَّق بمظاهر الإعجاز العلميِّ للقرآن الكريم، ونشير إلى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) بسبب قاصرة معاصريه ومقصر يتهم لم يتمكن من نشر كلِّ العلوم في عصره ومدارستها، ولم يتحدَّث بجميع ما عنده من علم، فمن يطَّلِع على علمه (عليه السلام) - وإن لم يعرفه إماماً مُنصَّباً من لدن الله تعالى حتَّى يُؤْمِنَ به - لا يشكُّ ولا يتردَّد في أن يصنِّفه على رأس قائمة عباقرة الأمم، والحضارات في كلِّ العصور؛ لأنَّه استطاع أن يُنير الإنسانية بعلومه التي مرَّ عليها مئات السنين. وما هذا البحث إلا محاولة جادة في تبين نزر يسير من علم أمير المؤمنين (عليه السلام) في أحد جوانب المعرفة القرآنية، فما كان فيه من صواب فهو بتسديد من الله تعالى، وما كان خلاف ذلك، فنسأل الله (عزَّ وجلَّ) العفو والمغفرة منه، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

## المبحث الأول

### المفاهيم النظرية لمنظومة أمير المؤمنين ﷺ المعرفية

توطئة:

المنظومة المعرفية اللدنية لدى الإمام أهله لأن يتكلم بما يواكب العلوم الحديثة، وسبق عصر التقدم التكنولوجي، وسار على ما أخبر به النبي ﷺ من إثبات علم تأويل الكتاب له، واللافت للنظر أن كلام أمير المؤمنين ﷺ جاء بأسلوب المنهج القرآني في عرضه للحقائق العلمية عبر نصّ مكتنز الدلالات، فتجده يتكلم بما يناسب كل عصر بحسب ما يمتلك من أدوات وقابليات لفهم النصّ، فانما ذلك الأسلوب بالقبول من معاصريه الذين يعيشون بعصر بعيد كل البعد عما عليه الناس اليوم، ومع ذلك فلم يمجّه أحد من المتلقين؛ بل كان يمثل فتحاً علمياً، وتيسيراً للعسير وتوضيحاً لما قد أغمض على المتلقي، وفي الوقت نفسه سائر ذلك الأسلوب العصور المتأخرة التي وظفت إمكاناتها في الكشف عن الحقائق العلمية بكل ما أوتيت من قوة، وأبو الحسن ﷺ كان قد أخبر عنها من دون توافر تلك الإمكانيات والأدوات المستعملة في البحوث العلمية والمنقبة عن الحقائق الكونية، وما ذاك إلا لأن المنظومة المعرفية لدى أمير المؤمنين ﷺ قائمة على مصدر ربّاني، له القابلية في الاطلاع على الحقائق قبل اكتشافها من طريق الدراسة والكسب، ولم تغب الحقيقة عنه لحظة واحدة

### المطلب الأول: الأئمة عليهم السلام خلفاء الرسول ﷺ وورثة علمه

لا يخفى على الجميع أن القرآن الكريم هو خاتمة الشرائع، وأن نبينا محمد ﷺ الرسول الذي جاء به هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وبما ((أن النبي ﷺ بُعث للعالم أجمع، وللخليقة التي على كرة المعمورة كافة، وما كانت شريعته لتعم

البشر على اختلاف الألسنة، وتباين الطباع وتغاير الألوان، وتشاسع البلدان إلا وهي صالحة؛ لأن يكون نظامها العام الذي تنضوي تحت لوائه، والذي يوافق كل قطر، ويلائم كل جيل ويجتمع مع كل لسانٍ من دون أن يكون لقطرٍ أو جيل أو لسان ميزة على عداه<sup>(١)</sup>.

ومن الأمور البدهية أن يحظى صاحب هذه الرسالة العظيمة برعاية إلهية، إذ ((لا بدّ وأن يكون لصاحب هذه الدعوة وتلك السيطرة، من العلم من لدن العلام جلّ وعلا، ما يحيط بالجليل والحقير والكبير والصغير فيما تأتي به الحوادث في تلك البلاد قربت أو بعدت؛ ليتسنى له أن يتدارك الحيف ويرفع الظلم ويتقّم من أهل العدوان عند أول زمن، ولو لا هذا العلم المحيط وتلك القدرة على التنفيذ لكانت الرسالة ناقصة والإصلاح والعدل غير شاملين، فعلم الرسول بالعالم وإحاطته بما يحدث فيه، وقدرته على تعميم الإصلاح للداني والقاصي والحاضر والباد، من أسس تلك الرسالة العامّة وقاعدة لزوميّة لتطبيق تلك الشريعة الشاملة))<sup>(٢)</sup>.

وبحسب تتبّع مصادر السير والتأريخ الحاكية عن واقع الدعوة الإسلامية، يتبيّن أنّ حركة الدعوة الإسلامية لم يُسمح لها بالانتشار إلى أقاصي الأرض؛ بل كانت محدودة بحدود الظروف المحيطة بها، بينما يُراد لها أن تشمل جميع المعمورة، كما أنّها لم تتناول جميع علوم الحياة؛ لعدم توافر الظروف المناسبة لظهورها.

غير أنّ الظروف المصاحبة للدعوة لم تسمح للنبي ﷺ أن يظهر لقومه ومعاصريه تلك القوى القدسيّة والعلم الرباني الفياض؛ بل إنّ بعض التشريعات، وكذا بعض الحقائق عن الكون، وعن الحياة، وشؤونها، لم يكن يمكن له ﷺ بيانها لعامّة الناس، فلو أنّه ﷺ قال لهم: إذا صعد الإنسان إلى القمر مثلاً، فإنّ عليه أن يُصليّ بهذه الطريقة، أو بتلك، أو لو قال لهم: إنّه يمكن أن يرى من في

(١) علم الإمام، المظفر: ١٣ .

(٢) المصدر نفسه: ١٥ .

المشرق مَنْ في المغرب بواسطة جهاز تلفاز، وأنَّ حكم النظر إلى صور الخلاعة فيه هو كذا، أو تحدّث لهم عن جهاز الكمبيوتر، أو اللاسلكي، أو نحو ذلك ممَّا اكتشف حديثاً، فإنَّهم سوف لن يساورهم أيُّ شكٍّ في أنَّه ساحر أو مجنون، ولصدَّهم ذلك عن الإيمان بنبوِّته، وعذرهم في ذلك واضح<sup>(١)</sup>.

مع الأخذ بالحسبان ((أنَّ ما جاء به الرسول عن الجليل تعالى من الأحكام وتطبيقها على المجتمع البشري لم يكن مقصوداً على زمن الرسالة وأهل أو أوانها فحسب؛ بل هو عامٌّ لكلِّ قومٍ وجيلٍ وزمانٍ ومكانٍ، إنَّما أنت منذرٌ لكلِّ قومٍ هادٍ، فتطبيق ما صدع به الرسول بعد عصر الرسالة يحتاج إلى ذلك الخبير في كلِّ وقتٍ وحين بتلك الأحكام كما أنزلت، وبذلك النظام كما صدع به، وبما يحدث في العالم كما كان عليه الرسول؛ لتعميم العدل والأمن وتنفيذ أحكام الشريعة، وذلك الخبير هو الهادي بعد المنذر من دون فصلٍ ومن دون استثناء زمنٍ، ولولا ذلك الخبير الهادي - إذا أطيع - لدخلت الأهواء الباطلة والآراء الضالة في تلك الأحكام وذلك النظام، فتصبح الأُمَّة مذاهبٍ وشيعاً، وأحزاباً وفرقاً، فالخلافة وظيفته تنوب عن الرسالة وتنهض بعبئها الباهض، سوى مقام النبوة والتشريع، ولو لم يكن للخليفة تلك الملكة السامية القدسيَّة السماويَّة، من العلم بما يحدث في العالم، ليسير بها على سنن العدل ومناهج الإصلاح ومن القوى النفسية التي يستطيع بها على تمشية ذلك النظام الإلهي))<sup>(٢)</sup>.

ثُمَّ إِنَّ سَنَةَ اللَّهِ ﷻ فِي أَنْبِيَائِهِ وَرَسُولِهِ اقْتُضتْ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مِنْهُمْ زَمَنٌ مُحَدودٌ؛ لِيَأْتِيَ دُورَ الَّذِي بَعْدَهُ وَهَكَذَا، فَإِذَا مَا عَلِمْنَا ((أَنَّ أَمَدَ الرَّسُولِ مَنْقُضٌ مَهْمَا طَالَ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَلِيفَةٌ يَنْهَضُ بِجَمْعِ النَّاسِ وَتَسْيِيرِهِمْ تَحْتَ لُؤَاءِ وَاحِدٍ، وَتَطْبِيقِ نِظَامِ الشَّرِيعَةِ عَلَيْهِمْ، وَقيامه بما قام به الرسول من إفشاء العدل والإصلاح، واستتباب الأمن))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: مقالات ودراسات، العاملي: ٦٨ .

(٢) علم الإمام: ١٧ .

(٣) المصدر نفسه: ١٦ .

من هنا والحال هذه وجب أن يخلف النبي ﷺ من هو مؤهل تمام الأهلية، وعلى رأسها حصوله على العلم الإلهي؛ لإتمام عملية التبليغ عن الله ﷻ، وأن يؤدي دوره العلمي ورعايته الأبوية للأمة بعد رحيله، بما اكتسب من الفيوضات الربانية والمواهب السماوية، وهم أهل البيت ﷺ، فمن طريقهم ﷺ، وبهم يكون بقاء هذا الدين؛ وذلك لأنهم<sup>(١)</sup>:

١ - التجسيد الحي للأنموذج الخالص، والمرأة الصافية التي تعكس الإسلام: عقلاً، وروحاً، وأحاسيس، ومشاعر، وميزات، وخصائص، ثم نهجاً وموقفاً، وحركة، وسلوكاً، وكيف لا، وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً، وهم صفوة الله من خلقه، وخيرته من عباده.

٢ - أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، وهم عيبة علم رسول الله ﷺ، وهم أحد الثقلين اللذين لن يضل من تمسك بهما، وهم أيضاً سفينة النجاة ومصباح الهدى، ومن طريق ذلك يمكن لأهل البيت من إنجاز مهمتهم في الهداية والتزكية الروحية، وتصفية النفوس، وتطهير الفطرة وتخليصها من كل الشوائب التي علقت أو تعلق بها، بالمعرفة الهادية، والعلم الزاكي، المتدفق من منبعه الأصفى، هو الذي يرفد الفكر ليتحرك على وفق الضوابط والمعايير؛ لينتج الوعي والهدى والصلاح في الأمة كلها.

وفيما قامت عليه عقائدنا -نحن الإمامية الاثني عشرية- أن ((أهل البيت هم الأئمة حقاً والخلفاء صدقاً، فلا بد أن يكونوا علماء بكل شيء علماً حضورياً مما كان ويكون وما هو كائن، وفي كل فن وحكم وأمر، فلا يجوز أن يسأل الإمام عن شيء مهما كان، ولا يكون عنده علمه، ولا يحدث شيء وهو غير خبير به؛ لتكون لله تعالى به الحجة البالغة على خلقه، كما كانت لصاحب الرسالة، ولو لا الإمام لانقطع أثر الرسالة العظيم، ولم تلمس الناس جدواها الجليلة في العاجل

(١) مقالات ودراسات: ٦٧-٦٨.

والآجل، إلى غير هذا مما يستلزم إضعاف شأن الرسالة وعدم سراية نفعها، وإذا أبت الظروف أن تسمح لذلك الإمام بإظهار ما أودعه العلام سبحانه عنده من جليل علمه، وأسرار حكمه، فلا يكون معنى ذلك أنه ليس لديه هذا العلم والوجدان خير مرشد إلى هذا الوجود، لظهوره أحياناً على أفعال ذلك الإمام وأقواله، ومحاوراته ومناظراته، وإذا أضاعت الناس تلك المنفعة الجليلة من مخزون علم الإمام، وصالح إرشاده وجميل إصلاحه، بإعراضهم عنه وإقبالهم على سواه، فلا يكون معنى ذلك أنه لا فائدة مهمّة بعلمه؛ لأنّ الفائدة الجليلة إنّما ضاعت بما اختاره الناس لأنفسهم، فإنّ من يضع على عينيه غشاوة لئلا يبصر القمر ونوره، فلا يعدم ذلك نور القمر، وإنّما يعدم الانتفاع بذلك النور بسوء ما اختاره، ولولا هذه الإضاعة وتلك الغشاوة، للمسوا تلك الجدوى، ولا هتدوا بذلك النور، نعم لو كان الإمام صاحب السيف والصولجان، وكانت الوسادة مثنية له، لظهر علمه ناصعاً تبصره كلُّ عين وتلمس آثاره كلُّ يد، ولم يملك من أئمة أهل البيت عليهم السلام أزمة الأمور إلا أمير المؤمنين عليه السلام أربع سنين وأشهرًا، وأنت تعلم كيف لاقى من الأئمة من النزاع والصراع والقراع، ومع ذلك فقد ظهرت له في هذه المدّة الوجيزة من الفضائل والعلوم ما ملأ الخافقين، وهي وإن كانت غيضاً من فيض إلا أنّها أدهشت العقول، وأحارت الأبواب حتّى دعت بعض الضعفاء في البصائر إلى الغلوّ فيه ورفعته عن مستوى البشر إلى منزلة الألوهيّة، فكيف تراهم لو أبدى جميع المكنون من عمله، والمخزون من حكمه وحكمه؟<sup>(١)</sup>.

وعليه ((لما كانت رسالة السّماء عالميّة الدّلالة، إنسانيّة العطاء، وكانت الإمامة امتداداً طبيعيّاً للنّبوة، كان لا بدّ لهذه الرسالة من أن تتخطى البعد الإقليميّ إلى عالم الكون بما يقتضي هذا التوسّع من استيعاب وشموليّة، وكان ميدان هذا التجاوز في الآفاق أن يتوجّ العلم المعرفيّ العام والخاص بإمدادات غيبية لدنيّة

تضاف إلى التعليم التقليديّ في الكسب والمدارسة، وتّجه إلى مناخ جديد، يتعدّى وسائل الأطاريح البشريّة المعروفة في التعليم إلى آفاق غير طبيعيّة ذات بُعد فريد لا يُحتاج معه إلى آليّة تعليميّة فيما يتعاطاه العلماء عادة، وهذه حقيقة واقعة ممّا آتاه الله تعالى عباده المخلصين، وليس هذا بدعاً من القول؛ بل هو نابع من خلال قوله تعالى - فيما اقتصرّ من خبر موسى بن عمران مع العالم الذي يعرف بالخضر ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥]، فهو علم لدني يهبه الله لمن يشاء من عباده الصديقين، وكان أئمة أهل البيت عليهم السلام من أبرز مصاديق هؤلاء العباد في الحسّ والتجربة وشواهد الأحوال، وفي شتى المجالات<sup>(١)</sup>، ف ((الإمامة ضرورية للأئمة، وأنّ الإمام لا بدّ له من ذلك العلم الزاخر المستمدّ من ينبوع علم العلام تعالى، ولو لم يكن في الأئمة إمام على هذه الصفة، لما قامت لله الحجة البالغة على خلقه بعد الرسول إذ لا تقوم الحجّة بذوي الجهل))<sup>(٢)</sup>. وقد أحصى الشيخ محمّد حسن المظفر عددًا من الأحاديث المثبّته لعلم أهل البيت عليهم السلام اللدني، وهو بعض ما نطقت به الأحاديث وصرّحت به الأخبار، ممّا يُسهّم في عرفان ما كانوا عليه من ذلك العلم الزاخر، وإن كنّا نجهل ما اتّصفوا به، غير أنّنا نستظهر شيئاً أنبأت عنه أحاديثهم الشريفة، ودلّتنا عليه أعمالهم المأثورة، فكانت تلك الأخبار على طوائف بعنوانات متعدّدة نذكرها على سبيل الاختصار<sup>(٣)</sup>:

١ - علمهم بما في السماء والأرض. ٢ - الأئمة خزنة العلم والحجّة البالغة.

٣ - أنّ الأئمة هم الراسخون في العلم والذين أوتوا العلم.

٤ - الأئمة معدن العلم ووارثوه. ٥ - الأئمة ورثة علم النبي صلى الله عليه وآله.

(١) موسوعة أهل البيت، الإمام علي الهادي، الصغير محمّد حسين: ١٩٦-١٩٧.

(٢) علم الإمام: ٢٤.

(٣) ينظر: علم الإمام: ٤٣-٤٩.

- ٦- أن لدى الأئمة عليهم السلام جميع الكتب ويعرفونها على اختلاف ألسنتها.  
 ٧- الأئمة يعلمون الكتاب كله. ٨- عندهم جميع العلوم.  
 ٩- يعلمون حتى بانقلاب جناح الطائر. ١٠- أن الأئمة الشهداء على الناس.  
 فالأئمة عليهم السلام جميعهم هم الراسخون في العلم، والذين أوتوا العلم والذين علموا تأويل القرآن الكريم، والمقرون علمهم بالتأويل بعلمه جل شأنه، وقد أوتوا العلم وأثبت في صدورهم.

## المطلب الثاني

### الإمام علي عليه السلام خازن علم الله عليه السلام وخازن علم رسوله صلى الله عليه وآله

من الواضح أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يسبق عصره فيما أبداه من العلم فحسب؛ بل فاق ذلك حتى وصل سبقه إلى عصرنا وسيبقى سابقاً إلى ما شاء الله تعالى، إذا ما أتضح ما انماز به علي بن أبي طالب عليه السلام من مكانة علمية متفردة في أصناف العلوم، فلا غرو في أن يكون كلامه سابقاً لما توصل إليه العلم مؤخرًا، فما ورد في الأثر نزرٌ مما أظهره من علمه - بحسب ما تقتضيه الظروف آنذاك - فقد برع أمير المؤمنين عليه السلام بتفوقه بالمرتبة العليا في العلوم، سواء كانت علوم دينية أم دنيوية، نحو الرياضيات؛ والكيمياء كما ذكر له وصف الذرة، وعلوم اللغة كالنحو والبلاغة، فعنه أخذ أبو الأسود الدؤلي أصول علم النحو العربي.

وقد اختصَّ أمير المؤمنين عليه السلام بأنه خازن علم الله عليه السلام وعلم رسوله؛ بوصفه الإمام من بعد النبي باختيار الله تعالى له، فكانت وراثته العلم بتخطيط إلهي، فعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: ((سمعتَه يقول فلماً قضى محمد صلى الله عليه وآله نبوته واستكملت أيامه، أوحى الله إليه: يا محمد قد قضيت نبوتك واستكملت أيامك، فاجعل العلم الذي عندك والإيمان والاسم الأكبر وميراث العلم وأثار

النبوة في أهل بيتك، عند علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنني لم أقطع علم النبوة من العقب من ذريتك كما لم أقطعها من بيوتات الأنبياء))<sup>(١)</sup>.

وكثيرة هي الآيات القرآنية التي نزلت في حق أهل البيت عليهم السلام عامة، وفي أمير المؤمنين عليه السلام خاصة، وهي تُتلى على المنابر والمنائر آناء الليل وأطراف النهار، منها آية التطهير وآية المباهلة وآية المودة، وآية إكمال الدين وغيرها، ونريد أن نثقل في الحديث عن تفسير هذه الآيات وأسباب نزولها الواردة في كتب عامة المسلمين فضلاً على خاصتهم.

وقد وردت في حق أمير المؤمنين عليه السلام أحاديث كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تثبت فضله ومنزلته وتشيد بمواقفه وجهاده، وقد وثقت تلك الأحاديث جملة من المصادر الحديثية لعلماء المسلمين -عامتهم وخاصتهم- والبحث سيطوي كشحاً عن ذكرها، ويكتفي بذكر بعض المصاديق المثبتة لعلم أمير المؤمنين عليه السلام الموضحة لمكانته العلمية وتمييز منظومته المعرفية من غيرها. من تلك الأحاديث الحديث الوارد بطرق معتبرة لدى عامة المسلمين وخاصتهم، وهو حديث (باب العلم)، فقد روى هذا الحديث الشريف علماء المسلمين على اختلاف مشاربهم العقديّة والفقهية، ومنهم الحاكم النيسابوري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها))<sup>(٢)</sup>.

وتتضح دلالة الحديث على حصر طريق الولوج إلى علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يتعلق بمسائل الدين العقديّة والفقهية والأخلاقية، وما يتعلق بمسائل الدنيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، حصرها بأمر المؤمنين عليهم السلام، وضرورة أخذ العلم منه حصراً من دون قيد أو شرط؛ لأن علمه حتماً هو ما يتطابق مع المراد الجدّي الذي يريده الله جلّ وعلا، وإضفاء صبغة

(١) الكافي، الكليني: ٢٩٣/١.

(٢) الخصال، الصدوق: ٥٧٤.

العصمة على تلك العلوم وصياتها من الخطأ والاشتباه، وفي هذا الحديث دلالة على أن أمير المؤمنين ﷺ يمتلك الأسس المعرفية للعلوم الإنسانية، وما يتوصل إليه الإنسان بمرور الأزمان وتطور عقله، وبهذه الأسس فإنه بإمكانه أن يوجد العلوم ويكشف عن الحقائق مما لم يسبقه إليها.

ومما لا شك فيه ((أن المقصود أنه ﷺ هو المنبع الذي تفيض عنه العلوم الإسلامية والأسرار الحكيمية التي اشتمل عليها القرآن الحكيم والسنة الكريمة، وهو مصدرها والمحيط بها؛ لأن شأن المدينة بما تحتوي عليه كذلك، وأن علياً ﷺ هو المفرع لتلك الأسرار والمهتدي لتفاصيل جملها وأحكامها الكلية بحسب ما له من كمال الحدس وقوة الاستعداد، بحيث تصير تلك الأسرار سهلة التناول قريبة المأخذ بسائر الخلق؛ لأن الباب هو الجهة التي منها ينتفع الخلق من المدينة، ويمكنهم تناول ما أرادوه منها))<sup>(١)</sup>.

ومن الأخبار الواردة في كتب الخاصة الدالة على أن أمير المؤمنين ﷺ تلقى من النبي ﷺ طوال حياته علوماً كثيرة ما ورد عن الإمام الباقر ﷺ أنه قال: ((سئل علي ﷺ عن علم النبي ﷺ فقال: علم النبي علم جميع النبيين، وعلم ما كان وما يكون إلى قيام الساعة، ثم قال: والذي نفسي بيده إنني لأعلم علم النبي ﷺ، وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة))<sup>(٢)</sup>.

وكذلك ما ورد عن الإمام الصادق ﷺ قوله: ((إن الله تعالى علم رسول الله ﷺ))<sup>(٣)</sup>.

(١) شرح نهج البلاغة، البحراني: ٧٧ / ١.

(٢) بصائر الدرجات: ١٣١.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٠.

## المطلب الثالث: علم الإمام علي عليه السلام بالقرآن الكريم خاصة

ولسعة علم أمير المؤمنين عليه السلام، ولعلمه بكثير من الحقائق والأمر مما حدث في غابر الزمان وما يحدث في حاضره ومستقبله، ولأنه ملهم ومحدث كان عليه السلام يُصرِّح ويقول: ((سلوني قبل أن تفقدوني، ولن تسألوا بعدي مثلي))<sup>(١)</sup>، ولم تكن منزلته مقتصرة على معرفته بالعلوم القرآنية والعلوم النبوية فحسب؛ بل كان من مصادر منظومته المعرفية أنه كان مُحَدِّثًا ومُلهِمًا بالعلم والعمل، وهذا ما أكدته جملة من الروايات الواردة عن بيت العصمة، ومنها ما ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام وغيره<sup>(٢)</sup>.

وهذا لا يعني أن أهل البيت عليهم السلام يعلمون الغيب بمعزلٍ عن الله تعالى، حاشا وكلاً؛ بل علم الغيب منحصرٌ بالله تعالى؛ ولكن لا ضير أن يُطلع الله تعالى بعض من خصَّهم بكرامته على علم الغيب من دون العلم الذي استأثر الله به لنفسه، فيكون ذلك تعلمٌ من ذي علم، وهو ما نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى:

**﴿عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا \* إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾** [الجن: ٢٦-٢٧]، فالملاحظ أن ((المعنى في الآية الأولى: أن الله وحده هو عالم كل غيبٍ يختصُّ به، فلا يُطلع على الغيب - وهو مختصُّ به - أحد من الناس، والمفاد في هذا هو السلب الكلي، أي لا يُظهر على كل غيبه أحد، وفي الآية الثانية في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ استثناء من قوله: (أحدًا) في الآية الأولى، و﴿مَنِ ارْتَضَىٰ﴾ بيان لقوله: ﴿مَنِ ارْتَضَىٰ﴾، فيفيد أن الله تعالى يظهر رسله على ما يشاء من الغيب المختص به))<sup>(٣)</sup>.

وهذا ليس من قبيل الوحي الرسالي الذي يختصُّ به الأنبياء عليهم السلام؛ ولكنه يتأتى بوسائط تحدَّث عنها الإمام، كالقذف في القلوب والنقر في الأسماع،

(١) ينظر: المستدرک علی الصحیحین: ٣٨٣/٢.

(٢) ينظر: الكافي: ٢٦٩/١.

(٣) موسوعة أهل البيت عليهم السلام، الإمام جعفر الصادق عليه السلام: ٢٦٠-٢٦١.

والإلهام اليقيني الخالص، فقد ورد عن علي بن يقطين قال: ((قلت لأبي الحسن موسى ﷺ: عِلْمُ عَالِمِكُمْ سَمَاعٌ أَمْ إلهَامٌ؟ فقال: قد يكون سماعاً ويكون إلهاماً ويكونان معاً))<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام علي أمير المؤمنين ﷺ قد عرض لمسألة علم الغيب، وأبلغ في الردّ على من نسب إليه علم الغيب أصالةً، فقال: ((ليس هو بعلم غيب، وإنما تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب: علم الساعة وما عدده الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، وما سوى ذلك، فعلم علمه الله نبيّه فعلمنيّه، ودعالي بأن يعيه صدري، وتنظّم عليه جوانحي))<sup>(٢)</sup>.

من هنا نلاحظ أنّ ما ((تحدّث عنه الإمام علي ﷺ من أنباء الغيب، وكذلك الأئمة المعصومون من بعده ليس من علم الغيب اختصاصاً؛ ولكنّه من علم الغيب إفاضةً، وشتان بين الاختصاص والإفاضة، فعلم الغيب بحد ذاته ممّا يختصّ به الله وحده فهو كصفة ذاتية لله ﷻ، وغيره يعدّ حالة استثنائية ممكنة، يختصّ بها الله من يشاء من عباده، وعلم الغيب بالملحظ الأوّل عبارة عن رصد حقائق الأشياء في الغيب المجهول تلقائياً، والتحدّث عنها بلغة قاطعة فوق المنظور الاعتياديّ، باعتبارها واقعة حقيقية دون شك، وهذا ما يختصّ به الله وحده؛ ولكن الله ﷻ قد أخبر نبيّه بجزء من علم الغيب فيما مضى ومستقبلياً، كما ورد ذلك في القرآن العظيم، وأخبر بها الناس كالحديث عن خلق آدم ﷺ، وسجود الملائكة له إلا إبليس، وقتل قابيل هايل، وقصة نوح ﷺ والطوفان، وحديث إبراهيم ﷺ وقومه وإلقائه في النار، والأصنام، والكواكب، والهجرة، وبناء البيت، وضيء إبراهيم المكرمين، ونبأ عاد وثمود، وأهل الكهف، وذو

(١) الاختصاص، الشيخ المفيد: ٢٨٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، محمد عبده: ٢٣٩.

القرنين، وقصص موسى وفرعون، وحياة عيسى وموسى وسليمان وداود وأيوب ويعقوب ويوسف والأنبياء الآخرين ممن سلفوا، وتحدث القرآن عنهم غيباً<sup>(١)</sup>.

وكان علي بن أبي طالب عليه السلام عالماً حقيقة العلم بآيات القرآن الكريم، وهو الذي أخبر النبي صلى الله عليه وآله عنه أنه يقاتل على تأويل القرآن الكريم كما قاتل النبي على تنزيله، فعن أبي سعيد قال: ((كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فانقطعت نعله، فتخلف علي يخصفها، فمشى قليلاً ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فاستشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر، قال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا، قال: عمر أنا هو؟ قال: لا، ولكن خاصف النعل، يعني علياً، فأثناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله))<sup>(٢)</sup>، فدلّت هذه الرواية على أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان عالماً تمام العلم بعلوم الكتاب المجيد وعارفاً معرفة تامّة بتأويله، إذا لو لم يكن كذلك فلا يصحّ أن يقال عنه أنه يقاتل على تأويل القرآن.

وقد ذكر السيوطي أن الإمام علياً عليه السلام قام، فقال: ((ألا أحد يسألني عن القرآن، فوالله لو أعلم اليوم أحداً أعلم به مني، وإن كان من وراء البحور لأتيته، فقام عبد الله بن الكواء فقال: من **الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا**) [إبراهيم: ٢٨] قال: هم مشركو قريش أنتهم نعمّة الله الإيمان فبدّلوا قومهم دار البوار))<sup>(٣)</sup>.

وكان للإمام علي عليه السلام أثره المميز في بيان كتاب الله تعالى، فيذكر الماتريدي دوره في التفسير فيقول: ((الرواية عن علي بن أبي طالب كثيرة، وذلك راجع إلى أمور، أبرزها: الأوّل: تأخرت وفاته عن الخلفاء السابقين، فقد كانت وفاته (رضي الله عنه) عام ٤٠ من هجرة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - الثاني: وجد في زمن كثرت فيه حاجة الناس إلى التفسير؛ وذلك لتساع رقعة الإسلام، ودخول

(١) موسوعة أهل البيت عليهم السلام، الإمام محمد الجواد عليه السلام: ١٢٠-١٢١.

(٢) المستدرک علی الصحیحین: ٣/١٣٢، رواية رقم: ٤٦٢١.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٤٢/٥.

الأعاجم فيه حتى كادت تذوب بهم خصائص العروبة، ونشأ جيل من أبناء الصحابة كان في حاجة إلى علم الصحابة، الثالث: فهم علي (رضي الله عنه) العميق للقرآن، وخصوبة فكره، وغزارة علمه، فكان أهلاً لأن يحمل عنه، ويدل على هذا ما روى معمر عن وهب بن عبد الله عن أبي الطفيل، قال: شهدت علياً يخطب وهو يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار؟ أفي سهل أم في جبل))<sup>(١)</sup>.

وكثيرة هي الروايات والأحاديث والخطب المتحدثة عن علم أمير المؤمنين ﷺ وإثبات قصب السبق له في أكثر من علم مستحدث، فيسأل (صلوات الله وسلامه عليه) عن أمور علمية دقيقة فتكون لإجاباتها صفة غيبية برؤية مستقبلية، ثم بعد ذلك يأتي العلم الحديث يثبتها ويقرها على ما أخبر به سلام الله عليه تماماً.

كما في الرواية التي يسئل فيها سائل عن أمور غيبية منها سؤاله ((عن أول ما خلق الله تعالى؟ فقال ﷺ: خلق النور، قال: فمم خلق السموات؟ قال ﷺ: من بخار الماء، قال: فمم خلق الأرض؟ قال ﷺ: من زبد الماء، قال: فمم خلق الجبال؟ قال: من الأمواج))<sup>(٢)</sup>. وهكذا يتبين بعد مضي قرون عدة أن هذه حقائق علمية ثبتت بالدليل والبرهان والتجربة الحسية غالباً، فتدل على أن الله جلّ وعلا قد أكرم هذا الإنسان العظيم، فكما اشتق اسمه من اسمه، فقد وهبه علماً من علمه؛ ممّا أهله بأن يتكلم بما لا يستطيع أحد أن يتكلم بكلام مثله، وأن تكون خصائص أسلوب كلامه تقترب إلى حد كبير من أسلوب كتاب الله تعالى، في مسيرته للعصور وفهم المعاصرين له فيها.

(١) تأويلات أهل السنة: ٢٩١ / ١.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ، الصدوق: ٢١٨ / ١.

## المبحث الثاني

الإجراءات التطبيقية لبيان مظاهر الإعجاز العلمي في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

المطلب الأول: الإعجاز العلمي ومجالاته في كلام أمير المؤمنين عليه السلام

على الرغم من أن القرآن الكريم جاء دستوراً للبشرية، ووظيفته الأساس تزكية الإنسان وإرساء الأسس العقلية، بحيث عمل بنجاح لأن يترفع العقل على عرش التفكير الإنساني، وعلى الرغم من أن المحور الحقيقي الذي يهدف إليه القرآن هو السعادة الأخروية، وعلى الرغم من أنه نزل في عصر يجهل فيه الإنسان كثيراً عن الطبيعة وعلومها، فإنه تكلم بلغة العلم في أوج تطورها وفي قمة مراحلها، قبل الكشف عن كثير من العلوم والفنون، ومن إعجاز القرآن الكريم تحدّثه بلغة العلم أنه يستعمل كلمات وأساليب لم تعد غريبة لأذواق معاصريه عند نزوله ولا مستنكرة نسبة لمعارفهم، وفي الوقت نفسه فهمها جيل عصر الكشوفات العلمية، كلُّ جيل بما يتلاءم والشوط العلمي الذي ارتقى إليه، وهذا اللون من الإعجاز القرآني يواكب الآيات العلمية التي تتحدّث عن الطبيعة وأسرارها<sup>(١)</sup>، فقد كان ((العلماء ولا يزالون يعنون بالآيات الكونية عناية فائقة، فينظرون في الكون، ويكشفون أسرارها، ويوجّهون الأبصار والأفكار إلى عجائبه، وقد عنى العلماء في العصر الحاضر بهذا الأمر عناية كبيرة أيضاً، وقد ساعدهم على هذا التقدم العلمي الكبير الذي حقّقه البشر في هذا العصر؛ إذ غاصوا في أعماق البحار، وسبحوا في أجواء الفضاء، وعرفوا تركيب الذرّة والخليّة، وراقبوا الحيوان والنبات، وعرفوا طبائع الخلق، وأسرار الكون، وقد ألفت في هذا مؤلّفات كثيرة، منها كتاب (العلم يدعو إلى الإيمان) ل: أكرستي موريسون، ومؤلفه من أعظم العلماء الغربيين الأمريكيين، وكتاب (الله يتجلّى في

(١) ظ: النجدي، حميد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٥٤.

عصر العلم) لجون كلوفر مونس، وكتاب (الإنسان ذلك المجهول) لـ ألكسس كاريل<sup>(١)</sup>، وغيرها من كتب العلماء المتخصصين بفروع المعرفة عامة.

فسيقصر هذا المبحث على بيان بعض بمظاهر الإعجاز العلمي الوارد ذكرها في كلام أمير المؤمنين ﷺ، بوصفها النماذج التطبيقية للمنظومة المعرفية لدى أمير المؤمنين ﷺ الخاصة بهذا البحث، بناءً على ما أشار إليه القرآن الكريم وما يتعلق بمجموعة العلوم التي يمكن أن يصل إليها الإنسان، ويتمكن في توظيفها لبيان معجزة القرآن الكريم العلمية الحقة؛ إذ تنقسم على قسمين من الآيات، وهما ما يُعبر عنهما بـ (الآيات الآفاقية والأنفسية) قال تعالى: ﴿سُنُرِيَهُمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، فلو تدبرنا في أنواع العلوم كلها ما خرجت في معانيها من قوله تعالى: ﴿فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾، فالآفاق الكونية الخارجة عن ذات الإنسان، والآفاق الأنفسية الداخلة في ذاته كفيلا بتمظهر الحق بواسطتهما، ((وقد استخرج بعض علمائنا من القرآن ما يشير إلى مستحدثات الاختراع، وما يحقق بعض غوامض العلوم الطبيعية، وبسطوا كل ذلك بسطاً ليس هو من غرضنا فنستقصي فيه، على أن هذا ومثله إنما يكون فيه إشارة ولمحة، ولعل متحققاً بهذه العلوم الحديثة لو تدبر القرآن، وأحكم النظر فيه، وكان بحيث لا تعوزه أداة الفهم، ولا يلتوي عليه أمر لاستخرج منه إشارات كثيرة تومئ إلى حقائق العلوم، وإن لم تبسط من أنبائها وتدل عليها، ولم تسمها بأسمائها))<sup>(٢)</sup>.

ومن تلك الاشارات العلمية نتج ما يُسمى في الوقت الحاضر بالإعجاز العلمي، ومفهومه: إخبار القرآن الكريم أو السنة النبوية بحقيقة أثبتتها العلم التجريبي، وثبت عدم إمكان إدراكها بالوسائل البشرية في زمن النبي ﷺ<sup>(٣)</sup>،

(١) الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة: ١٠٥.

(٢) الرفاعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: ١٤٢.

(٣) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٥٢.

فهو إيجاد الموافقة بين المكتشفات الحديثة وما أشار إليه القرآن الكريم إجمالاً ومعرفة نسبة المطابقة بينهما.

ولا يخفى على المطلع ما للقرآن الكريم من شمولٍ علميٍّ للمجالات المعرفية لدى الإنسان، ممَّا له علاقة في مظاهر الإعجاز العلمي، فيمكن تلخيص هذه المجالات الإعجازية التي تضمَّنها القرآن الكريم بالآتي<sup>(١)</sup>:

أولاً - نشأة الكون: يشمل ما ذكره القرآن الكريم من حقائق علمية عالية المضامين حول كيفية نشأة هذا الكون الفسيح، وإقرار حقيقة نهايته في يوم من الأيام. ثانياً - عالم الفلك: ويتضمَّن الفضاء الواسع، وما فيه من نجوم وكواكب وشمس وقمر وغيرها.

ثالثاً - عالم الأرض: ويشمل كروية الأرض وتذليلها وتسخيرها للإنسان، وإلى ما حوته من جبال وبحار وأنهار وماء هواء ومكوّنات في باطنها.

رابعاً - عالم النبات والحيوان: ويضمُّ ذكر الأنعام في القرآن الكريم وكيفية إفادة الإنسان منها، وذكر بعض أنواع الطيور والحشرات والأحياء البحرية، وكيفية إنبات الأزواج.

خامساً - عالم الإنسان: ويحوي ما يتعلّق بالإنسان منذ بداية خلقه وتسويته وتصويره بحواسه وحركته وفعله وحياته ومماته وما بعدها، واهتمَّ كذلك بالجانب النفسي للإنسان، وما بيّنه من حقائق علمية نفسية متعدّدة.

ولتوضيح فرضيات هذا المبحث لا بدّ من تحليل بعض الأمثلة التطبيقية بإيجاز تكون ضمن مجالات الإعجاز العلميّ أنفة الذكر، ومن هنا يمكن تقسيم هذا المبحث على مطالب، تتوزع ما بين القسم الأوّل من الآيات وهي الآيات الآفاقية،

(١) ينظر: إعجاز القرآن البياني ودلائل مصدره البياني: ٣٩٩.

والقسم الثاني وهي الآيات الأنفسية التي حظيت بالحديث من أمير المؤمنين ﷺ في بيان إعجازها العلمي، وهذه التطبيقات الإجرائية جاءت للتدليل على فرضية البحث فحسب وعلى سبيل المثال لا الحصر، طلباً للاختصار وتماشياً مع ما يتناسب مع حجم البحث.

فلا يمكن لبحث - بهذا الحجم - أن يستوفي جميع ما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ في مجال ما يتعلق بمظاهر الإعجاز العلمي للقرآن الكريم، وأن أمير المؤمنين ﷺ - ولقاصريته معاصريه ومقصرتهم - لم يتمكن من نشر كل العلوم في عصره ومدارستها، ولم يتحدث بجميع ما عنده من العلم؛ لعدم أهلية المتلقي ومحدوديتها آنذاك، يقول ﷺ عن عظيم علمه الذي لا يستطيع البوح به كله لأولئك القوم الذين لا يملكون أدوات الفهم الكافية لاستيعابه؛ بل في حال البوح به لهم قد يؤدي إلى اضطرابهم وشكهم وتحلل الإيمان في نفوسهم: ((بل اندمجت على مكنون علم، لو بحثت به لاضطربتم اضطراب الأرشية في الطوي البعيدة))<sup>(١)</sup>، أي: كاضطراب حبال الدلو في الآبار العميقة، وقوله: ((لو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذا لخرجتم إلى الصعدات))<sup>(٢)</sup>. ولما رأوا من تفجر العلوم من جوانبه، وإخباره بما لم يكونوا يتوقعونه على مستوى التصور، حسب بعضهم أنه ﷺ يعلم الغيب، فقد ورد أنه ((قال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب، فضحك ﷺ وقال للرجل وكان كلبياً: يا أخا كلب، ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلم من ذي علم، وإنما علم الغيب: علم الساعة، وما عدده الله سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤]، فيعلم الله سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، وشقي أو سعيد، ومن يكون في النار حطباً، أو في الجنان

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٥.

(٢) م. ن: ١١٤.

للتَّبَيُّنِ مرافقاً، فهذا علم الغيب الَّذِي لا يعلمه أحدٌ إِلَّا اللهُ، وما سوى ذلك فعلمٌ  
علمه اللهُ نبيّه، فعلمنيّه، ودعا لي بأن يعيه صدري، وتضطّم عليه جوانحي))<sup>(١)</sup>.

فكان ﷺ قد نَخَطَى حدود الزّمان وتغلّب على المحيط العلميّ آنذاك، واستطاع  
أن يُشبع نهم الطالب للحقيقة في ذلك العصر على قدر وسعه وتحمّله لتقبلها، وما  
يتناسب مع إمكانيّته المعرفيّة من دون أن تكون وبالاً عليه، ولا يتحمّل ما ليس  
بوسعه تحمّله، ومن يطلّع على علمه ﷺ - وإن لم يعرفه إماماً مُنصّباً من قبل الله  
تعالى فيؤمّن به - لا يشكّ ولا يتردّد في أن يصنّفه على رأس قائمة عباقرة الأمم  
والحضارات في كلّ العصور وأنّه أنبغ النوابغ؛ لأنّه استطاع أن يُنير الإنسانيّة  
بعلومه، وأن يُفيد منه مَنْ هو باحثٌ عن الحقيقة بصدقٍ، أيّاً كانت عقيدته، سواء  
أكان معاصراً له أم من يأتي من بعده.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ١٢٦.

## المطلب الثاني

كلام أمير المؤمنين ﷺ وأثره في بيان الإعجاز العلمي لكيفية خلق الكون

بين القرآن الكريم الكيفية العملية لبدء خلق السموات والأرض، ثم ما تؤول إليه في يوم من الأيام، عبر عدد من الآيات القرآنية، منها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ومنها كذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

فهذه الآيات الكريمة وغيرها التي وردت في سور متفرقة بمجموعها تشكل موضوعاً واحداً، يتركز حول كيفية بدء خلق السموات والأرض، وهي تمثل حقائق علمية لم يتوصل إليها العلم إلا حديثاً، فهي تُخبر أن هذا الكون الذي نحيا فيه إذا تمت العودة إلى الوراء من الزمن، فلا بد أن يتكدس على هيئة جرم واحد وهو مرحلة (الرتق)، وهذا يعني أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين في البدء على شكل جرم واحد، ومن ثم فإن هذا الجرم الابتدائي حدث فيه عملية انفجار ياذن الله، وهي تمثل مرحلة (الفتق)، وهذا الانفجار أدى تحوله إلى سحابة من دخان (مرحلة الدخان)، وهذا الدخان هو الذي خلقت منه السموات والأرض (مرحلة الإتيان)، وأن هذا الكون منذ اللحظة التي انفجر فيها ظل في توسع مستمر، وهذا التوسع لا بد له من التوقف في يوم من الأيام، وهذا اليوم لا يعلمه إلا الله، ولا يتم إلا بأمره تعالى، وأن هذا التوقف سيؤدي إلى انطواء الكون على نفسه، والتكدس في جرم واحد كهيئة الجرم الابتدائي الأول، الذي بدأ خلق السموات والأرض منه، وبهذه العملية ستتكرر عملية الانفجار، والتحول إلى الدخان الأول، وبهذا تنتهي رحلة الحياة الدنيا وتبدأ الآخرة، وهذه الآيات الكريمة السابقة أعطت إشارات علمية عامة حول مراحل الخلق والفناء والبعث

من دون الدخول في التفاصيل، وقد أثبتت الدراسات العلميّة في أواخر القرن العشرين أنّ بداية الكون كانت على النحو الذي ذكر في الآيات السابقة، وبذلك يكون القرآن الكريم قد جاء بسبق علميٍّ في هذا المجال قبل البشر بقرون<sup>(١)</sup>.

وفي تلك القرون التي تسمّى بعصر النزول جاء أمير المؤمنين عليه السلام على بيان عمليّة نشوء الكون في كلامه وخطبه، بما مُنح من لدن الله سبحانه وتعالى من علم استطاع بوساطته أن يشفي غليل كلِّ من أراد المعرفة الحقيقيّة، وكان ذلك التفصيل على مستويات مختلفة، كلُّ بحسب علمه وثقافته وعصره، من دون أن يحمّل أذهان المتلقّين ما لا تحمل من العلوم، وبما يحقّق الهدف المرجوّ من تدبُّر القرآن الكريم المأمور به الإنسان المكلف.

فيقول الإمام علي عليه السلام عن بداية نشأة الكون التي أشار إليها القرآن الكريم: ((ثمَّ أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشقّ الأرجاء، وسكّك الهواء، فأجرى فيها ماء متلاطماً تياره، متراكماً زخّاره، حمله على متن الرّيح العاصفة، والزّرع القاصفة، فأمرها برده وسلّطها على شدّه، وقرنها إلى حدّه، الهواء من تحتها فتيق، والماء من فوقها دفيق، ثمَّ أنشأ سبحانه ريحاً أعتقم مهبّها، وأدام مرّبها، وأعصف مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزّخّار، وإثارة موج البحار، فمخّضته مخض السّقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء، تردّ أوّله إلى آخره، وساجيه إلى مائره، حتّى عبّ عبابه، ورمى بالزّبد ركامه، فرفعه في هواء منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبع سماوات، جعل سفلاهنّ موجاً مكفوفاً، وعليهنّ سقفاً محفوظاً، وسمكاً مرفوعاً، بغير عمدٍ يدعمها، ولا دسارٍ ينظمها، ثمَّ زيّنها بزينة الكواكب، وضياء الثّواقب، وأجرى فيها سراجاً مستطيراً، وقمرًا منيراً في فلكٍ دائر، وسقفٍ سائر، ورقمٍ مائر))<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: من آيات الإعجاز العلمي السماء في القرآن: ٨٢ - ٨٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة: ١.

فكلام الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن خلق الكون في مواضع عدّة من نهج البلاغة، يتلخّص بنظريّة كليّة - التي لم يتوصّل العلم الحديث إلى معرفتها كل جوانبها بعد - تتمثّل بالآتي<sup>(١)</sup>: إنّ أوّل الخلق كان للفضاء الذي فتقه الله من العدم، وشقّ فيه النواحي والأرجاء وطرق الهواء، ثمّ خلق سبحانه في هذا الفضاء سائلاً كثيفاً متلاطماً، من نوع خاصّ، والمقصود بالماء هنا، الجوهر السائل الذي هو أصل كلّ الأجسام، ثمّ سلّط عليه ريحاً قويّة عاصفة حتّى ارتفع فخلق منه الأجرام العُليا، بعد أن تلمّته إلى بعضه، وتحجزه عن الانتشار والاندثار، ثمّ خلق سبحانه ريحاً عقيمة من نوع آخر، سلّطها على ذلك السائل من جهة واحدة، فبدأت بتصفيقه وإثارته، حتّى مخضته مخض السّقاء، وبعثته في أنحاء الفضاء كالدخان، ومن الغاز الناتج (وهو الهدروجين على ما يظنّ) خلق الله السماوات والنجوم والكواكب، وما زالت الفراغات بين عناصر المجرّات مليئة بهذا الغاز، وقد تمّ تشكّل النجوم من هذا الغاز بتجمّع دقائقه في مراكز معيّنة مشكّلة أجراماً، وذلك من طريق دورانها حول هذه المراكز، وبتبرّد هذا الغاز وتحوّله إلى عناصر أكثر تعقيداً تحوّلت الغازات إلى سوائل كما في الشمس، ثمّ تحوّلت السوائل إلى جسم صلب كما في الأرض والكواكب السّيارة.

فيتحدّث أمير المؤمنين عليه السلام عن كيفية خلق السّماء بقوله: ((ونادها بعد إذ هي دخان، فالتحمت عرى أشراجها، وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها، وأقام رصداً من الشّهب الثّواقب على نقابها، وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده، وأمرها أن تقف مستسلمة لأمره))<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما عليه العلم الحديث اليوم، إذ ((يتصوّر علماء الفلك اليوم أنّ أوّل نشوء الكون كان نتيجة انفجار كبير شاع منه دخان مؤلّف من دقائق ناعمة،

(١) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: ٧٧٧ - ٧٨٨ .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٨٩

وساد عندها في الكون سكون وظلام دامس، ثم بدأت الذرّات تتجمّع في مناطق معيّنة مشكّلة أجراماً، ما لبثت أن بدأت فيها التفاعلات النوويّة، التي جعلت هذه الأجرام نجوماً مضيئة، وفي قول الإمام (فالتحمت عرى أشراجها)، تشبيهه لنجوم المجرّة بالحلقات المرتبطة ببعضها بوشاج الجاذبيّة والتأثير المتبادل، وبعد نشوء النجوم الملتهبة الدائرة بدأت تقذف بالحمم التي شكّلت الكواكب السيارة كالأرض وغيرها، وهو ما عبّر عنه الإمام عليه السلام بالفتق بعد الارتاق))<sup>(١)</sup>.

ويأتي العلماء في العصر الحاضر بعد علي بن أبي طالب عليه السلام بقرون؛ ليحتفلوا بما استنتجوا وما توصّلوا إليه، وما أدركوا من حقائق علميّة ساعدتهم في تحصيلها تكامل الخبرات البشريّة السّابقة وما تممّته الخبرات اللاحقة؛ ليصوا إلى ما وصلوا إليه، في حين أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان قد سبقهم في إجمال القول في تلك الحقائق العلميّة؛ لأنّه منار العلم ومنبع فيوضات العلوم الإلهيّة.

### المطلب الثالث

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلميّ لخلق السّماوات ورفعها يشير القرآن الكريم إلى أنّ السّماوات مرفوعة من دون عمدٍ مرئيّة، قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢]، وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان: ١٠].

إنّ قوله (ترونها) وصف ل(عمد) وهي جمع عمود، والضمير في (ترونها) يرجع إلى الأقرب الذي هو (عمد) لا إلى السّماوات التي هي أبعد، ومعنى الآية أنّه سبحانه رفع السّماوات من دون أعمدة مرئيّة، وهو لا ينفي العمود بتاتاً، وإنّما ينفي العمود المرئيّ، ولازم ذلك وجود العمد في رفع السّماوات من دون أن يراها البشر، ورفع صرح هذا البناء الشامخ من دون الاستعانة بدعائم

(١) تصنيف نهج البلاغة: ٧٧٩.

مرئية يكشف عن تناغم دقيق في عالم الخلقة، ولولاه لتداعت أركان العالم وانهارت، وهذا النظام الرائع تقاسمته قوتًا الجاذبية والطاردة (النابذة)، وفي ظلّ التعادل القائم بينهما انتظمت حركة النجوم والكواكب والمجرات في مساراتها، فالجاذبية قانون عام جارٍ على جميع الأجسام في هذا العالم، وهي تتناسب عكسيًا مع الحدّ الفاصل بين الجسمين، إذ تتعاضم كلما تضاءلت المسافة، وتتضاءل كلما ازدادت الفاصلة، فلو دارت رحى النظام الكونيّ الدقيق على قوّة الجاذبية فقط لارتطمت الكواكب والنجوم بعضها مع بعض ولتداعى النظام السائد؛ ولكن في ظلّ قانون الطرد يحصل التعادل المطلوب، وقوّة الطرد تلك تنشأ من الحركة الدورانية للأجسام، ومهما يكن من أمر ففي ظلّ هاتين القوتين تبقى الملايين من المنظومات الشمسية والمجرات معلقة في الفضاء من دون عمد، وتحول من دون سقوطها أو ارتطامها أو ابتعادها أو فنائها<sup>(١)</sup>. وهذا هو المعنى الذي أشار إليه أمير المؤمنين ﷺ بقوله: ((هذه النجوم التي في السماء مدائن مثل المدائن التي في الأرض، مربوطة كلّ مدينة إلى عمودين من نور))<sup>(٢)</sup>.

وما أروع هذا التعبير الذي لا يستوحشه إنسان ذلك العصر وينطبق تمامًا مع مكتشفات العصر الحديث، فالجاذبية نوع من أنواع الطاقة والنور أيضًا نوع من أنواع الطاقة، ثم إنّ الامام ﷺ يكشف حقيقة هذه الأعمدة غير المرئية بما لا يدع مجالاً للشكّ في أنّها هي المقصودة في قوله تعالى: ﴿بَغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾، ويجعل أمير المؤمنين ﷺ عظمة رفع السّموات بغير عمدٍ مرئية من لوازم معرفة عظمة الخالق ﷻ، فيقول: ((فمن شواهد خلقه خلق السّموات موطّات بلا عمد، قائمات بلا سند))<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر: مفاهيم القرآن: ٢٣/١٠.

(٢) ينظر: مجمع البحرين: مادة كوكب.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٠.

وهذه إشارة علمية من القرآن الكريم في بيان ماهية هذه الأعمدة الرافعة للسموات من أنها غير مرتبة؛ ولكن هذه الحقيقة العلمية لم يكن بالإمكان التذليل عليها إلى وقت متأخر، حتى جاء العلم الحديث وما يحمله من تقدم فأثبت ذلك باليقين القاطع، وأمير المؤمنين عليه السلام وظف منظومته المعرفية في كلامه باستعمال التعبير المناسب لبيان هذه الحقيقة العلمية المكتشفة حديثاً، وبما يمكن لمتلقي هذا الكلام وقت صدوره أن يفهم المراد، ويستعين به على فهم الآيات القرآنية، بما يأنس ذهنه ويألفه حسه؛ لأنه يُدرك أنَّ الأشياء المرتفعة عن الأرض لا بدَّ أن تستند إلى مستند يقتضي رفعها، وبما أنَّ السموات بنجومها وشمسها وقمرها مرتفعة عن الأرض، فلا بدَّ لها من مستند، وهذا المستند هو ما عبر عنه أمير المؤمنين عليه السلام أنه عمود من نور.

### المطلب الرابع

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلمي في كيفية خلق الجبال ودورها الحياتي على الأرض

تحدّث القرآن الكريم في مجموعة من آياته عن طبيعة خلق الأرض وبسطها وما تضمّنته من جبالٍ راسيات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا \* وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٦-٧].

وأشار القرآن الكريم إلى علة وجودها على سطح الأرض في التثبيت والاستقرار، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥] وكذلك أشار إلى عظمة تلك الجبال.

وعند اطلاعنا على ما جادت به الكتب العلمية عن الجبال نجد أنَّ الجبل وتد، ثلثاه مغروس في الأرض عبر طبقاتها المتعددة، وفي أثناء الدوران لا

تراح الطبقات المتباينة بعضها عن بعض بسبب أنَّ الجبل يربطها جميعاً، ولها علاقة بطقس الأرض، فتبدُّل الطقس والمناخ متعلِّق بالجبال، وبفتحاتها؛ لأنَّها مصدَّات للرياح، تصدِّها وتوقفها، والجبال تُمثِّل مستودعات للأشجار، وتُسهم في استقرار الأرض بعد أن عرفنا أنَّها كرة متحرِّكة، فهذه الكرة مع دورانها السريع لا بدَّ أن تضطرب، أمَّا إذا وزَّعت الجبال توزيعاً دقيقاً محكِّماً على سطحها فإنَّ هذا التوزُّع يودِّي إلى استقرارها مع دورانها، فلا تضطرب في أثناء الدوران السريع؛ إذ تقطع الأرض في الثانية الواحدة ثلاثين كيلومتراً، تدور حول نفسها بسرعة ألف وستمئة كيلو متر في الساعة، ومع ذلك تبني البناء فلا يتشقق، ولو أنَّها اضطربت بميزان الزلازل بأقلِّ وحدة لتهدَّمت الأبنية<sup>(١)</sup>.

وكلُّ ما تقدَّم وأمور أخرى - لا يسع المقام لذكرها - هي من مكتشفات العصر الحديث؛ لأنَّها جاءت على شكل إشارات كليَّة في القرآن الكريم، ولم يُفصِّل فيها، وفي الوقت نفسه نجد أنَّ أمير المؤمنين ﷺ سبق التقدُّم العلميَّ الحاصل اليوم، واستطاع أن يُفصِّل بعض الأمور الإجماليَّة لحقيقة الجبال وخلقها بما يتناسب مع تلك الحقبة الزمنيَّة، وهذه التفصيلات تحمل في طياتها إجمالاً آخرًا ينتظر الزمن أن يأتي على بيانه.

فعند حديثه سلام الله تعالى عليه عن الأرض يقول: ((جبل جلاميدها ونشوز متونها وأطوادها، فأرساها في مراسيها، وألزمها قرارتها فمضت رؤوسها في الهواء، ورسست أصولها في الماء، فأنهد جبالها عن سهولها، وأساخ قواعدها في متون أقطارها ومواضع أنصابها، فأشهب قلالها، وأطال أنشازها، وجعلها للأرض عماداً، وأرزها فيها أوتاداً، فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها أو تسبخ بحملها أو تزول عن مواضعها))<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٢ / ٦٢-٦٤.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ٢١١.

فيؤكد الإمام عليه السلام أَنَّ الله سبحانه حين خلق الجبال في الأرض، جعل لكلِّ جبلٍ منها جذراً في الأرض هو الوتد، ولهذا الوتد وظيفتان الأولى: أَنَّهُ يحفظ الجبل من التهافت والانزلاق، والثانية: أَن الوتد المغروس في أديم الأرض يمسك طبقات الأرض نفسها، بعضها ببعض، فيمنعها من الاضطراب والميّدان، تماماً كما نفعل عندما نمسك الصفائح المعدنيّة ببعضها من طريق غرس مسامير قويّة فيها، هذه وظيفة الجبال بالنسبة لاستقرار الأرض، أمّا وظيفتها بالنسبة إلى استقرار حياة الإنسان فوجود الجبال على الأرض يحافظ على التربة والصخور الموجودة على سطح الأرض من الزوال والانتقال، ويحفظها من تأثير الرياح العاصفة بها، فيتستنى بذلك إقامة حياة إنسانيّة رتيبة في الجبال والسهول والوديان، ولو كان سطح الأرض مستويّاً من دون جبالٍ لكان عرضة للتغيّر<sup>(١)</sup>.

وعندما يتحدث القرآن الكريم عن طبيعة الماء النابع من الجبل يسمّيه (فراً) كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَاخِحَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]، ويتكوّن هذا الماء بعد أن تتفجّر العيون في الجبال من لدن الينابيع لتشكّل الجداول والأنهار، فتمثّل -الجبال- مكان من الماء المجموع في الشتاء من الأمطار والثلوج، والمنبع المتدفّق منه الماء العذب البارد طوال الصيف، نجد أَنَّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام يُبيّن علاقة الجبال واقتنائها ببعض مفاصل الحياة.

فيقول عليه السلام: ((فلَمَّا سكن هيج الماء من تحت أكنافها، وحمل شواهد الجبال البَدْخ على أكنافها، فجَرَّ ينابيع العيون من عرائن أنوفها، وفرّقها في سهوب بيدها وأخايدها، وعدّل حركاتها بالرّاسيات من جلاميدها، وذوات الشّناخيب الشّم من صياخيدها، فسكنت من الميدان برسوب الجبال في قطع أديمها وتغلغلها، متسرّبة في جوبات خياشيمها، وركوبها أعناق سهول الأرضين وجراثيمها،

(١) ينظر: تصنيف نهج البلاغة: ٧٨٣.

وفسح بين الجوِّ وبينها، وأعدَّ الهواءَ متنسِّمًا لساكنها))<sup>(١)</sup>، أي: أخرج سبحانه الماءَ ينابيعٍ من أعالي الجبال، بعد أن تفجَّرت الينابيع اتَّخذ الماءَ سبيله في السهول والسواقي والأودية، وبذلك تعدَّلت حركة الأرض ودورانها بسرعة محدَّدة، وفي اتَّجاه معيَّن، وعلى نظام ثابت من يوم تكوَّنت إلى ما شاء الله، وللجبال الراسيات أثرها في هذا النظام، ولولاها لمادت الأرض بأهلها<sup>(٢)</sup>.

### المطلب الخامس:

## كلام أمير المؤمنين ﷺ وأثره في بيان الإعجاز العلميِّ لخلق الموجودات من الذرَّة

هناك إشارات قرآنيَّة لمسألة التركيب الذريِّ الذي ما اكتُشِفَ إلاَّ بالعصور المتأخِّرة عن عصر نزول القرآن الكريم، ومن هذه الإشارات ما ورد في قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]، ولدى قراءة هذه الآية بالمنطلقات الفكرية لما يسمَّى بالعلوم التطبيقية نجد أن ((علماء الذرَّة دُهِشوا من هذه الآية... علامَ تعود (كُلُّ)؟ هذه الآية تعود على كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ اللهُ ﷻ، فالمنبرُ مثلاً فيه ذرَّاتٌ، وفي الذرَّاتِ تروناتٌ تدورُ حولِ نفسها، ونظامُ الذرَّاتِ كنظامِ المجرَّاتِ، وكلُّ شيءٍ تقعُ عليه عينُك مُؤَلَّفٌ من جزيئات، والجُزْيُءُ مؤلَّفٌ من ذرَّاتٍ، والذرَّةُ مؤلَّفَةٌ من نواةٍ، ومن كهاربٍ لها مداراتٌ، ولها سرعةٌ ثابتةٌ، هذه الآية التي تشيرُ إلى الذرَّة، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾، أي: كلُّ شيءٍ خَلَقَهُ اللهُ: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾، ذرَّاتُ الصَّخْرِ، الحَجَرِ، الخَشَبِ، كأسُ الماءِ، لوحُ البَلُّورِ، الطاولةُ، كلُّ شيءٍ تقعُ عينُك عليه إنَّما هو جسمٌ مؤلَّفٌ من جزيئاتٍ، والجُزْيُءُ من ذرَّاتٍ، والذرَّةُ من نواةٍ؛ وكهاربٍ تدورُ حولِ النواةِ))<sup>(٣)</sup>.

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٩١.

(٢) ينظر: مغنية، في ظلال نهج البلاغة: ٣٣ / ٢.

(٣) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٢٢ / ٢.

ومن الآيات ذات الصلة بعلم الذرة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]، فقد جاء في بعض كتب التفسير المعاصرة ما يشير إلى معنى التركيب الذري؛ إذ ((يدلُّ ظاهر الآية على أنَّ الله سبحانه خلق في كلِّ جنس من الكائنات زوجين ذكرًا وأنثى، سواء أكان إنسانًا أم حيوانًا أو نباتًا أم جمادًا؛ لأنَّ كلمة (كلِّ شيء) تعمُّ الجميع، ولا ندري هل اكتشف العلماء هذه الحقيقة أو أنهم ما زالوا في طريق الوصول إليها؟ والذي قرأناه من أقوال العلماء في هذا الباب أنَّ ما من ذرَّة في الكون إلَّا وهي مؤلَّفة من كهيرب موجب وسالب، أي أنَّها تحتوي على عنصر يجذب وآخر يدفع، فهل تنطبق الآية على ذلك؟))<sup>(١)</sup>.

والآية الأخيرة آفة الذكر هي عين ما استشهد به أمير المؤمنين عليه السلام بعد حديثه عن قدرة الله ﷻ في التأليف بين أضداد الأشياء، وجاء في طيَّات حديثه بيان لتلك الآية إشارة إلى علم لم يولد إلَّا بعد قرون؛ إذ يقول: ((مؤلَّف بين متعادياتها، ومفرَّق بين متدانياتها، دالَّة بتفريقها على مفرِّقها، وتأليفها على مؤلِّفها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩])<sup>(٢)</sup>.

والمعنى الظاهر للكلام أنَّ الله سبحانه وتعالى جمع بقدرته وحكمته ما بين الأمور المعروف عنها أنَّها في غاية التباين والتباعد، ولم يفصح الإمام عليه السلام عن المضامين العلميَّة العميقة في كلامه؛ بل أجراه مجرى الكلام البليغ الذي يتناسب والمرحلة آنذاك؛ وذلك لأنَّ عقول الناس في ذلك الزمان لا تتحمَّل أكثر من هذا؛ ولكنَّ ممَّا يستوقف الذهن إشارة الأمير عليه السلام إلى هذا العلم الحديث - التركيب الذري - في ذلك الوقت على حين ((يقول أينشتاين: لقد تمكَّن بنو البشر وبعد مرور قرون متمادية من التعرُّف إلى أسرار تركيب الذرَّة، وتبيَّن لهم أنَّ هذا العالم المادِّي إنَّما يتألَّف من الذرَّات الناتجة بدورها من اتِّحاد الألكترونات بالبروتونات،

(١) التفسير الكاشف: ١٥٧/٧ - ١٥٨.

(٢) الكافي: ١١/١٣٨، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة: ١٠/٢٧١.

وَأَنَّ وجود المادَّة وبقائها رهين بدوام تلك الأصرة التي تربط بين أجزاء الذرَّة المتكوَّنة من جسمين متضادَّين (سالب وموجب)؛ لكنَّ الباحث المتتبِّع إذا نظر بدقَّة وتفحص في كلام الإمام عليٍّ ﷺ في تفسيره للآية الشريفة (٤٩) من سورة الذاريات، سيندهش حين يرى بأنَّه ﷺ قد سبق علماء عصرنا بـ (١٤) قرناً من الزمان، بالتعرُّف إلى أسرار تركيب الذرَّة، حيث جاء في أحاديث هذا الباب أنَّ الإمام ﷺ أشار إلى ما يمكن انطباقه اليوم بـ (الإلكترون) و (البروتون)، وتطرَّق إلى الأصرة الموجودة بين هذين الجسمين بشكل دقيق للغاية))<sup>(١)</sup>.

ويُرجع بعض الباحثين المعاصرين - من جمهور المسلمين - الفضل في اكتشاف النظام الشمسيّ وعلاقته بالتركيب الذريّ إلى أمير المؤمنين ﷺ في أثناء مناظرتهم للمسيحيين؛ إذ يقولون ما نصَّه: ((إنَّ أساسيات العلوم الذريَّة الحديثة قد جاء تكم من العالم الإسلاميّ، أما قرأتكم قول جون أونيل في كتابه (الذرَّة الجبَّارة) الذي أصدره عام ١٩٤٥ م، وجاء فيه: إنَّ إحدى النقط المتلاذة في القرون الوسطى تأتي من العالم الإسلاميّ، حيث نجد ما سطره قلم عليّ أبو الحسن - صهر محمد - الذي كتب يقول: إذا فلتت الذرَّة - أي ذرة - تجد في قلبها شمساً، إنَّ هذا يدلُّ على أنَّ بصيرته الصافية قد استطاعت أن تلمح حقيقة النظام الشمسيّ الحديث في الذرَّة))<sup>(٢)</sup>.

وبفضل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ ومنظومته المعرفيَّة، بات المسلمون يفتخرون - بحق - على غيرهم من أصحاب الديانات والمعتقدات المتعدِّدة، بأنَّ فكرة التركيب الذريّ وعلاقته بالنظام الشمسيّ متأصلة في التراث الإسلاميّ الأوَّل؛ لأنَّ كلَّ ما عند أمير المؤمنين ﷺ من علم فهو علم علَّمه الله نبيّه ﷺ، فعلمه إياه ودعا له بدعوته التي لا تُردُّ بأن يعيه صدره، وتنضمَّ عليه جوانحه، وقد استجيب الدعوة، وتحقَّقت الإرادة الإلهيَّة في أن يسبق عليّ بن أبي

(١) موسوعة الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ: ٢٩٦/١٠.

(٢) مناظرة بين الإسلام والنصرانيَّة: ١٧٠.

طالب ﷺ القرون بعلمه، إلى أن وفق بعض المفكرين لبيان هذه الحقائق العلميّة بعد أن أجرى التجارب، وصنعوا العدد والأدوات وكيّفوا الأجواء، وتبادلوا المعلومات والخبرات، وعقدوا المعاهدات والاتفاقات، وبعد محاولات عدّة وما صاحبها من تطوّرات بعد الفشل والنجاح لمّرات ومرّات، فكانت النتيجة أنّ أثبتوا ما تفوّه به أبو تراب ﷺ.

### المطلب السادس

#### كلام أمير المؤمنين ﷺ وأثره في بيان الإعجاز العلميّ في خلق الإنسان

وصف القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان في رحم أمّه بدقّة متناهية بوصفٍ لم يستطع الإنسان اكتشاف تفاصيله إلّا حديثاً، وقد أثبت علم الأجنّة الحديث أنّ الجنين يمرُّ بهذه المراحل تبعاً بصورة متسلسلة كما وصفها القرآن الكريم بالضبط، وأنّ بعض المفردات المستعملة في النصّ القرآنيّ بقيت تُستعمل في الجانب الطبيّ على دلالتها اللغويّة.

ولكن تبقى هذه النصوص بحاجة إلى شخص يفجّر كنوزها ويستخرج لألأها، وتكون لهذا الشخص الرخصة التامّة في ذلك، فكان أمير المؤمنين ﷺ خير من أدّى وظيفته الإلهيّة في تبين كتاب الله تعالى بكلامٍ ينفع في أكثر من عصر وإن تقدّمت العصور وتطوّرت معارفها.

فالحديث عن الخلق الأوّل لا يتمُّ إلّا بالوحي من خالق الإنسان نفسه، ونجد هذا الأمر متحقّق في عددٍ من نصوص الوحي المباشر وهو القرآن الكريم، ففي بعض آياته إشارات علميّة تُنبأ عن أصل الخليقة البشريّة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦] وقال سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفّات: ١١]، وقوله سبحانه الشامل

للخلق الأول للإنسان والخلق الآخر: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ  
الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ \* ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ  
مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة:  
٧-٩]، وقوله عز من قائل: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي  
ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]

فهل يستطيع الإنسان الحديث عن ذلك؟ إلا أن يدعي -إدعاءً- شهادته  
لخلق نفسه أو خلق غيره، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ  
إِنَّا أَنشَأْنَاهُمْ خَلْقَهُمْ سَتَكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]، الواضح  
والمسلم به أن الأمور الغيبية لا يمكن لأحد أن يتحدث بها، إلا إذا ثبت له  
الأحقية في الحديث عن ذلك بجواز مشروع يستدل عليه بالدليل، ومن ذلك  
الغيب الحديث عن العلم بأصل الإنسان الأول، وكيف خلق؟ ومن أي شيء  
خلق؟ إذ لم يولد كما يولد الناس بعده من تزواج الذكر والأنثى؟

يقول أمير المؤمنين ﷺ في ما له علاقة باستقرار الجنين المعبر عنه في القرآن  
الكريم بالظلمات الثلاث: ((الذي أنشأه في ظلمات الأرحام، وشغف الأستار  
نطفة دهاقا، وعلقة محاقا، وحينيا وراضعا، ووليدا ويافعا، ثم منحه قلبا حافظا،  
ولسانا لافظا، وبصرا لافظا، ليفهم معتبرا، ويقصر مزجرا))<sup>(١)</sup>، وكذلك حديثه  
في موضع آخر: ((أيها المخلوق السوي، والمنشأ المرعى في ظلمات الأرحام،  
ومضاعفات الأستار، بدأت من سلالة من طين، ووضعت في قرار مكين، إلى قدر  
معلوم، وأجل مقسوم، تمور في بطن أمك جنينا، لا تحير دعاء، ولا تسمع نداء، ثم  
أخرجت من مقرّك إلى دار لم تشهدها ولم تعرف سبل منافعها، فمن هداك لا جترار  
الغذاء من ثدي أمك؟ وعرفك عند الحاجة مواضع طلبك وإرادتك؟))<sup>(٢)</sup>.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٨١.

(٢) م. ن: ١٦١.

ولا شك في أن الله تعالى حين يعرض قضية غيبية، فإنه يثير طريق العقل دائماً نحسها ونشهداها؛ لتقريب القضية الغيبية التي يتحدث عنها، وهنا الحديث عن خلق الإنسان من تراب، ثم من طين، ثم من حمأ مسنون، ثم من صلصال كالفخار، ثم نفخ فيه من روحه فإذا هو إنسان، فإذا أخذنا التراب، ثم نضيف إليه الماء يصبح طيناً، ثم يترك لتفاعل عناصره فيصبح حمأ مسنوناً كالذي يستخدمه البشر في صناعتهم، وبعد أن يجف فيصبح صلصالاً، وهذه أطوار خلق الجسد البشري، والبشر خلقوا من الأرض، فإذا جئنا للواقع فالإنسان مقومات حياته من الأرض أي من الطين، وهذه القشرة الأرضية الخصبة هي التي تعطي مقومات الحياة التي يعيشها الإنسان، فالذي ينمي المادة التي خلق الإنسان منها هو من نوع هذه المادة نفسها وهي الطين، وقد حلل العلماء جسد الإنسان فوجدوه مكوناً من (١٦) عنصراً، أولها الأوكسجين وآخرها المنغنيز، والقشرة الأرضية الخصبة مكونة من العناصر نفسها، إذن عناصر الطين المخصب هي عناصر الجسم البشري الذي خلق منه نفسها<sup>(١)</sup>، و((المراد بالخلق من تراب انتهاء خلقه الإنسان الى الأرض، فإن مراتب تكون من مضغة أو علقه أو نطفة أو غيرها مركبات أرضية تنتهي الى العناصر الأرضية))<sup>(٢)</sup>، قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ \* ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ \* ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكُ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

وعلى العلم الوحياني من لدن الله سبحانه وتعالى اعتمد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في بيان الآيات القرآنية المتحدثة عن أصل الإنسان، فيقول في صفة الإنسان الأول، وهو آدم عليه السلام ما نصّه: ((ثم جمع سبحانه من حزن الأرض

(١) ينظر: معجزة القرآن: ٣١-٣٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن: ١٦/١٤٢.

وسهلها، وعذبها وسبخها، تربة سَنَّها بالماء حَتَّى خلصت، ولاطها بالبلَّة حَتَّى لزبت، فجل منها صورة ذات أحناء ووصول، وأعضاء وفصولاً جمدها حَتَّى استمسكت، وأصلدها حَتَّى صلصلت، لوقت معدود، وأمد معلوم، ثُمَّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها، وفكر يتصرَّف بها، وجوارح يخدمها، وأدوات يقبلها، ومعرفة يفرق بها بين الحقِّ والباطل، والأذواق والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاق المتباينة، من الحرِّ والبرد، والبلَّة والجمود))<sup>(١)</sup>.

فيتحدث الإمام عليه السلام عن بداية خلق آدم التي أجمل القرآن الكريم القول فيها بضرب مثلاً في خلق النبيِّ عيسى عليه السلام وهو من أروع ما يكون، يقول عليه السلام في ذلك: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]؛ ولكن أمير المؤمنين عليه السلام يحاول أن يبصِّر الناس على كيفية خلق آدم المضروب به مثل عيسى عليه السلام.

ومن الواضح في الأمثلة التطبيقية لبيان الإعجاز العلمي أنَّ الإنسان احتاج إلى قرون حَتَّى توصل إلى هذه الحقائق العلمية الأخيرة، ولا نعلم ما سيخبر به الزمن اللاحق عن تلك الحقائق نفسها، وفي الوقت نفسه ندهش عندما نجد أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يتحدَّث وكأنه اليوم معنا يخاطب العلماء المتخصِّصين بكلمات هي ذات الكلمات التي تحدَّث بها مع أناس ليس لهم عهد بما عند أولئك العلماء المتخصِّصين، لم يضيف حرفاً واحداً على جمل عبارته الكلامية وخطبه، وفي ذلك أدلُّ دليل على أنَّه عليه السلام استقى هذه المعرفة من عينٍ خاصَّةٍ بالعلم الإلهيِّ، فكوَّنت له تلك المنظومة المعرفية الرائدة في كلِّ عصر.

## المطلب السَّابع:

كلام أمير المؤمنين عليه السلام وأثره في بيان الإعجاز العلمي في خلق الحيوان يمكننا الوقوف على أحد أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مجال الحيوان، وقد كثر عدد الآيات التي ورد فيها ذكر الحيوانات، ويوجد عدد من سور القرآن الكريم سُميت بأسماء الحيوانات نحو: (النمل، النحل، العنكبوت، الفيل، والأنعام)، وتنوّعت الحيوانات التي ذكرت في القرآن الكريم، فمنها الحيوانات الأليفة الداجنة، والحيوانات الوحشيّة مثل الذئب والسبع والفيل، ومنها الطيور مثل الغراب، الهدهد، ومنها الحشرات مثل النمل والقمل والبعوض والذباب والأرضة، ومنها الحيوانات المائيّة مثل الحوت والسّمك، وغيرها. إنّ الحديث عن بعض الحيوانات لم يكن بعيداً عن نهج أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تكلم عن الخفّاش وطبيعة خلقه وحياته، وأبدع في وصف دقائق الأمور الخاصّة بالطاووس، وكذلك تحدّث عن خلق الجرادة وأجزاء جسمها، إلى غير ذلك من الحيوانات الأخرى. وكان أسلوب الإمام علي عليه السلام في الحديث عن الحيوانات بما يرضي المتلقّين على اختلاف توجّهاتهم العقديّة والفكريّة -المؤمن منهم والجاحد- في محاولة منه عليه السلام لتقريب الناس ودعوتهم إلى بارئهم سبحانه وتعالى. وبالتتبع تتضح ماهيّة حديث ((الإمام عليه السلام حين يتكلّم عن أيّ حيوان، فإنّه يبدأ بذكر فطرته وعاداته وطريقة تأمين حاجاته الضروريّة، ثمّ ينتقل إلى وصفه وصفاً خارجياً، ثمّ إلى أجزائه وأعضائه الداخليّة، وهي عمليّة راقية يتّبعتها علماء الأحياء اليوم))<sup>(١)</sup>. ولنقف على بعض ما اتّفق الحديث عنه من الحيوانات بوصفها أحد المصاديق العلميّة للبحث في مجال الإعجاز العلمي للقرآن الكريم.

(١) الإعجاز العلمي عند الإمام علي عليه السلام: ٨٠.

قال تعالى في قصة نبيِّ الله سليمان ﷺ و جنوده: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ فَبَسَّسَ صَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿[النمل: ١٨-١٩].

حديث النملة يدلُّ على أن مجتمع النمل له أسلوب تفاهم ولغة خاصَّة، وتتفاهم مع بعضها بعضاً، والنمل يقوم بمشروعات جماعيَّة مثل مدِّ الطرق، وإقامة الجسور، وبناء مستعمراته، والنمل هو الوحيد الذي يتلاقى في مجتمعات للتعاون وتبادل المنافع، وهو الوحيد الذي يهتم بدفن موته، ممَّا يدلُّ على حياة منتظمة نشطة، لها كيان ودستور يحكمها في كلِّ سلوكها، ولغة النمل تكون بين النمل بوساطة الفيرمونات التي هي روائح كيميائيَّة لدى هذا الحيوان، يقيم سلوكه وتصرفاته، وهي مزودة بنظام متطورٍّ من الغدد يتوزع على جميع أجزاء جسدها تعتبر مصدراً للعديد من المواد الكيميائية التي تستخدم في عمليَّات الاتِّصال، وتبادل المعلومات والرسائل بين مختلف أفراد المستعمرة، ومن أهمِّ إفرازات هذه الغدد تلك المادَّة الكيميائية التي يتركها النمل على الأرض في أثناء سيره، التي تستخدم دليلاً للشغالات ليساعدها على تحديد اتجاهها في أثناء انتقالها من مكان إلى آخر؛ لذلك فهي تسمَّى عادةً (مادَّة أثر)، وتستخدم هذه المادَّة في زيادة نشاط الشغالات ودفعها إلى العمل<sup>(١)</sup>. ويتميِّز النمل بذكاء خارق، ويدلُّ على ذلك قيام النمل بعملية فلق الحبوب قبل تخزينها في مخازن، حتَّى لا تبت، والحبوب التي لا يستطيع فلقها فإنَّه يعمد إلى نشرها في الشمس، وأثبت العلم الحديث عندما استطاع تشريح جسم النملة ودراسة أجزائها دراسة تفصيلية، بالاستعانة بأجهزة الفحص الإلكتروني، فوجد أنَّها تمتاز بوجود معخَّ عجيب، يتكوَّن مخَّه من فصَّين

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١٤٥.

رئيسين كمنح الإنسان، ومن مراكز عصبية وخلايا إحساسية كما في الإنسان، فإن وزن دماغ النملة وهو جزء من مئة من الغرام، وإن دماغ الحوت أكبر بكثير بمئة ألف مرة من دماغ النملة، وعلى الرغم من ذلك فإن النملة تقوم بمهام وأعمال ذكية تتفوق على هذا الحوت، ويحوي دماغ النملة على ٣٠٠٠٠٠٠ خلية عصبية<sup>(١)</sup>.

ولم يغيب عن أمير المؤمنين عليه السلام ما لهذا المخلوق من عجائب تدلُّ على عظمة خالقه سبحانه وتعالى، فتحدّث عن تفاصيل ذلك المخلوق بما لم يكن مفصلاً في القرآن الكريم، فيقول سلام الله عليه: ((انظروا إلى النملة في صغر جسّتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبّت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرّها، تجمع في حرّها لبردها، وفي ورودها لصدرها، مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها، لا يغفلها المنان، ولا يجرمها الديان ولو في الصفا اليابس والحجر الجامس، ولو فكّرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً، فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبنهاها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه في خلقها قادر، ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلّتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النخلة، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حي، وما الجليل واللطيف والثقيل والخفيف، والقوي والضعيف في خلقه إلا سواء))<sup>(٢)</sup>.

في القوانين الثابتة الراسخة التي تشمل وتعمُّ جميع الخلائق على تباينها واختلافها حجماً وطبيعة وشكلاً، وهل من تفسير معقول لهذه الوحدة إلا بإرادة حكيمة واحدة، وقدرة واحدة، وأن خالق النملة هو خالق النخلة، كما قال الإمام، وكتب أهل الاختصاص كثيراً عن النمل وتديرها وأدخارها وتعاونها ونظامها المحكم في الاقتصاد والاجتماع، وكلّها تبعث الدهشة، وتدلُّ بوضوح على إرادة حكيم

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ١٤٦.

(٢) نهج البلاغة: الخطبة: ١٨٣.

قدير، وأعجب ما في النمل على الاطلاق ما حكاه سبحانه عن نملة سليمان، ومكان العجب أن تشفق هذه الذرة على قومها من بأس الجنود الذين جاسوا خلال الديار، وأن لا يشعر إنسان عاقل بالآم قومه، وأن يبيعهم بثمان بخس لعدوه وعدوهم يمتص دماءهم، ويسلب أقاتهم ويهلك الحرث والنسل<sup>(١)</sup>. وعند مطالعة ما يمكن أن يفهمه بعض من عاش في القرن السابع الهجري من كلام أمير المؤمنين ﷺ بالاعتماد على ما كان سائداً في ذلك الزمن، منهم ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٦هـ) لدى شرحه لهذه الفقرة من الخطبة فيقول: ((فأما الحكماء، فإنهم لا يثبتون للنمل شراسيف ولا أضلاعاً، ويجب -إن صحَّ قولهم- أن يُحمل كلام أمير المؤمنين ﷺ على اعتقاد الجمهور ومخاطبة العرب بما تتخيله وتتوهمه حقاً، وكذلك لا يثبت الحكماء للنمل آذاناً بارزة عن سطوح رؤوسها، ويجب -إن صحَّ ذلك- أن نحمل كلام أمير المؤمنين ﷺ على قوّة الإحساس بالأصوات، فإنه لا يمكن الحكماء إنكار وجود هذه القوّة للنمل، ولهذا إذا صحَّ عليهم هربن))<sup>(٢)</sup>.

ويظهر من الكلام المتقدم أن هناك نظريّات وآراء حول طبيعة خلق النملة من قبل ما أسماه المعتزلي بالحكماء، ولكن يظهر أن نظريّاتهم لم تكن قائمة على دليل علمي رصين كما هو الحال بالنسبة للنظريّة التي طرحها أمير المؤمنين ﷺ في ذلك، القائمة على منظومة معرفيّة لها صلتها الوثيقة بخالق النملة وغيرها؛ من هنا جاء حديث أمير المؤمنين ﷺ بما يتوقّف مع مكتشفات العصر الحديث، بعد أن صنعوا أجهزة البحث والتشريح، حتّى بات معلوماً لدى القاضي والداني تفاصيل أجزاء الحيوانات وأعضائها عبر أفلام مرئية دقيقة، فيتبيّن سبق الإمام علي ﷺ لبيان تلك الجزئيّات يوم لم تكن تلك الأجهزة والأدوات مألوفة عندي بني البشر قاطبة.

(١) ينظر: في ظلال نهج البلاغة: ٥٩/٣.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٦٣/١٣.

## الخاتمة:

بعد الانتهاء من هذا البحث الذي تناول المنظومة المعرفية لدى أمير المؤمنين عليه السلام وأثرها في بيان الإعجاز القرآني، متوقفاً عن بعض مظاهر الإعجاز العلمي، نصل إلى ذكر أبرز النتائج التي توصل إليها البحث، فنجملها على النحو الآتي:

١- حظي أمير المؤمنين عليه السلام برعاية إلهية ونبوية خاصة، لأداء دوره في حفظ الرسالة العظيمة وإتمام عملية التبليغ عن الله ﷻ عبر المنظومة المعرفية القائمة على مصدرها الرباني، وما لها من قابلية الاطلاع على الحقائق قبل اكتشافها بالطريق الكسبي.

٢- مضافاً للمعرفة القرآنية والنبوية كان أحد مصادر منظومة أمير المؤمنين عليه السلام المعرفية هو الإلهام والتحديث بالعلم والعمل الصواب.

٣- أشار البحث إلى سبب عدم إظهار علوم أمير المؤمنين عليه السلام في عصره؛ وذلك لقاصرة معاصريه ومقصريتهم وعدم أهليتهم في تلقي كل العلوم، حتى حسب بعضهم أنه عليه السلام يعلم الغيب، مع نفيه القاطع بعدم علمه الغيب بشكل مستقل كما يعلمه الله سبحانه وتعالى.

٤- شمول المعرفة العلوية لكل ما يتعلق بمسائل الدين العقديّة والفقهية والأخلاقية، وما يتعلق بمسائل الدنيا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها، من طريق إخباراته العلمية وتفصيل بعض مجملات الإعجاز القرآني.

٥- تميّز دوره عليه السلام في بيان كتاب الله تعالى خاصة، فكان لأمر المؤمنين علي عليه السلام الدور الأعظم في إبراز إعجاز القرآن الكريم وتفسيره؛ لأنه شريك القرآن في عملية تثوير دفائن العقول لإحياء جذوة الفهم في النفوس والتوصل إلى أفضل العلوم الحياتية.

٦- تطرَّق البحث إلى بيان شمول القرآن الكريم للمجالات المعرفية لدى الإنسان، وتحددت مظاهر إعجازه العلمي في مجالات محدّدة، نحو: نشأة الكون وعالم الفلك وعالم الأرض وعالم الإنسان وعالم الحيوان والنبات، وكان لأمر المؤمنين ﷺ وقفة علمية عند كل مجال منها.

٧- أتبع أمير المؤمنين ﷺ أسلوب المنهج القرآني في عرضه للحقائق العلمية عبر نصّ مكتنز الدلالات، يتناسب مع كل عصر ويفيد منه بحسب ما يمتلك من أدوات وقابليات لفهمه، فسدّ حاجة ذلك الوقت بالمعلومات الكافية، وأدّخر فيه كنوزاً إلى أزمان وأقوام لاحقة.

٨- سايرت منظومة أمير المؤمنين ﷺ العصور المتأخرة التي وظّفت إمكاناتها في الكشف عن الحقائق العلمية فأخبرت عنها من دون توافر الإمكانيات، والأدوات المستعملة في البحوث العلمية المعاصرة.

٩- تبين للبحث أنّ من يطّلع على علمه ﷺ وإن لم يعرف منصبه الإلهي يصنّفه على رأس قائمة عباقرة الأمم والحضارات في كل العصور؛ لإسهامه في إنارة المعرفة الإنسانية على مرّ السنين.

١٠- اتّضح أنّ أمير المؤمنين ﷺ لم يسبق عصره فيما أبداه من العلم فحسب؛ بل فاق ذلك حتّى وصل سبقه إلى عصرنا وسيبقى سابقاً إلى ما شاء الله تعالى، وكانت هذه النتيجة ملموسة بشكل واقعيّ.

١١- استعمل أمير المؤمنين ﷺ أروع التعابير في نصّ خطابه، ممّا جعله مألوفاً لدى إنسان ذلك العصر فلا يستوحشه، وينطبق تماماً مع مكتشفات العصر الحديث.

١٢- بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ومنظومته المعرفية، بات المسلمون يفتخرون على غيرهم في السّبق العلمي لبعض المكتشفات العصرية إلى التّراث الإسلاميّ.

## مصادر البحث ومراجعته

### القرآن الكريم

- ١- الاختصاص، محمد بن محمد بن النعمان المذحجي العكبري المفيد (ت: ٤١٣هـ)، تح: علي أكبر الغفاري، السيد محمود الزرندي، دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٢- الأصول من الكافي، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت: ٣٢٩هـ)، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية - طهران، ط٥، ١٣٦٣هـ ش.
- ٣- الإعجاز العلمي عند الإمام علي عليه السلام، لبيب بيضون، مؤسسه الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ٤- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، حميد النجدي، دار الأنصار، ط٣، ١٤٢٩هـ ق - ٢٠٠٨م.
- ٥- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، محمد كامل عبد الصمد، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ٦- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة - تاريخه وضوابطه، عبد الله بن عبد العزيز المصلح، ط٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- ٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبدالرزاق الرافي، (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، ط٨، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.
- ٨- بصائر الدرجات، محمد بن الحسن بن فروخ الصفار (ت: ٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغي، منشورات الأعلمي، ١٤٠٤هـ ق - ١٣٦٢هـ ش.

٩- تأويلات أهل السنة، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

١٠- التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٣، ١٩٨١ م.

١١- الدرر المنتور في التأويل بالمأثور، السيوطي؛ جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت .

١٢- السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب النجار، دار المعرفة، بيروت، ط ٥، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م.

١٣- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي (ت: ٦٥٥هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر، ط ٢، ١٣٨٥هـ، ١٩١٩ م.

١٤- شرح نهج البلاغة، كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني (ت: ٦٧٩هـ)، دار الثقلين، بيروت، ط ١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.

١٥- علم الإمام، محمد حسين المظفر (ت: ١٣٨١هـ)، دار الزهراء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٢ م.

١٦- عيون أخبار الرضا ﷺ، محمد بن الحسن الصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، بيروت، ط ١، ١٤٠٤ - ١٩٨٦ .

١٧- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، انتشارات كلمة الحق، ط ١، ١٤٢٧هـ.

- ١٨- مجمع البحرين ومطلع النيرين، فخر الدين الطريحي (ت: ١٠٨٥هـ)،  
المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، ط ٢، ١٣٦٢ هـ ش .
- ١٩- مستدرك سفينة البحار، علي الشاهرودي النمازي، (ت: ١٤٠٥هـ)،  
تصحيح وتدقيق: حسين بن علي النمازي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة  
لجماعة المدرسين-قم، ١٤١٨هـ.
- ٢٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطهماني  
الحاكم النيسابوري، (ت: ٤٠٥هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب  
العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٢١- معجزة القرآن، الشعراوي، محمد متولي (ت: ١٤١٨هـ)، المختار  
الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، ط ١، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ٢٢- مفاهيم القرآن، جعفر بن محمد حسين التبريزي السبحاني، مؤسّسة الإمام  
الصّادق عليه السلام، قم، ط ٤، ١٤٣١هـ.
- ٢٣- مقالات ودراسات، السيّد جعفر مرتضى العاملي، المركز الإسلامي  
للدراسات، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٢٤- مناظرة بين الإسلام والنصرانية، مجموعة مؤلفين، الرئاسة العامّة لإدارات  
البحوث العلميّة والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٥- منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، الميرزا حبيب الله الهاشمي  
الخوئي (ت: ١٣٢٤هـ)، تح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت،  
ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٢٦- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، محمد راتب النابلسي، دار  
المكتبي، دمشق، ط ٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

- ٢٧- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، تح: دار الحديث، ط ١ .
- ٢٨- موسوعة أهل البيت الحضارية، الإمام علي الرضا ﷺ - قيادة الأمة وولاية العهد، محمد حسين علي الصغير، مؤسّسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
- ٢٩- الميزان في تفسير القرآن، السيّد محمد حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ)، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفّة .
- ٣٠- نحو ثقافة إسلاميّة أصيلة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، ط ٤، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
- ٣١- نهج البلاغة، خطب الإمام علي ﷺ، محمد عبده، دار الذخائر - قم، ط ١، ١٤١٢ هـ - ١٣٧٠ ش .

الْمَنْهَجُ التَّفْسِيرِيُّ عِنْدَ آلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

د. صَالِحُ الطَّائِي  
محافظة واسط / متقاعد

The Exegetical Methodology of Ahl Al-Bayt (Peace Be Upon Them)

Dr. Saleh al-Taie

Wasit Governorate / Retired

### المُلخَصُ:

تسلط هذه الدراسة الضوء على العناية الفريدة التي خصَّ بها النبي الأكرم محمد ﷺ تفسير القرآن الكريم؛ إذ تشير الروايات المتواترة إلى أن النبي ﷺ لم يترك كتاب الله بلا تفسير وبيان؛ بل فسَّره بنفسه، ثمَّ عهد بتأويله إلى أهل بيته ﷺ، وقد أكَّد الإمام عليّ ﷺ مراراً أنَّه الأولى بتفسير القرآن من غيره، وأكَّد بقيَّة الأئمَّة من ذريَّته ﷺ هذا الامتياز التأويلي الوراثي، مشيرين إلى أن تفسير القرآن لا يؤخذ بالظنون؛ بل عن الراسخين في العلم، الذين أذهب الله عنهم الرِّجسَ وطهَّروهم تطهيراً. لقد كشفت الدِّراسة بالمقارنة الدقيقة بين مصادر المدرستين أنَّ الصحابة لم يُعرف عنهم الاشتغال المنهجي بتفسير القرآن بشكل حقيقي ومنهجي كما عند آل بيت النبي ﷺ، الذين كانوا مدرسة دائمة للتأويل، تتوارث العلم كابراً عن كابر. وهذا يعني أنَّ العناية التفسيرية عند أهل البيت ﷺ لم تكن اجتهاداً شخصياً؛ بل هي امتداد لوحيٍّ موجِّه، وتواصلٍ روحيٍّ مباشرٍ مع المعنى الإلهي للنصِّ، وهو ما يميِّز تفسيرهم عن سائر الاجتهادات البشرية اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، المنهج التفسيري، آل البيت ﷺ.

**Abstract:**

This study highlights the unique care that the Holy Prophet Muhammad (peace be upon him and his family) devoted to the interpretation of the holy Qur'an. Recurrent narrations indicate that the Prophet (peace be upon him and his family) did not leave the Book of God without interpretation and explanation; rather, he interpreted it himself and then entrusted its ta'wil to his Ahl al-Bayt (peace be upon them). Imam 'Ali (peace be upon him) repeatedly emphasized that he is foremost in the interpretation of the Qur'an over others, and the rest of the Imams from his lineage (peace be upon them) confirmed this hereditary exegetical privilege, pointing out that the Qur'anic interpretation is not to be based on conjecture, but by those firm in knowledge, whom God has purified from impurity.

The study revealed, through precise comparison between the sources of the two schools, that the Companions were not known for methodical engagement with Qur'anic interpretation in the true and systematic manner found with the Prophet's Ahl al-Bayt (peace be upon them), who were a continuous school of ta'wil, transmitting knowledge from generation to generation. This means that the exegetical care of Ahl al-Bayt (peace be upon them) was not a personal effort; rather, it is an extension of a divinely guided revelation and a direct spiritual connection with the divine meaning of the text, which distinguishes their interpretation from all subsequent human scholarly efforts.

**Keywords:** The Holy Qur'an, exegetical methodology, Ahl al-Bayt (peace be upon them).

المقدمة

في الحياة الدينية والعقلية للمسلمين، ومنذ بدايات الطور المدني، احتلَّ تفسيرُ القرآن الكريم مكانةً مركزيةً، وكان لرسولِ الله ﷺ الأثر الرئيس في وضع الأسس والقواعد الأولى لهذا العلم، بعدما مارسه بنفسه ﷺ، ثمَّ أورث ذلك لعليٍّ وآلِ البيت ﷺ، وهم الذين ورثوا عنه علمَ الكتاب.

وباتفاق الآراء كان أهل البيت ﷺ المرجع الأول في فهم القرآن الكريم وتأويله؛ لتلقيهم للعلوم الشرعية من طريق رسول الله ﷺ مباشرة، أو من سلسلة من النقل الموثوق؛ ولأنَّه ﷺ أوصى بهم وأكد أنَّهم الأجدر والأوثق؛ لارتباطهم بالقرآن ((إني تارك فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلُّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي))<sup>(١)</sup>، وهي إشارة صريحة لا تقبلُ اللبس إلى أنَّهم حماة العلم القرآني، ومصدر التفسير الأصلي. فهم من فاطمة إلى عليٍّ إلى أولادهم (عليهم السلام أجمعين) نشؤوا في كنفه ﷺ، وهو ما منحهم فهمًا عميقًا للنصوص القرآنية، وأسرارها، وهذا ما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: ((إنَّ الله خصَّنا بعلمه الذي أوتي به نبيُّه ﷺ، فلا أحد أعلم منا بالقرآن))<sup>(٢)</sup>. وهذا كله أهلهم ليجتهدوا في العطاء، فقدَّموا تفسيرات عقلية وروحية متعمِّقة، تشمل التأويل الظاهر والباطن، وقد اشتهروا بذلك فعرفَ الناسُ ارتباطَ أهل البيت ﷺ الوثيق بالقرآن الكريم، واعتبرهم العديد من علماء المسلمين الورثة الحقيقيين لعلم النبي ﷺ، بدلالة حديث الثقلين: ((إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتَّى يردا عليَّ الحوض))<sup>(٣)</sup>.

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، حديث رقم: ٢٤٠١.

(٢) الكافي: ١/ ٤٥٦.

(٣) صحيح مسلم، حديث رقم: ٢٤٠٨. ومسنَد الإمام أحمد، حديث رقم: ٢٢٧٩٥. وسنن الترمذي، حديث رقم: ٣٧٨٥.

بل إنَّ وصفَ رسولِ الله ﷺ لهم بقوله: ((إنَّما مثْلُ أهلِ بيتي كمثلِ السفينةِ، من ركبها نجا، ومن تخلَّفَ عنها غرق)) يشيرُ بشكلٍ واضحٍ إلى ارتباطهم بالقرآن والهدى، وأنهم الحاملون الحقيقيون للمعرفة الشرعية<sup>(١)</sup> التي يجب أن تؤخذ عن طريقهم لا عن طريق غيرهم.

وتسلط هذه الدراسة الضوء على العناية الخاصة التي أولاها النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ لتفسير القرآن، وتفردهم بهذه العناية دون غيرهم من الصحابة والتابعين، استناداً إلى روايات موثقة وتحليلات علمية مقارنة؛ ولتوثيق هذه الجنبه المهمة التي لم تحظ بالعناية التي تستحقها؛ ولكي لا يأت من يدعي أن رواياتنا عنها جميعها مستقاة من مصادر مدرستنا، اعتمدت في كتابة البحث مصادر المدرستين.

ولغرض استكناه النتائج وحصرها، اعتمدت منهجية أكاديمية متكاملة تمزج بين المنهج التحليلي التاريخي، والمنهج المقارن على وفق الآتي: المنهج التاريخي التحليلي؛ لأنه يُستخدم لتتبع الظواهر الفكرية والدينية عبر الزمن، مع تحليل السياقات التاريخية والاجتماعية المحيطة بها. والمنهج المقارن؛ لأنه يقوم أصلاً على المقارنة بين الرؤى والمواقف المختلفة في قضية واحدة، من أجل الكشف عن الفوارق. فضلاً عن المشتركات الجوهرية. واستعنت بالمنهج النصي الروائي الذي يعتمد على السرد؛ لتقديم قصة أو أحداثٍ وذلك بتتبع النصوص الأصلية من كتب الحديث والتفسير. مع نقد الروايات، ومحاولة التمييز بين الصحيح والضعيف كلما دعت الضرورة.

وقد بنيت المنهج البنائي المنطقي للبحث بكتابة المقدمة التي أوضحت فيها أهمية الموضوع وسبب اختياره. ثم قسّمت البحث على ثلاثة مباحث، وزعت فيها المادة علمياً بدءاً من التأسيس النبوي، وصولاً إلى التطوير عند الأئمة ﷺ، إلى المقارنة، ثم الوظيفة المرجعية، وختمتها بالأثر المذهبي.

(١) تاريخ الأمم والملوك: ٣/٣٠٢.

## المبحث الأول: منهج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في التفسير

يُعدُّ التفسيرُ النبويُّ أبرزَ مصادرِ التفسيرِ؛ إذ كان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسِّرُ الآياتَ مباشرةً، مبيِّنًا معانيها، وما يتعلَّقُ منها بالأحكامِ والعقائدِ<sup>(١)</sup>؛ وذلك لكونه المبلِّغُ الأوَّلُ عن الله تعالى، والمبيِّنُ للكتابِ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ ولكي يتحوَّلَ أسلوبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى منهجٍ بنائيٍّ وضع قواعدَ وأسسًا للتفسيرِ، منها:

تفسيرُ القرآنِ بالقرآنِ؛ إذ كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسِّرُ آياتِ القرآنِ بعضها ببعضٍ، وهذا أسلوبٌ قرآنيٌّ أصيلٌ، وفيه تُستعملُ آيةٌ لتوضِّحَ معنى أخرى، أو تُضيفَ إليه<sup>(٢)</sup>، فضلًا عن ذلك كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يفسِّرُ القرآنَ بالسنةِ الشفويةِ والتطبيقِ العمليِّ، وذلك بشرح آياتِ القرآنِ شفاهاً للصَّحابةِ، مبيِّنًا كيفيةَ تطبيقها عمليًّا في العباداتِ والمعاملاتِ<sup>(٣)</sup>.

وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستخدمُ السِّياقَ التاريخيَّ والظرفيَّ أو ما يُعرفُ بـ(أسبابِ النزولِ) لإيصالِ المعنى إليهم؛ إذ كان يأخذُ بالحُسبانِ أسبابَ نزولِ الآياتِ، والمواقفِ التي أنزلتَ فيها، ممَّا يساعدهم على فهمِ المقصدِ من النَّصِّ<sup>(٤)</sup>، والأشملُ من ذلك أنه لكونه يتلقَى الوحيَ مباشرةً، فإنَّ تفسيره للقرآنِ يحملُ الصِّفةَ الإلهيةَ، ويختلفُ عن اجتهاداتِ البشرِ اللاحقةِ<sup>(٥)</sup>.

وكانت منهجيَّته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التفسيريةَ تهدفُ إلى توضيحِ آياتِ الأحكامِ، والأمرِ الغامضةِ، أو التي تحتاجُ إلى تفرُّعٍ وتفصيلٍ عندَ نزولِها، بما يحقِّقُ فهمها الصحيح<sup>(٦)</sup>. وهذا يعني: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربطَ التفسيرَ بالحياةِ العمليةِ سواءً في العباداتِ

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢ / ١٢٧.

(٢) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١ / ١٥.

(٣) ينظر: الاستذكار: ٢ / ٤٧-٤٥.

(٤) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣ / ٧٨-٨٠.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى: ١٥ / ١٢٠.

(٦) ينظر: الإيقان في علوم القرآن: ١٠٠.

أو في المعاملات الأخلاقية والاجتماعية، باستعماله لغةً عربيةً فصيحَةً وسليمةً، بما يحقق نقل المعنى الحقيقي دون لبس أو غموض<sup>(١)</sup>. فضلاً عن ذلك، كان يحثهم ويشجعهم على التفكير العقلاني في فهم النصوص القرآنية، مع الالتزام بنصوص الوحي وعدم تجاوزها<sup>(٢)</sup>. وكان عليه السلام يحذرهم من التفسير بالظنون والأهواء، فكان ينهى عن تأويل القرآن بالظن أو الهوى، ويأمر بالثبات على ما جاء به الوحي<sup>(٣)</sup>. بمعنى أنه رسَّخ قواعد التفسير في أدمغتهم.

وكانت أولى القواعد التفسيرية التي رسَّخها هي قاعدة تفسير القرآن بالقرآن؛ إذ توضَّح آيةً معنى أخرى، أو تضيف إليه، ثم اعتمد أسلوب الشرح شفويًا، والتطبيق عمليًا، فكان يشرح الآيات للصحابة، ثم يبين لهم كيفية تطبيقها عمليًا لاسيما في العبادات والمعاملات. وكان في تفسيره يأخذ بالحسبان أسباب نزول الآيات ليساعدهم على فهم المقصد من النص؛ ولأن بعض الأحكام والأمور الغامضة بطبيعتها كانت تحتاج إلى تفصيل عند نزولها، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتولى هذه المهمة بما يحقق لهم جميعهم فهمها الصحيح، وحذرهم من التفسير بالظن والهوى، وكان ينهاهم عن تأويل القرآن بالظن، ويأمرهم بالثبات على ما جاء به الوحي. وهذا يعني: أنه أولى التفسير عنايةً بالغة، تجلَّت في مظاهر عدَّة، منها:

أنه كان يبيِّن لهم ما أجملَ في القرآن من الأحكام، أو المفاهيم العقديَّة والأخلاقية، فيبيِّن الحدود والمقادير، فهو في تفسيره قوله تعالى: ﴿**آتُوا**

**الزَّكَاةَ**﴾ [البقرة: ٤٣]، بين لهم مقادير الزكاة، وأنصبتها وتفاصيلها التطبيقية، التي لم ترد في النص القرآني<sup>(٤)</sup>، وفي أداء الصلاة وما يتعلَّق بها، شرح لهم كيفية الأداء، وعدد الركعات، والأمور الأخرى. وكان يوضِّح لهم أسباب النزول؛ ليعرفوا

(١) ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل: ١ / ٥٠.

(٢) ينظر: المنقذ من الضلال: ١٢٠.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٣٠، والمنقذ من الضلال: ١٢٠.

(٤) ينظر: الإتيان في علوم القرآن: ١ / ١٨٣.

مدلولها الخاصّ والعام. وقد نقل عنه ﷺ أنّه قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]: إنّها نزلت حين دعا على كفّار قريش بعد أحد، فبين الله له أنّ الهداية بيده سبحانه<sup>(١)</sup>.

وكان يستثمر أسئلتهم عن معنى بعض الآيات الغامضة أو المشكّلة، فيجيبهم مباشرة. ومنها أنّه ﷺ لما نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، ظنّ بعض الصحابة أنّ المقصود هو أيّ ظلم، فقالوا: ((يا رسول الله، أيّنا لم يظلم نفسه؟)) فقال ﷺ: ليس كما تظنون، إنّما هو الشرك، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]((<sup>(٢)</sup>)).

وهناك أنموذج آخر قدّمه لهم وطبّقه معهم؛ هو منهج التربية القرآنيّة عبر التفسير العمليّ بعد أن جعل القرآن يتجسّد في شخصيّة، ولذا ((كان خُلُقُهُ القرآن))<sup>(٣)</sup>، ومن ثمّ كان تفسيره العمليّ للقرآن مصدراً لفهم المسلمين للنصّ، في العبادات والمعاملات والسلوك. أمّا التأويل؛ فقد جعله رسول الله ﷺ ذريعةً للإدراك الحسن؛ إذ كان أحياناً يفسّر الآية بتأويل خاصّ يتجاوز المعنى الظاهري لها. فهو عندما فسّر لهم قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، قال: ((مَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ))<sup>(٤)</sup>، موضّحاً علاقة الطاعة بالمحبّة الروحيّة. وجميل أن تربط الحبّ المتبادل مع الله تعالى بالحبّ المتبادل بينه وبين أبنائه، كما في قوله ﷺ: ((مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي. يَعْنِي: الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ﷺ))<sup>(٥)</sup>.

(١) ينظر: صحيح البخاري، حديث رقم: ٤٥٦٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم: ١٢٤.

(٣) م. ن، حديث رقم: ٧٤٦.

(٤) المعجم الكبير: ١/ ٨٥، حديث رقم: ١٨٧.

(٥) السلسلة الصحيحة، حديث رقم: ٢٨٩٥.

ولترسيخ قواعد التفسير تولى رسول الله ﷺ تعليم التفسير للإمام علي عليه السلام أولاً، ثم لبعض الأفراد المخصوصين من الصحابة، وعهد لهم مهمة نقل علم التفسير، وخصّهم بالدعاء لهم، كما قال لابن عباس: ((اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل))<sup>(١)</sup>، وقد كان ابن عباس من كبار المفسرين؛ نتيجة لهذه العناية النبوية.

لكنّ جلّ همّه انصبّ على تعليم الإمام علي وأولاده عليه السلام قواعد التفسير وأصوله، وأباح لهم التفرّيع. أمّا الصحابة الذين اختارهم فقد نهاهم عن التفسير بالرأي المجرد، ولطالما حذر من تفسير القرآن دون علم؛ إذ قال: ((من قال في القرآن برأيه فأصاب، فقد أخطأ))<sup>(٢)</sup>، ما يدل على اهتمامه بأن لا يكون التفسير خاضعاً لأهواء أو تأويلات غير مؤسّسة، وهذا ما لم يلتزموا به بعد عصر البعثة. ففي الحقبة (١١ - ٤٠ هـ)، ورث الصحابة مسؤولية شرح معاني القرآن للتابعين، مستندين إلى ما سمعوه من النبي ﷺ في تفسيره للآيات، وما فهموه من اللغة والسياق، وما تشكّل لديهم من معرفة بسبب معاشتهم لزمان التنزيل، وقد أثبت الواقع أنّ من بينهم من غلب رأيه، واجتهد، وأول خلافاً للوصايا.

ومن أشهر مفسري هذه الحقبة عبد الله بن عباس، الملقّب بـ(ترجمان القرآن)، وقد قال ابن تيمية: ((أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس))<sup>(٣)</sup>. ودخل على الخطّ عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت.

أمّا في مرحلة التابعين التي تمتدّ من ٤٠ إلى ١٠٠ هجرية تقريباً، فقد بدأ الاهتمام المنهجي بالتفسير، وفيها ظهرت مدارس التفسير:

- أ. مدرسة مكة: بقيادة مجاهد بن جبر، وعكرمة مولى ابن عباس، وسعيد بن جبيرة.
- ب. مدرسة المدينة: برئاسة أبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي.

(١) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب: مناقب عبد الله بن عباس، حديث رقم: ٣٧٥٦.

(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب: في كراهية القول على الله بغير علم، حديث رقم: ٣٦٥٢.

(٣) مقدمة في أصول التفسير: ١٤.

ج. مدرسة الكوفة: مثلها علقمة والأسود، وهما من تلاميذ ابن مسعود.

وكانت هذه المرحلة انتقاليّةً نحو تأسيس علم التفسير بوصفه علماً مستقلاً.

تلت ذلك ما عُرفَ بمرحلة التدوين التي تمتدُّ من نحو ١٠٠ إلى ١٥٠ هجرية، وهي الحقبة التي بدأ فيها جمع التفسير وتدوينه، ضمن كتب الحديث والمصنّفات، فكان هناك: تفسير سفيان الثوري (ت: ١٦١هـ)، وتفسير مقاتل بن سليمان (ت: ١٥٠هـ)، وبعد ذلك بدأ التفسير يظهر كعلم مستقلٍّ إلى جانب الفقه والحديث.

ولأنَّ العقول لا تتساوى، ومدارك النَّاسِ تختلف، والفهم يختلفُ من شخصٍ إلى آخر كانت غاية النبي ﷺ تعليمهم معاني الآيات المعاملاتيّة والعباديّة بيان المجمال وتفصيل المجملات، فكان من أبرز وجوه عنايته بتفسير القرآن الكريم، قيامه ببيان المجمال، وتفصيل ما أهمّ من الأحكام والمعاني في النصّ القرآني. فالمجمال في الاصطلاح الأصولي هو: اللفظ الذي يتوقّف فهم معناه المقصود على بيان خارجي، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، فهذا أمرٌ بإقامة الصلَاة وإيتاء الزكاة، وهو مجمل؛ لأنّه لا يُبيّن عدد الرّكعات، وهيئة الصلَاة، ومواقيتها، ولا يُبيّن أنصبة الزكاة ومقاديرها، ولا أنواع الأموال الخاضعة للتزكية، ولا الشروط، فقام ﷺ بتفصيل هذا المجمال<sup>(١)</sup>.

فالله تعالى هو الذي أوكل لرسوله ﷺ هذه المهمّة بقوله جلّ في علاه: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، فهي آية مؤسّسة لدور النبوة في تفصيل المجملات القرآنيّة.

وفي أحكام المواريث جاءت بعض الآيات بشكل مجمل، فقام رسول الله ﷺ بتفسيرها عملياً ولفظياً، وبين الحالات المختلفة للميراث، ولا سيّما في التنازع

(١) ينظر: المستصفى في علم الأصول: ١/ ٦٨. والبرهان في أصول الفقه: ١/ ١٩٨، والإحكام في أصول الأحكام: ٣/ ٣٠، والإتقان في علوم القرآن: ١/ ١٨٣.

بين الورثة<sup>(١)</sup>. هذا فضلاً عن وجود ألفاظٍ قرآنيّةٍ تحتملُ أكثر من معنى، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ﴾ [التكوير: ١٧]، فقد فسّرت كلمة ﴿عَسَّسَ﴾ بوجهين: الأوّل: أقبّل، والثاني: أدبر، فجاء التفسير النبويّ ليرجّح أحدَ المعنيين بحسبِ السياق، أو يوفّق بينهما بحسبِ شمولِ اللغة<sup>(٢)</sup>.

وهناك واحدٌ من أهمّ الأدوار التفسيرية التي اضطلع بها النبيّ ﷺ، تولى خلاله مهمّة توضيح أسباب نزول الآيات القرآنيّة، وهو ما يُعرف في علوم القرآن بـ(علم أسباب النزول)، الذي يُعدُّ من مفاتيح فهم النصّ القرآني. فالآياتُ كثيراً ما تنزلُ استجابةً لحادثةٍ أو جواباً لسؤال، وكان النبيّ ﷺ يُخبر الصحابةَ بالسياق الذي نزلت فيه الآية، فيكون ذلك قرينة تفسيرية مهمّة تساعد على تحديد المراد الدقيق منها. وقد أشار السيوطي إلى أنّ ((معرفة سبب النزول تُعين على فهم الآية فهماً صحيحاً، فإنّ العلم بالسبب يُورث العلم بالمسبّب))<sup>(٣)</sup>.

وخلاصة ما رسّخه رسولُ الله ﷺ من مبادئ التفسير العامّة أنّه ربط النصّ بالواقع، وذلك بتوضيح الملابسات، وأرشدهم إلى وجوب التمييز بين العامّ والخاصّ، طالما أنّ بعض الآيات وإن نزلت في واقعةٍ محدّدة، إلاّ أنّه نبّههم على عموم حكمها أو خصوصيّة، ومنعهم من التأويل العشوائي، فضيّق دائرة الاحتمالات التفسيرية، ووجّه الفهم نحو المعنى المقصود.

(١) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن: ٢ / ١٢٦-١٢٧.

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن: ٣٠ / ٩٤.

(٣) الإتقان في علوم القرآن: ١ / ٣٠.

## المبحث الثاني: عليّ ﷺ المفسّر الأوّل في مدرسة أهل البيت ﷺ

إنَّ طَرَقَ حَدِيثٍ ((عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ لِي مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ)) عَدِيدَةٌ، مِنْهَا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: ((إِنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ أَوْتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَقَدْ عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يُفْتَحُ لَهُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ))، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: ((عَلَّمْتُ عَلِيًّا أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ))<sup>(١)</sup>. وَبِذَلِكَ جَعَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَابَ مَدِينَةِ عِلْمِهِ، فَقَالَ: ((أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا، فَمَنْ أَرَادَ الْمَدِينَةَ فَلْيَأْتِ مِنَ الْبَابِ))<sup>(٢)</sup>، وَهُوَ قَوْلُ مَسْئُولٍ، يُعَبَّرُ عَنْ مَوْقِعِ الْإِمَامِ عَلِيِّ ﷺ بِوَصْفِهِ مَرْجَعًا عِلْمِيًّا أَعْلَى، وَمَصْدَرًا لِفَهْمِ جَمِيعِ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَمِنْ أَهْمِّهَا عُلُومَ الْقُرْآنِ. وَلَقَدْ أُثْبِتَ الْوَقَائِعُ سَمُو مَنْزِلَةِ عَلِيِّ ﷺ الْعِلْمِيَّةِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ: ((مَا عَلَّمْتُ أَنْ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْ عَلِيٍّ، لَقَدْ عَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْفَ بَابٍ، يَفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ))<sup>(٣)</sup>. وَعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ، قَالَ: ((سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: أَعْلَمُ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي عَلِيٌّ))<sup>(٤)</sup>. وَابْنُ أَبِي طَالِبٍ، عَلَّمَهُ أَلْفَ بَابٍ مِنَ الْعِلْمِ، يَفْتَحُ مِنْ كُلِّ بَابٍ أَلْفَ بَابٍ<sup>(٥)</sup>.

وَهَذَا يَضَعُ عَلِيًّا ﷺ فِي الصَّدْرَةِ الْمَطْلُوقَةِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَأَوَّلَهَا التَّفْسِيرَ تَبَعًا لِقَوْلِهِ ﷺ: ((مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَلِمْتُ أَيْنَ نَزَلَتْ، وَفِيْمَنْ نَزَلَتْ، وَفِي أَيِّ شَيْءٍ نَزَلَتْ))<sup>(٥)</sup>. وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ مَعْجَمَ الطَّبْرَانِيِّ مِنْ أَهَمِّ كُتُبِ الْحَدِيثِ، وَهُوَ مَصْدَرٌ مُوثِقٌ فِي الدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ لَدَى أَغْلِبِ الْمَدَارِسِ الْفِقْهِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرضا والضلال والزندقة: ٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٩ / ١٦٥.

(٣) تاريخ بغداد: ٢ / ٦١، والطرائف في معرفة مذاهب الطوائف: ٤٣.

(٤) الهداية الكبرى: ٢٣٧، وفي كتبنا ورد في الكافي: ١ / ٢٤، وبصائر الدرجات الكبرى: ١٢٣.

وغيرها.

(٥) المعجم الكبير: ١ / ٧٥، حديث رقم: ١٨٧.

وعن الأصبع بن نباتة: ((لَمَّا قَدَّمَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الكوفة، صَلَّى بِهِمْ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا وَهُوَ يَقْرَأُ عَلَيْهِمْ: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ الْمَنَافِقُونَ: لَا وَاللَّهِ مَا يُحْسِنُ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَلَوْ أَحْسَنَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ لَقَرَأَ بِنَا غَيْرِ هَذِهِ السُّورَةِ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ، قَالَ: وَيْلٌ لَهُمْ، إِنِّي لِأَعْرِفُ نَاسِخَهُ مِنْ مَنْسُوخِهِ، وَمَحْكَمِهِ مِنْ مِثْلَابِهِ، وَفَصْلِهِ مِنْ فَصَالِهِ، وَحُرُوفِهِ مِنْ مَعَانِيهِ، وَاللَّهِ مَا مِنْ حَرْفٍ نَزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا وَإِنِّي أَعْرِفُ فِيْمَنْ نَزَلَ، وَفِي أَيِّ يَوْمٍ، وَفِي أَيِّ مَوْضِعٍ. وَيْلٌ لَهُمْ، أَمَا يَقْرَءُونَ: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى \* صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٨-١٩]، وَاللَّهِ عِنْدِي وَرَثَتُهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ أَنْبَى لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى. وَيْلٌ لَهُمْ، وَاللَّهِ أَنَا الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِي ﴿وَتَعِيهَا أُذُنٌ مُؤَمَّرَةٌ \* أَوَّلَىٰ غَيْرِهَا﴾ [الحاقة: ١٢]، فَإِنَّمَا كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُخْبِرُنَا بِالْوَحْيِ فَأَعْيَهُ أَنَا وَمَنْ يَعْيِهِ، فَإِذَا خَرَجْنَا قَالُوا: مَاذَا قَالَ أَنْفَأُ؟))<sup>(١)</sup>.

إِنَّ عِلَاقَةَ عَلِيٍّ عليه السلام بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ لَا تُشَبِّهُهَا أَيُّ عِلَاقَةٍ؛ لِأَنَّ عِلَاقَتَهُ الرُّوحِيَّةَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمْتَدُّ مِنْذُ أَيَّامِ طِفْلُوته وَصَبَابِهِ؛ إِذْ رَبَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِهِ قَبْلَ الْبَعْثَةِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ، فَكَانَ شَاهِدًا مُبَاشِرًا لِلْوَحْيِ وَمُطَّلِعًا عَلَى بَدَايَاتِ وَخَفَايَا نَزُولِ الْقُرْآنِ. قَالَ عليه السلام فِي خُطْبَةٍ لَهُ: ((وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ امَّةٍ، يَرْفَعُ لِي كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يَجَاوِرُ فِي حِرَاءٍ، فَرَأَيْتُهُ وَمَا يَرَاهُ أَحَدٌ غَيْرِي، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ))<sup>(٢)</sup>. وَكَانَ كَاتِبَ الْوَحْيِ فِي زَمَنِ الْبَعْثَةِ، وَأَوَّلَ مَنْ جَمَعَ الْقُرْآنَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَتَّبَهُ عَلَى وَفْقِ تَرْتِيبِ النُّزُولِ، وَهُوَ مَا وَرَدَ فِي مَصَادِرِ الْمَدْرَسَتَيْنِ مَعًا.

(١) ورد الحديث بتفاوت قليل في الألفاظ في: تفسير العياشي: ١/ ١٤، والبرهان في تفسير القرآن: ١/ ٣٧، وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ: ١٠/ ٥٢، والنسخ بين المفسرين والأصوليين: ٥٧، وتدوين القرآن: ١١٩.  
(٢) نهج البلاغة، خطبة رقم: (١٩٢)، ٢٦١.

قال السيوطي: ((أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق ابن سيرين قال: قال علي: لَمَّا مات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آيَتْ أَنْ لَا أَخْذَ عَلِيٌّ رَدَائِي حَتَّى أَجْمَعَ الْقُرْآنَ، فَجَمَعَهُ))<sup>(١)</sup>.

وقد علق ابن حجر على رواية ابن سيرين، قائلاً: ((وإنما خصَّ عليٌّ بذلك؛ لأنَّه اعتزل عن بيعة أبي بكر، وفرغ لجمع القرآن))<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد خير، قال: ((سمعت عليًّا يقول: لَمَّا توفِّي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشتغلتُ بجمع القرآن))<sup>(٣)</sup>.

ورود في مصادرنا: ((ثمَّ إنَّ عليًّا آلا على نفسه أن لا يرتدي برداءٍ حتَّى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيَّام يجمعه على ترتيب نزوله))<sup>(٤)</sup>. ومثله: ((إنَّ عليًّا لَمَّا فرغ من تجهيز النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع القرآن من أوَّلِهِ إلى آخرِهِ، وألَّفَ بينه على ما أنزلَ اللَّهُ))<sup>(٥)</sup>.

ومثله: ((وأما عليٌّ فجمعه بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ترتيب نزوله، وأتى به إلى الصحابة، لكنَّهم ردُّوه))<sup>(٦)</sup>.

ويمكن تلخيص مديَّات الإمام الإمام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالتفسير أنَّ حبر الأُمَّة ابن عبَّاس الذي امتدحه الجميع؛ بما فيهم ابن تيميَّة مثلما مرَّ علينا، وجعلوه أهمَّ المفسِّرين، ولقَّبوه (ترجمان القرآن)، قال: ((ما أخذتُ من تفسير القرآن، إلَّا عن عليِّ بن أبي طالب))<sup>(٧)</sup>.

(١) الإتيان في علوم القرآن: ١/ ١٦٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري: ٩/ ١٢.

(٣) المصاحف: ١٠-١١.

(٤) الاحتجاج: ١/ ٣٨٢.

(٥) الكافي: ٢/ ٦٣٣.

(٦) تفسير الصافي: ١/ ٤٨-٤٩.

(٧) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ١/ ١٤.

وقال في مناسبةٍ ثانية: ((ما في القرآن آية إلا وقد سألت عنها علي بن أبي طالب))<sup>(١)</sup>. وهذا ما أكده الأصفهاني بقوله: ((كان علي بن أبي طالب أعلم الناس بالقرآن وتأويله، وأفقههم في الأحكام))<sup>(٢)</sup>. وهذا مصداق لقول النبي ﷺ: ((علي مع القرآن، والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))<sup>(٣)</sup>. وهو حديث قال عنه الحاكم: ((هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه))<sup>(٤)</sup>. وصححه الألباني<sup>(٥)</sup>.

ولم يكن تفسير الإمام علي ﷺ محصوراً بوقتٍ أو بمناسبةٍ، فهو كان دائم الاستشهاد بآي القرآن وشرحها في خطبه وأحكامه وأقواله، ومن أقواله: ((القرآن أمرٌ زاجرٌ، وصامتٌ ناطقٌ، حجة الله على خلقه، أخذ عليهم ميثاقه، وارتهن عليهم أنفسهم...))<sup>(٦)</sup>.

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٣١٩/٢.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ٦٤/١.

(٣) المستدرک على الصحيحين: ١٢٤/٣.

(٤) م. ن: ١٢٤/٣.

(٥) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم: ١٧٢٥.

(٦) نهج البلاغة، الخطبة رقم (١٣٣): ١٩٨.

### المبحث الثالث: التفسير عند الأئمة المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

حديث سلسلة الذهب: عن الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ((حدثني أبي، محمد بن علي، عن أبيه، علي بن الحسين، عن أبيه، الحسين بن علي، عن أبيه، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن جبرئيل، عن الله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال: كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي)). ثم قال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ((بشروطها، وأنا من شروطها))<sup>(١)</sup>.

وسمي هذا الحديث بهذا الاسم؛ لأن جميع رجاله معصومون، ومن أجل وأعظم الثقات في العقيدة، كان الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ أولهم، والحجة القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ آخرهم، وهم كلهم نهلوا علومهم عن أبيهم علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ عن جدّهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن الله سبحانه وتعالى.

#### الحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وعلم التفسير:

على الرغم من أن ما وصلنا عنهما قليل مقارنة بأبيهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكن اهتمامهما بالقرآن وتعليمه شغل حيزاً مهماً من وقتهما، فهما ورثا عن جدّهما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأبيهما الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ علوم الكتاب؛ لأنهما ارتبطا منذ صغرهما بالوحي والقرآن، وهو ارتباط أبدى بدلالة قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((لا يفترقان)). وقد كانت مجالس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومجالس الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ مجالس تعليم وتأويل وتفسير لهما ولغيرهما، فضلاً عن التعليم الخاص. وقد ورد عن الإمام الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله: ((ورثنا هذا القرآن عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علماً وحكماً، وتأويلاً وتنزيلاً))<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهرت عنهما عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مرويات وتأويلات تبرز عمق فهمهما للنص القرآني. وهناك روايات متفرقة لهما في التفسير، وإن لم تكن كثيرة؛ لكنّها تُعبرُ

(١) عيون أخبار الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٢ / ٢٥٦-٢٥٧، والتوحيد، الصدوق: ٣٠٦.

(٢) تفسير القمي: ٢ / ٤٤١.

عن خطِّ اتِّصالٍ علميٍّ وتأويليٍّ، ومنها على سبيل التمثيل: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]، فقد جاء في روايةٍ للإمام الحسن عليه السلام قوله: إنَّها تشيرُ إلى ((من يعطي مَّما يحبُّ، ويصبر على الجراح))<sup>(١)</sup>. وفي قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ﴾ [النور: ٣٦]، إذ ورد في تفسير الإمام الحسين عليه السلام أنَّها نزلت في بيوت الأنبياء، وعلى رأسها بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، استناداً إلى رواية النبي صلى الله عليه وآله حين أشار إلى بيتها في أثناء تلاوة الآية<sup>(٢)</sup>.

لكنَّ تفسير الإمام الحسين عليه السلام انماز بمنحى تأويليٍّ عميقٍ، ولاسيَّما في تفسير الآيات التي تتعلَّق بالعدل والقيادة والمصير، ما يعكس نزوعاً فلسفياً وروحياً في قراءة القرآن، وهي السمة التي ستتجدَّر لاحقاً في مدرسة الأئمة المعصومين عليهم السلام من أبنائه.

لقد مهَّد الحسنان عليهما السلام الطريق لفهم القرآن من منظور أهل البيت عليهم السلام، من خلال تربيتهم لأبنائهم زين العابدين، والباقر عليهما السلام، وفي شهاداتهم العملية على أنَّ التفسير لا ينفصل عن مشروع الهداية والحق السياسي والمعرفي، وهذه ترجمة حقيقية لمنهج رسول الله صلى الله عليه وآله، انفرادها أُل البيت عليهم السلام عن غيرهم.

#### المنهج التفسيري للإمام زين العابدين عليه السلام:

لم تكن فاجعة كربلاء محصورةً بمكانٍ ولا زمانٍ، وإنَّما كانت زمناً مفتوحاً يمتدُّ عبر التاريخ على عرض مساحة الأرض وطولها، فبعدها، ومنذ الأيام الأولى لنهايتها المأساوية، دخل البيت العلوي في مرحلة جديدة طابعها الألم السياسي والروحي، وهذا مثل لحظة مفصلية في تعميق مشروع أهل البيت عليهم السلام في الجانب العقائدي، ومنه في تفسير القرآن، الذي كان الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ت: ٩٥هـ) أوَّل من حمَّله في تلك الظروف القهرية.

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠/٣٢٣.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٥٠/٥.

لقد وظّف الإمام ﷺ تلك المأساة وظروفها ليحوّل بها التفسير إلى أداة للمقاومة الهادئة، ووسيلة لبناء الوعي الديني الذي تعرّض إلى صدمة عميقة بعد استشهاد الإمام الحسين ﷺ. ولاسيّما أنه القائل: ((لومات من بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي))<sup>(١)</sup>. ومّا انماز به الإمام زين العابدين ﷺ أنه كان جامعاً بين المعرفة الظاهرة والباطنة، فهو: ((الإمام، السيّد، زين العابدين، وكان له سوّدٌ وجلالةٌ، وعبادةٌ وورعٌ))<sup>(٢)</sup>.

وفي ظلّ الحصار النفسي والسياسي الذي فرض على أهل البيت ﷺ بعد كربلاء، تجنّب الإمام زين العابدين ﷺ المواجهة المباشرة، فحوّل تفسيره للقرآن إلى خطاب تعبديّ صوفيّ عبر أدعيته؛ التي كانت منشورات سياسية توجيهية، كشف كلّ دعاءٍ منها عن فهم قرآنيّ عميقٍ لمعاني التوبة، والعدل، والتوحيد، والمصير، والمجتمع الصالح<sup>(٣)</sup>. وهي بمجموعها يمكن اعتبارها تفسيراً روحياً وتربوياً للقرآن على وفق منهج جديد، نجح به في ترسيخها في عقول المسلمين.

كان تفسير الإمام زين العابدين ﷺ تأويلاً أخلاقياً وروحياً، فقد ركّز على المفاهيم الكبرى كالخشية، والرحمة، والابتلاء، والإخلاص، في ضوء القرآن، ومن ذلك تأويله لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، بقوله: ((جنّة الله ليست في الزينة والقصور؛ بل في قربه ورضاه))<sup>(٤)</sup>.

لقد جاهد الإمام زين العابدين ﷺ لتوظيف التفسير لحماية النصّ من التأويل السلطويّ في مرحلة تعرّض فيها القرآن الكريم لاستخدام سياسيّ شديد من قبل الأمويّين لتبرير سلطانهم. فكانت مواقفه ردّاً على هذا الاستخدام السيّء

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١٠٦/١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣٨٧/٤.

(٣) ينظر: الصحيفة السجادية، دعاء رقم ٢٠: ٢١٨.

(٤) بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار: ١٤٠/٧٥.

والمحرّف، بإبرازِ جوهر الرسالة القرآنيّة بوصفها رسالة تحرير ورحمة، لا وسيلة قهر واستلاب. ومن ذلك ما روي عنه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣]، التي قال فيها: ((إنّها نزلت في أهل البيت، لا في من تسلّطوا على الأُمّة بالسيف))<sup>(١)</sup>.

وبذلك كان الإمام زين العابدين (عليه السلام) يمثّل حلقة الوصل بين تفسير عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام)، والمدرسة التأويليّة الكبرى التي بدأت تتبلور على يد ابنه الإمام محمد الباقر (عليه السلام)، فقد حفظ الإمام السجّاد (عليه السلام) كثير من تعاليم آبائه، ومهد الأرضيّة لمشروع تفسير شمولي قائم على القرآن والعقل والوجدان، انمازت به مدرستنا عن المدارس الأخرى، ولا زالت جذوره راسخة فيها إلى اليوم.

تفسير باقر العلوم (عليه السلام):

بعد أن ورث الإمام محمد الباقر (عليه السلام) (ت: ١١٤ هـ) هذا الموروث الفريد، تبنّى تأسيس التفسير الإمامي المنهجي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، بعد أن كانت في زمن آبائه أقرب إلى التلقّي النخبوي والنقل المحدود، بفعل الظروف السياسيّة المحيطة بهم؛ وذلك لأنّ في عهده تنفّس البيت العلويّ نسبياً بعض نسيم الحرية من الحصار الأموي المشدّد، وهذا ما أتاح للإمام الباقر (عليه السلام) البدء بمشروع علمي شامل لتفسير القرآن، غلب عليه الطابع العقلي والروحي، وهو بذلك كان المؤسس الحقيقي لمدرسة التفسير الإمامي المعروفة اليوم.

لقد أجمعت نقول المدارس الفقهيّة على فضله وعلو منزلته، فهو: ((أحد من جمع العلم والعمل والسؤدد، وكان أحد سادة التابعين))<sup>(٢)</sup>، وقد تلقّى العلم عن أبيه زين العابدين، وجدّه الحسين (عليهم السلام)، وروى عن جابر بن عبد الله الأنصاري،

(١) تفسير القمي: ٤٥/٢.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٣١٦/٥.

مما جعله حلقةً فريدةً تصلُ بين الإمامةِ والصحابة، وبين التفسيرِ النبويِّ والرؤيةِ الباطنيَّةِ للقرآن. قال عنه جابر: ((إنَّه الباقِر، قد بقَرَ العلمَ بقراً))<sup>(١)</sup>، أي: شقَّه واستنبطه بدقَّة.

وفي مجلسٍ وعظه نشأت علومُ القرآن عند الإماميَّة، التي اهتمَّت بالفرعيَّات، مثل: معرفة الناسخ والمنسوخ، شرح المحكم والمتشابه، تحليل الظاهر والباطن، تفسير الآيات الكونيَّة والأخلاقيَّة والسياسيَّة. فهو مثل آباءه ﷺ وضع كامل ثقته في القرآن الكريم، مثلما يفهم من قوله ﷺ: ((ما من أمرٍ يختلف فيه اثنان، إلاَّ وله أصلٌ في كتاب الله، ولكن لا تبلغه عقولُ الرجال))<sup>(٢)</sup>، وهو تصريحٌ أسَّس به لمبدأ تفسير القرآن بالقرآن، وبما تحتمله طبقاته المعنويَّة.

وفي منهجه التفسيريِّ، ركَّز الإمام ﷺ على محاور مركزيَّة عدَّة، منها:

- إبرازُ مركزيَّة التوحيد العادل، لا التوحيد الجبري.
- تأكيد القيادة الشرعيَّة للهداة من أهل البيت ﷺ، ولاسيما في تأويل آيات الإمامة.

- الدفاع عن حرية الإنسان ومسؤوليَّته.

- رفضُ التفسيرِ الاستبدادي للنصوص.

- توظيفُ العقيدة لتحدي الطغاة، والوقوف بوجههم؛ لمنع تحريفهم وتدليسهم. ويعني هذا أنَّ منهجه التفسيري كان تحدياً حقيقياً للطغاة، ومرشداً للأمة. ومن ذلك على سبيل التمثيل تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، بقوله ﷺ: ((المنذرُ رسولُ اللهِ ﷺ، والهادي من بعده عليُّ بنُ أبي طالبٍ ﷺ)، وفي

(١) الكافي: ١/ ٤٧٢.

(٢) عيون أخبار الرضا ﷺ: ١/ ٢١٧.

كلِّ زمانٍ إمامٌ منَّا))<sup>(١)</sup>. ومن ذلك يتضح أن، انماز تفسيره لم يكن نقلياً صرفاً؛ لأنه استخدم الرواية عن النبي ﷺ والصحابة، والتحليل اللغوي العميق، والرمزية التأويلية، ولاسيما في الآيات المتعلقة بالقيادة والآخرة. وهذا ما جعله مرجعاً لتفسيرين متوازيين: التفسير الظاهري الشرعي، والتفسير الباطني الروحي.

وقد تخرَّج من مدرسته المئات من الرواة والمفسرين، أبرزهم ابنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام، الذي أكمل مشروع التفسير. فضلاً عن ذلك نجد أن كتب التفسير الإمامي اللاحقة مثل تفسير القمي، وتفسير العياشي اعتمدت أقواله بوصفه مصدرًا أصيلاً لعلم التفسير الصحيح. وهذا لا يعني أن التفاسير قبل ذلك كان فيها خطأ ما، وإنما كانت تفسيرات تتماهى مع الحقبة التاريخية.

وقد وثق العياشي عليه السلام عشرات الأحاديث التفسيرية المنقولة عن الباقر عليه السلام، ممَّا يجعله بحق ((أول مدوّن فعلي لتفسير القرآن داخل البيت العلوي))<sup>(٢)</sup>، ومن ثم شكّلت روايات الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام أساساً لما عرف فيما بعد بالتفسير الروائي الشيعي. وإليهما نسبت تفاسير موثقة في كتب مهمة مثل تفسير العياشي وتفسير القمي، حتى قيل: ((وروي عن الأئمة من آل البيت عليهم السلام تفسير كثير للآيات، وقد اعتمد عليه أصحابنا، وأكثره عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام))<sup>(٣)</sup>، وقيل بشأن ذلك: ((إن أقدم التفاسير المعروفة عند الشيعة ما روي عن الإمامين الباقر والصادق، وقد جمعها القمي والعياشي والفرات الكوفي في كتبهم))<sup>(٤)</sup>.

وهناك أقوال أخرى أكدت هذه الحقيقة، منها قول: ((اعتمد الشيعة على الروايات عن أئمتهم في التفسير، لا سيما ما نقل عن الإمامين الباقر

(١) تفسير العياشي: ٢/٢٦٧.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن: ١/٩٨.

(٣) م.ن: ١/١٥.

(٤) الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ٤/٢٩٥.

والصَّادِقِ ﷺ، وقد جمعت هذه الروايات في تفسيرِي القمِّيِّ والعيَّاشيِّ وغيرهما))<sup>(١)</sup>. ومثله قول: ((اهتمَّ الشيعةُ الإماميَّةُ برواياتِ أئمتِّهم، واعتبروها تفسيراً للقرآن. وتعود أقدم رواياتهم إلى الإمامين الباقرِ والصادقِ، وتروى في تفسيرِ القمِّيِّ والعيَّاشيِّ))<sup>(٢)</sup>. ومثله أيضاً، قولهم: ((كان أئمَّةُ الشيعة، وبالذاتِ محمَّدُ الباقرِ وجعفرُ الصادقِ، يُعتبرون مصدراً أساسياً للمعرفةِ الدينيَّةِ، وقد أسهموا إسهاماً كبيراً في التفسيرِ الروائيِّ الإماميِّ، وُجمعت أقوالهم لاحقاً في كتبٍ مثل تفسيرِ العيَّاشيِّ))<sup>(٣)</sup>.

### الإمامُ جعفرُ الصادقُ ﷺ ومنهج التَّأويلِ العقليِّ:

مع بدءِ إمامةِ إمامنا جعفرِ الصادقِ ﷺ في أواخرِ النصفِ الأوَّلِ من القرنِ الهجريِّ الثاني، كانت مدرسةُ التفسيرِ الإماميِّ قد بلغت مرحلةً عاليةً من النضجِ المعرفيِّ، بعد أن اتَّسعت آفاقُ التَّأويلِ القرآنيِّ لتشملِ الفهمِ العقليِّ، والرمزيِّ، والروحيِّ، ضمنَ إطارٍ منضبطٍ لا يخرج عن مقاصدِ الشريعة، وذلك بعد أن نجح الإمامُ الصادقُ ﷺ في تحويلِ التفسيرِ من مجردِ شرحٍ لغويٍّ أو نقليٍّ إلى منظومةٍ معرفيَّةٍ شاملةٍ تتفاعلُ مع الفلسفة، والعلومِ الطبيعيَّةِ، وعلمِ الكلامِ، والفقه، وقد جاء ذلك تبعاً للتطوُّرِ المجتمعيِّ الحاصلِ.

ومن هنا، عُدَّ الإمامُ الصادقُ ﷺ مرجعاً في الحديث، والفقه، والكلامِ، والتفسيرِ. وقد تتلمذَ على يديه كثيرٌ مباشرةً أو بالوساطةِ منهم: أبو حنيفة ومالك بن أنس<sup>(٤)</sup>. ومن ثمَّ عكس هذا التنوع في تلاميذه مكانته كعالمٍ موسوعيٍّ تجاوز حدود الطائفة، ولاسيَّما في مجالِ التفسيرِ العقليِّ والإشاريِّ للقرآن.

(١) التفسير والمفسرون: ٢/ ٣٠٠.

(٢) تاريخ القرآن: ١٨٤.

(٣) العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ تطوُّرهما: ٢٢٣-٢٢٥.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٥٥.

وكانت من أولى الدعائم في منهجه التفسيري أنه جعل النصّ القرآني المصدر الأوّل للمعرفة، ويجب تفسير النصّ القرآني بالقرآن نفسه، ثمّ بالسنة والعقل، وكذلك أكدّ جنباً لم تأخذ حقّها في التوضيح، وهي أنّ لكلّ آية ظهراً وبطناً، و((لكلّ بطن بطنٌ إلى سبعة أبطن))، وهو ما فتح مجالاً واسعاً للتأويل الرمزيّ لا العبثي<sup>(١)</sup>، وهذا ما قال فيه الإمام عليه السلام: ((كتابُ الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم... هو الفصل ليس بالهزل، لا يخلق من كثرة الردّ، ولا تنقضي عجائبه))<sup>(٢)</sup>. وهو وصف شامل جامعٌ يشير إلى حيوية النصّ القرآني ومركزيّة العقل في تلقيه.

ومن أساليبه التفسيرية، تفسيره قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، بقوله عليه السلام: ((إنّ الله لا يظلم، ولكنّ العبد هو الذي يظلم نفسه بترك طاعة الله، فيجزى بعدلٍ لا يظلم))<sup>(٣)</sup>. وتفسيره قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١]، بقوله عليه السلام: ((القرآن يدلُّ على كلّ شيء، حتّى على أنفسكم، فابحثوا فيه عن طبائعكم، وأدوائكم، وشفائكم))<sup>(٤)</sup>. وتفسيره قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، أنّ المقصود بالأسماء هو: العلمُ الجامعُ بأصول الأشياء وأعيانها، الذي ورثه الأئمة من آدم عليه السلام إلى محمّد عليه السلام، ثمّ إلى العترة الطاهرة عليهم السلام<sup>(٥)</sup>.

وهو عليه السلام مثل آبائه، انمازت تفاسيره بنقد التأويل السلطوي الذي وظف النصّ الديني لتثبيت أركان حكمه، فهو كان يرى: ((إنّما يعرف القرآن من حوطب به، فأما غيرنا فليس يعرف من تأويله شيئاً. القرآن خاصّ وعامّ، ومحكم ومتشابه،

(١) ينظر: الكافي: ١/٣٧٤.

(٢) الأمالي، الصدوق، مجلس: ١٥٨/١٠.

(٣) تفسير العياشي: ٢/٢٧٠.

(٤) مجمع البيان في تفسير القرآن: ٩/٩٥.

(٥) ينظر: تفسير القمي: ١/٤٣.

وناسخٌ ومنسوخ. لا يقدر أحدٌ أن يدعي تفسيره إلا من خُوطبَ به - ثم قال -:  
إذا حُمِلَ القرآن على غير ما أنزلَ الله، هلكَ من لم يعلم التأويل، وإذا حُمِلَ على غير  
أهله ضلَّ النَّاسُ عن هديه))<sup>(١)</sup>.

وهو بذلك أسهمَ في ترسيخِ منهجِ مدرسةِ التفسيرِ الإمامي، إذ كانت تعاليمه  
النوابة لما سيتطوَّر لاحقاً في المدرسة الإمامية من علمِ الأصول، وعلمِ الكلام  
القرآني، والتفسيرِ الباطني المعقول، وتأويلِ الآياتِ على وفقِ نظرةٍ مقاصديةٍ  
وروحيةٍ. وقد نقل عنه تلامذته في تفسيرِ العياشي، والبرهان، وتفسيرِ القمِّي  
مئات الروايات التي شكَّلتُ أساسَ المنظومةِ التفسيريةِ الإمامية، التي سار عليها  
بقيَّةُ أئمةِ أهلِ البيتِ ﷺ فنقلوها لطلابهم وحاشيتهم، وبها تأثرت المدارسُ  
الأخرى.

(١) الكافي: ١ / ٦٢، باب نادرٌ جامعٌ في فضل القرآن، حديث رقم: ٥.

الخاتمة:

وَضَعَ أَهْلُ الْبَيْتِ الْكِرَامِ عليهم السلام أَسَسَ التَّفْسِيرِ الْفَقْهِي؛ الَّتِي وَرَثُوهَا عَنْ جَدِّهِمُ النَّبِيِّ الْأَكْرَمِ صلى الله عليه وآله، وَرَسَّخُوا قَوَاعِدَهُ فِي الْكَمِّ الْكَبِيرِ مِمَّا جَادُوا بِهِ عَلَى الْأُمَّةِ وَعَلَى أَتْبَاعِهِمْ وَطَلَبْتَهُمْ، وَالْجَمِيلُ فِي الْأَمْرِ أَنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ لَمْ يَبْقَ حَبِيسَ الدَّائِرَةِ الْإِمَامِيَّةِ؛ بَلْ تَسَرَّبَ مِنْهَا إِلَى مَدَارِسِ التَّفْسِيرِ الْأُخْرَى، سِوَاءٍ فِي الْمَضْمُونِ أَوْ الْمَنْهَجِ أَوْ الْآلِيَّةِ.

وَيُعَدُّ تَأْثِيرُهُمْ فِي الثَّرَاثِ التَّفْسِيرِيِّ الْإِسْلَامِيِّ أَحَدَ صُورِ الْإِسْهَامِ الْمَعْرِفِيِّ الْمَتَبَادَلِ، الَّتِي تَحَطَّتِ الْحَوَاجِزُ الْمَذْهَبِيَّةُ الصَّلْبَةُ لِتَوْسُّسِ لِلْوَحْدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الَّتِي عَمِلَ السِّيَاسِيُّونَ وَأَتْبَاعُهُمْ عَلَى تَدْمِيرِهَا، وَلَا سِيَّمًا بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تَفَاسِيرُ الْمَدْرَسَةِ الشَّيْعِيَّةِ قَدْ انْتَقَلَتْ مِنَ التَّفْسِيرِ الرَّمَزِيِّ إِلَى التَّفْسِيرِ الْعَقْلِيِّ بِالْاعْتِمَادِ عَلَى رِوَايَاتِ الْأُئِمَّةِ عليهم السلام مِثْلَمَا هُوَ تَفْسِيرُ الْقَمِّيِّ (ت: ٣٠٧هـ)؛ الَّذِي اعْتَمَدَ بِشَكْلِ شَبْهِ كَامِلٍ عَلَى أَقْوَالِ الْإِمَامِينَ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عليهما السلام، وَتَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ (ت: ٣٢٠هـ)؛ الَّذِي وَثَّقَ مِثَالَاتِ الرِّوَايَاتِ عَنِ الْأُئِمَّةِ الْمَعْصُومِينَ، بِأَسْلُوبٍ رِوَائِيٍّ خَالِصٍ، دُونَ تَدَخُّلِ مَنْهَجِيٍّ ظَاهِرٍ، وَتَفْسِيرِ الصَّافِيِّ لِلْفَيْضِ الْكَاشَانِيِّ (ت: ١٠٩١هـ)؛ الَّذِي جَمَعَ بَيْنَ الْبَعْدِ الرُّوحِيِّ وَاللُّغْوِيِّ وَالْعَقْلِيِّ، وَأَبْرَزَ دَوْرَ الْمَدْرَسَةِ التَّأْوِيلِيَّةِ الرُّوحِيَّةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وَتَفْسِيرِ الْمِيزَانَ لِلْعَلَامَةِ الطَّبَاطِبَائِيِّ (ت: ١٤٠٢هـ)؛ الَّذِي يَمْتَلِكُ قِمَّةَ النَّضْجِ فِي التَّفْسِيرِ الْعَقْلِيِّ الْقُرْآنِيِّ دَاخِلَ الْمَدْرَسَةِ الْإِمَامِيَّةِ، مُسْتَنْدًا إِلَى مَنْهَجِ أَهْلِ الْبَيْتِ عليهم السلام، وَمَبْنِيًّا عَلَى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي أَسَّسَهُ الْإِمَامَانِ الْبَاقِرُ وَالصَّادِقُ عليهما السلام، وَهُوَ مَا يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ((إِنَّ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةَ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ لَا تَشْرَحُ ظَاهِرَ الْآيَاتِ فَحَسَبَ؛ بَلْ تَسْبِرُ أَعْوَارَهَا، وَتَكْشِفُ بَاطِنَهَا بِمَا يَتَوَافَقُ مَعَ رُوحِ التَّنْزِيلِ))<sup>(١)</sup>.

(١) الميزان في تفسير القرآن: ١١ / ١.

من هنا بدأت الآثار الفعلية للتفسير الإمامي تظهر على الرغم من الحساسية العقديّة، إذ تسللت أقوال أهل البيت ﷺ إلى كتب التفسير في المدارس الأربعة، في مسارين مهمّين:

الأوّل: النقل الروائي، مثلما ظهر لدى الطبري (ت: ٣١٠هـ) في تفسيره، فقد ذكر الإمام عليّاً، والحسن، والحسين، والباقر ﷺ أحياناً عند تفسيره للآيات المتصلة بأهل البيت ﷺ وفصائلهم. فضلاً عن ذلك أورد السيوطي (ت: ٩١١هـ) في الدرر المنتثر أقوالاً عن الإمامين الباقر والصادق ﷺ، منها في تأويل آية التطهير<sup>(١)</sup>، وآية الولاية<sup>(٢)</sup>.

والثاني: المدرسة الصوفيّة وبعض الاتجاهات الكلاميّة السنيّة التي تأثرت منهجياً، فنقلت فكرة (الباطن القرآني) التي برزت عند أهل البيت ﷺ إلى تفاسيرها، مثل التفسير الإشاري عند أبي عبد الرحمن السلمي النيسابوري (ت: ٤١٢هـ)، وعبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري (ت: ٤٦٥هـ).

والتفسير الإشاري هو أحد أهم أنماط التفسير الصوفي للقرآن، يمتاز بالنظر الباطني في الآيات، والبحث عن إشارات روحية، وأسرار إلهية، تتجاوز ظاهر النصّ دون أن تنفيه. وهذان الشيخان من أبرز أعلام هذا الاتجاه، وهما من أوائل من دوّن هذا النوع من التفسير بصورة مستقلة.

وكذا فإن تأكيد البعد المقاصدي للآيات، الذي بدأه الإمام جعفر الصادق ﷺ، نجده لاحقاً عند أمثال إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) في الموافقات، وإن كان ضمن سياق مختلف. ومن هنا ظهرت في القرن الرابع الهجري تفاسير إشارية مثل: التفسير الكبير لأبي

(١) الأحزاب: ٣٣.

(٢) المائدة: ٥٥.

الحسن أحمد بن عيسى الرُّوذباري (ت: ٣٢٢هـ)، وتفسيري القشيري، والسلمي المذكورين. وهي جميعها تعكس توجُّهاً روحياً باطنياً يتوافق منهجياً في بعض جوانبه مع تفسير أهل البيت عليهم السلام، ولاسيما في قراءتها الرمزية لآيات التوحيد والمعرفة والتطهير. من ذلك قول القشيري: ((للقرآن ظاهرٌ وباطنٌ، ولكل باطن باطنٌ، وكل من فتح الله عليه من معانيه فهو من فيض النبوة، ووراثه أهل البيت))<sup>(١)</sup>.

كان هذا التوافق بين المدرسة الإمامية والمدارس الأخرى قد أسس قاعدةً جوهريةً تركت أثرها في العصر الحديث، بعد أن تجدد الاهتمام بتفسير أهل البيت عليهم السلام بوصفه مدرسة معرفية متكاملة، يمكن الاستفادة منها في القراءات المقاصدية كما هو عند فضل الله والسبحاني. والقراءة الوجودية الروحية للقرآن كما هي عند محمد ديب شحرور أو محمد عابد الجابري، ولو من مداخل نقدية، والتأصيل لقراءة توحيدية عدلية تستند إلى مفاهيم القرآن كما قرأها الإمامان الصادق والباقر عليهما السلام.

ومنه نستنتج أن مدرسة التفسير عند أهل البيت عليهم السلام لم تكن مدرسة مذهبية مغلقة؛ بل كانت مشروعاً إسلامياً معرفياً روحياً تأسيسياً، انطلق من مركز النبوة، ثم توسع عقلاً وذوقاً في الإمامة. وكان لها أثر واضح في كل اتجاهات الفكر الإسلامي، فكل من تعامل مع القرآن بوصفه نصاً حياً، عادلاً، متعدد الأبعاد، إنما يقع بشكل ما في دائرة التفسير الإمامي، وإن لم يُصرح بذلك.

(١) الرسالة القشيرية في علم التصوف: ٢٩٧.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة/ الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٤ م.
- ٢- الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي (ت: نحو ٥٦٠)، تح: محمد باقر الخرسان، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م.
- ٣- الإحكام في أصول الأحكام، سيف الدين الآمدي، تحقيق: د. عبد الرزاق عفيفي، بيروت: دار الصميعي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- ٤- الاستذكار، ابن عبد البر، تح: عبد المجيد أندو، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٨.
- ٥- الأمالي، الشيخ الصدوق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣ م.
- ٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ١٤٠٣ هـ.
- ٧- البرهان في أصول الفقه، عبد الملك بن عبد الله الجويني، تح: عبد العظيم الديب، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ٨- البرهان في تفسير القرآن، السيّد هاشم البحراني، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٩- بصائر الدرجات الكبرى، الصفار القمي، تح: محمد البهودي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٤ هـ.
- ١٠- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، تح: محمود شاكر، دار إحياء التراث العربي.
- ١١- تاريخ القرآن، د. عبد الصبور شاهين، دار الشروق، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٩ م.

- ١٢- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
- ١٣- تدوين القرآن، علي أكبر الزنجاني، ترجمة: الشيخ محمّد سعيد الطريحي، بيروت، دار الهادي، ٢٠٠٦م.
- ١٤- تفسير الصافي، الملا محمّد محسن بن مرتضى الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م.
- ١٥- تفسير العياشي، محمّد بن مسعود العياشي، تح: السيّد هاشم الرسولي المحلّاتي، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، طهران، ١٣٨٠هـ.
- ١٦- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، تح: مصطفى أبو سعد، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٩.
- ١٧- تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي، تح: طيب الموسوي الجزائري، قم، دار السرور، ١٤٠٤هـ.
- ١٨- التفسير والمفسرون، محمّد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٦م.
- ١٩- التوحيد، الشيخ الصدوق، تح: السيّد هاشم الحسيني الطهراني، نشر جماعة المدرسين، قم، ط٢، ١٤١٠هـ.
- ٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمّد بن جرير الطبري، تح: محمّد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٠.
- ٢١- الجامع لأحكام القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر القرطبي، تح: محمّد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧.

- ٢٢- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد أبو نعيم (ت: ٤٣٠هـ)، دار السعادة، القاهرة، ١٩٨٥م.
- ٢٣- الدرّ المثور في التفسير بالمأثور، السيوطي، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٣م.
- ٢٤- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، آغا بزرك الطهراني (ت: ١٣٨٩هـ)، دار الأضواء، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م.
- ٢٥- الرسالة القشيرية في علم التصوّف، عبد الكريم القشيري، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٢م.
- ٢٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- ٢٧- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: محمّد محيي الدين عبد الحميد. بيروت، دار الفكر، د.ت.
- ٢٨- سنن الترمذي، محمّد بن عيسى الترمذي، تح: أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
- ٢٩- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح: شعيب الأرنؤوط، بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- ٣٠- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، تح: محمّد عبد السلام، دار الفكر، ١٩٧٦م.
- ٣١- الصحيفة السجادية، علي بن الحسين السجاد عليه السلام، تح: السيّد محمّد باقر الموحد الأبطحي، قم، مؤسّسة النشر الإسلامي، ١٤٠٩هـ.
- ٣٢- الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، ابن حجر الهيتمي، تح: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧م.

- ٣٣- الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ابن طاووس، مؤسّسة الأعلمي، بيروت.
- ٣٤- العقيدة والشريعة في الإسلام: تاريخ تطوّرهما، جولد تسيهر، ترجمة: محمّد يوسف موسى وآخرون، دار الشروق، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٥ م
- ٣٥- عيون أخبار الرضا عليه السلام، محمّد بن علي بن بابويه القميّ المعروف بالصدوق (ت: ٣٨١هـ)، تح: حسين الأعلمي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ٣٦- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، تح: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت.
- ٣٧- الكافي، محمّد بن يعقوب الكليني، تح: مركز الأبحاث الإسلامي، قم، مؤسّسة آل البيت، ١٤٠٦هـ.
- ٣٨- الكشاف عن حقائق التنزيل، أحمد بن عمر الزمخشري، تح: محمّد عبد السلام هارون، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠٥.
- ٣٩- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ)، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٥ م.
- ٤٠- مجموع الفتاوى، أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية، دار ابن الجوزي، ١٩٩٩.
- ٤١- المستدرک على الصحيحين، محمّد بن عبد الله بن محمّد الحاكم، النيسابوري (ت: ٤٠٣هـ)، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٩٩٠ م.
- ٤٢- المستصفى في علم الأصول، الغزالي، تح: محمّد عبد السلام عبد الشيخ، بيروت، دار الكتب العلميّة، ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م
- ٤٣- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤١٤هـ.

- ٤٤- المصاحف، عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: آرثر جفري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ٤٥- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تح: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٩٨٣م.
- ٤٦- مقدّمة في أصول التفسير، ابن تيمية، تح: عبد الرحمن الفيواني، دار الصميعي، ١٩٩٦م.
- ٤٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمّد عبد العظيم الزرقاني، بيروت، دار المعرفة، ط ٥، ٢٠٠١.
- ٤٨- المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي، تح: محمّد عبد السلام المغربي، دار الكتب العلميّة، بيروت، ٢٠٠١.
- ٤٩- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ، محمّد الريشهري، قم، دار الحديث، ١٤٢٢هـ
- ٥٠- الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ١٩٩٧م.
- ٥١- النسخ بين المفسّرين والأصوليين، نور الدين عتر، دمشق، دار المكتبي، ط ٣، ٢٠٠١م.
- ٥٢- نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، تح: صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ١، ١٩٨٦م.
- ٥٣- الهداية الكبرى، الخصيبي، تح: الدكتور محمّد جواد مشكور، منشورات الأعلمي، بيروت، ١٩٩٩م.

تَصْنِيفٌ اقْتِرَاحِيٌّ جَدِيدٌ لِلأَدْوَارِ الْقُرْآنِيَّةِ التَّفْسِيرِيَّةِ لِلإِمَامِ أَمِيرِ  
المُؤْمِنِينَ ﷺ قِرَاءَةً تَحْلِيلِيَّةً

د. خالد غفوري الحسني  
جامعة المصطفى العالمية

A New Proposed Classification of the Qur'anic Exegetical  
Roles of Imam the Commander of the Faithful (Ali Ibn Abi  
Talib Peace Be Upon Him)  
An Analytical Reading

Dr. Khalid Ghafouri al-Hasani  
Al-Mustafa International University

## المُلخَص:

لقد ترك لنا الإمام أمير المؤمنين ﷺ تراثاً علمياً ثرياً ولا سيّما في العلوم القرآنيّة في قالب الروايات التفسيرية المأثورة؛ ولكنّ هذا التراث ما يزال به حاجة إلى اكتشاف معالمه، ومن جملة النوافذ التي يُمكن اكتشافها في هذا التراث الضخم هو تبويبه تبويباً فنياً؛ فإنّ هذه الروايات التفسيرية المأثورة عنه تتطلّب تبويباً يتناسب مع المهمّة التفسيرية، أي النظر إلى المرويّات المأثورة عنه بمنظار علم التفسير وتأمين الأهداف التفسيرية، ثمّ إنّ قسماً وافراً من الأثر القرآنيّ للإمام أمير المؤمنين ﷺ لم يتلبّس بلباس الروايات التفسيرية، ومن الواضح أنّ استبعاد هذا القسط المعتدّ به من تراث أمير المؤمنين عن الدائرة التفسيرية يُؤدّي إلى رسم صورة مجتزأة عن أثره في تفسير القرآن. والمقال الحاضر يتصدّى للإجابة عن السؤال الآتي: ما أثر أمير المؤمنين ﷺ التفسيريّ؟ والمنهج الذي نعتمده في الإجابة عن ذلك هو المنهج التحليليّ الاجتهاديّ المتعارف في الاتّجاه الأصوليّ السائد في حوزاتنا العلميّة بما يضمّ من مصادر الاستنباط وقواعده وضوابطه وأدوات الإثبات الوجدانيّ والتعبديّ، مع التركيز على كفيّة التعاطي الحذر والدقيق مع الدليل الروائيّ المأثور عن أمير المؤمنين، وكفيّة استلال المضمون القرآنيّ الكامن وراءه.

الكلمات المفتاحية: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، النصّ

### Abstract:

The Commander of the Faithful (peace be upon him) left us a rich scientific heritage, especially in the Qur'anic sciences, in the form of transmitted exegetical narrations. However, this heritage still requires the discovery of its features, and among the windows through which this vast heritage can be explored is its classification in an artistic manner. These transmitted exegetical narrations require classification suitable to the exegetical task, i.e., viewing the narrations attributed to him through the lens of the science of exegesis and ensuring the exegetical objectives. Furthermore, a considerable portion of the Qur'anic role of Imam the Commander of the Faithful (peace be upon him) is not expressed in the form of transmitted exegetical narrations, and it is clear that excluding this recognized portion from the exegetical domain leads to an incomplete image of his impact in Qur'anic interpretation.

The present article addresses the following question: What is the exegetical impact of the Commander of the Faithful (peace be upon him)? The methodology adopted in answering this question is the analytical and ijtihādī method common in the prevalent usūlī approach in our seminaries, encompassing sources of derivation, rules, standards, and tools of intuitive and devotional proof, with emphasis on careful and precise engagement with the transmitted narrational evidence from the Commander of the Faithful and the method of extracting the underlying Qur'anic meaning.

**Keywords:** Imam the Commander of the Faithful 'Ali ibn Abi Talib (peace be upon him), the Qur'anic text, exegetical role.

## المقدمة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا أَبِي الْقَاسِمِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَلَا سَيِّمًا سَيِّدِ الْوَصِيِّينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّجِينَ، عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَبَعْدُ

فَلَقَدْ تَرَكَ الإِمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ تَرَاثًا ثَرًا مَهْمًا، وَمِنْ ضَمَنِ هَذَا التُّرَاثِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالْبُعْدِ الْقُرْآنِيِّ، الَّذِي يَعْكَسُ مَدَى الأَثَرِ الَّذِي أَدَّاهُ ﷺ فِي هَذَا الْمَجَالِ، وَمَسْئُولِيَّتِنَا بِوَصْفِنَا بَاحْثِينَ تُمَلِّي عَلَيْنَا أَنْ نَفْحَصَ هَذَا التُّرَاثَ وَنُقَلِّبَهُ ظَهْرًا لِبَطْنِ لاِكْتِشَافِ مَا يَجُوهِيهِ مِنْ مَضَامِينٍ تُسَاعِدُ فِي تَعْمِيقِ تَصَوُّرَاتِنَا حَوْلَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَمَا يَخْتَزِنُهُ مِنْ تَعَالِيمٍ دِينِيَّةٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ .

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ مَحْدُودِيَّةِ الْفُرْصَةِ الَّتِي تُتَّاحُ لَنَا فِي هَذَا الْمَقَالِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسَاحَةِ، يَبْدُ أَنْهُ بِالإِمْكَانِ بَيَانُ بَعْضِ الْمُؤَشِّرَاتِ الْهَادِيَةِ إِلَى عُلُوِّ الْقِيَمَةِ الْعِلْمِيَّةِ لِهَذَا التُّرَاثِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التَّكْلَانُ .

### - الإِشْكَالِيَّةُ الَّتِي يَتَصَدَّى الْبَحْثُ لِمَعَالَجَتِهَا:

كُلُّ بَاحْثٍ فِي التُّرَاثِ الإِسْلَامِيِّ يَعْرِفُ إِجْمَالًا أَنَّ لِلإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَثْرًا كَبِيرًا فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَتَبْيِينِ تَعَالِيمِهِ وَمَفَاهِيمِهِ، وَقَدْ تَكَفَّلَتْ الْكُتُبُ الَّتِي صُنِّفَتْ فِي مَجَالِ الرُّوَايَاتِ التَّفْسِيرِيَّةِ كَالْتَفَاسِيرِ الرُّوَايَةِ وَنَحْوِهَا بِعَرْضِ الرُّوَايَاتِ الْمَأْثُورَةِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ، وَرَبَّمَا قَامَتْ بِاسْتِقْرَائِهَا وَجْمَعِهَا، وَثَمَّةُ إِشْكَالِيَّتَانِ فِي الْمَقَامِ بَهُمَا حَاجَةٌ إِلَى بَحْثٍ، وَهُمَا: الأَوَّلَى: أَنَّ الرُّوَايَاتِ التَّفْسِيرِيَّةَ الْمَأْثُورَةَ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﷺ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى نَحْوِ وَاحِدٍ، وَغَايَةُ مَا قَامَ بِهِ بَعْضُ الْبَاحْثِينَ هُوَ تَصْنِيفُهَا تَصْنِيفًا مَوْضُوعِيًّا، كَعَزْلِ الرُّوَايَاتِ الْعَقْدِيَّةِ، وَكَذَا الرُّوَايَاتِ الْفَقْهِيَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، أَوْ تَصْنِيفِ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ مَوْضُوعِيًّا

داخل المجال الواحد كالمجال الفقهي، بؤب بدءاً من باب العبادات ومروراً بباب المعاملات بمعناها الأعم، وانتهاءً بباب الأحكام بمعناها الأخص، بيد أن البحث التفسيري يتطلب تبويباً يتناسب مع المهمة التفسيرية، أي النظر إلى المرويّات المأثورة عنه ﷺ بمنظار علم التفسير وتأمين الأهداف التفسيرية، ولو فرض أننا لا نقترح تبويباً جديداً؛ لكن على الأقلّ يتحتم على الباحث في الروايات التفسيرية الإشارة إلى النقاط التي تتعلق بالحيثيات التفسيرية.

وهذا ما يُملي علينا حلّ هذه الإشكالية، وهي دراسة النقاط المرتبطة بالحيثيات التفسيرية وتعيينها وإبرازها، وأمّا الإشكالية الأخرى: فهي أنّ قسماً وافراً من الدور القرآني للإمام أمير المؤمنين ﷺ لم يتلبس بلباس الروايات التفسيرية، واستبعاد هذا القسط من تراث أمير المؤمنين عن الدائرة التفسيرية يؤدي إلى رسم صورة مجتزأة عن دوره القرآني، وهذه الإشكالية تُحتم على الباحث في التراث القرآني العلوي أن يفكّ الحصار عن هذا التراث ويتحرّك بمساحةٍ أوسع من أجل الوصول إلى تصور متكامل عن أثره القرآني.

وقد توكلنا على الله تعالى، وعقدنا العزم على حلّ هاتين الإشكاليتين بحسب الوسع والطاقة، وبحسب الفرصة المتناسبة مع المقال من ناحية حجم البحث، فنحن نحاول هنا الإجابة عن السؤال الآتي: ما أثر أمير المؤمنين ﷺ التفسيري؟

- ضرورة البحث :

إنّ جملة وافرة من الأبحاث المستقلة أو الضمنية التي تناولت أثر الإمام أمير المؤمنين ﷺ القرآني قد اقتصرت على ما يُسمّى بالروايات التفسيرية، أي الروايات التي يُصرّح فيها بنصّ قرآنيّ سواء في أولها أم خلالها، ويُذكر فيها ما ورد عن أمير المؤمنين ﷺ من كلام متعلق بالنصّ القرآنيّ.

من هنا تبرز الحاجة الماسّة إلى القيام بأبحاث لا تقتصر على هذه الدائرة الضيّقة، وهي ما يُصطلح عليه بالروايات التفسيرية فحسب؛ بل لا بدّ لهذه البحوث أن تتحرّك في رحاب أوسع، ولا سيّما بلحاظ البيانات التي أُثرت عن أمير المؤمنين عليه السلام؛ ولكن لم تُصنّف ضمن الروايات التفسيرية بحسب ما تعارفوا عليه.

#### - منهج البحث :

إنّ المنهج الذي نعتمده في هذا البحث هو المنهج التحليلي الاجتهادي المتعارف في الاتجاه الأصولي السائد في حوزاتنا العلميّة، بما يضمّ من مصادر الاستنباط وقواعده وضوابطه وأدوات الإثبات الوجدانيّ والتعبديّ، مع التركيز على كيفة التعاطي الحذر والدقيق مع الدليل الروائيّ المأثور عن أمير المؤمنين عليه السلام وكيفية استلال المضمون القرآنيّ الكامن وراءه، وأيضاً التركيز على كيفة استدلال توظيف ذلك توظيفاً ذكياً في العمليّات البحثية والاستدلالية .

## التمهيد: تعريف المفردات المهمّة في البحث

نقتصر على تعريف المفردات الآتية:

١- الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: هو أبو الحسن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، المنصوب للإمامة والخلافة لرسوله بأمر الله تعالى، وقد بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وآله للناس في مواطن عديدة<sup>(١)</sup>.

٢- النصّ القرآنيّ: قد يُطلق لفظ (النصّ) ويُراد به المعنى الاصطلاحيّ لدى الأصوليين، أي: ما يُقابل الظاهر، فالنصّ هو اللفظ الذي يكون له معنى واحد لا غيره بحيث لا يُحتمل إرادة خلافه، وأمّا الظاهر فهو اللفظ الذي يكون له معنى راجح مع احتمال إرادة خلافه<sup>(٢)</sup>.

وقد يُطلق (النصّ) ويُراد به المعنى العامّ، أي: اللفظ في مقابل الفعل والتقرير، وهذا المعنى هو المراد لنا هنا، فحينما نستعمل لفظ (النصّ القرآنيّ) نقصد به اللفظ القرآنيّ مطلقاً، سواء أكانت دلالاته بمستوى النصّ الصريح في المعنى أم بمستوى الظهور.

٣- التفسير لغةً: الذي استفدناه من كلمات اللغويين أنّ التفسير هو: إظهار المعنى المعقول للشيء وإزالة الخفاء عنه، وله مصاديق عدّة منها تفسير اللفظ<sup>(٣)</sup>.

التفسير اصطلاحاً: عرّف بتعريفات عدّة، أيسرها: أنه إيضاح مُراد الله تعالى من كتابه العزيز<sup>(٤)</sup>.

(١) ينظر: موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، الريشهري: ٥٧/١ وما بعدها، و ٢٣: ٢ وما بعدها.

(٢) ينظر: المعجم الأصولي، سنقر: ٢/٢٨٤، الرقم (٤٣٠).

(٣) ينظر: مقياس اللغة: ٤/٥٥٤، والصحاح: ٢/٧٨١، ومفردات ألفاظ القرآن: ٦٣٦، ولسان العرب: ٥/٥٥٥، وتاج العروس: ٧/٣٤٩، وأقرب الموارد: ٢/٩٢٥، والتفسير

والمفسرون في ثوبه القشيب: ١/١٣، والتحقيق في كلمات القرآن الكريم: ٩/٨٦-٨٧. (٤) ينظر: البيان في علوم القرآن: ٤٢١.

٤- المنهج لغةً: الطريق، والجمع المناهج<sup>(١)</sup>، ومنهج الطريق: وَضَحُهُ<sup>(٢)</sup>، وَوَضَحَ الطريق: مَحَجَّتَهُ وَوَسَطَهُ<sup>(٣)</sup>.

والمنهج عُرْفًا: الطريقة والنظام<sup>(٤)</sup>، وَعَرَفَهُ بعضهم بَأَنَّهُ: الخطة المرسومة<sup>(٥)</sup>، وَعَرَفَهُ ثالث بَأَنَّهُ: طريقة يصل بها الإنسان إلى الحقيقة<sup>(٦)</sup>، وَعَرَفَهُ رابع بَأَنَّهُ: الطريق الواضح في التعبير عن شيء أو في عمل شيء، أو في تعليم شيء طبقاً لمبادئ مُعَيَّنَةٍ ونظام مُعَيَّنٍ؛ بغية الوصول إلى غاية مُعَيَّنَةٍ<sup>(٧)</sup>. والمنهج في اصطلاح المناطق قد عُرِفَ بتعاريف عدَّة<sup>(٨)</sup>، حاصلها: أَنَّهُ مجموعة من القواعد العامة يعتمدها الباحث في تنظيم ما لديه من أفكار أو معلومات من أجل أن تُوصله إلى النتيجة المطلوبة<sup>(٩)</sup>. والمنهج أيضاً خطوات مُنظَّمة يتَّخذها الباحث لمعالجة مسألة أو أكثر ويتتبَّعها للوصول إلى نتيجة<sup>(١٠)</sup>، ولعلَّ الأنسب - بحسب نظرنا - أن يُقال في تعريف المنهج بَأَنَّهُ طريقة البحث العلمي التي تعتمد على قواعد خاصَّة و ضوابط محدَّدة.

٥- المنهج التفسيري: في ضوء ما ذكرنا من تعريف منهج البحث بشكل عام يُمكن تعريف المنهج التفسيري بَأَنَّهُ طريقة البحث العلمي التي تعتمد على قواعد خاصَّة و ضوابط محدَّدة، فمثلاً: لدينا التفسير الروائي، وتفسير القرآن بالقرآن، والتفسير الموضوعي، وهكذا.

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٥ / ٣٦١.

(٢) ينظر: كتاب العين: ٣ / ٣٩٢، وتهذيب اللغة: ٦ / ٦٢، ولسان العرب: ٢ / ٣٨٣.

(٣) ينظر: الصحاح: ١ / ٤١٦، معجم مقاييس اللغة: ٦ / ١١٩، ولسان العرب: ٢ / ٦٣٦.

(٤) ينظر: أصول البحث، عبد الهادي الفضلي: ٤٩.

(٥) ينظر: المعجم الوسيط: ٢ / ٩٥٧.

(٦) ينظر: المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم، هدى أبو طبرة: ٢٢.

(٧) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣.

(٨) ينظر: أصول البحث: ٤٩ / ٥١.

(٩) ينظر: المصدر السابق: ٥١، وينظر: أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر: ٣٢.

(١٠) ينظر: المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم: ٢٢.

- تبويب البحث:

وبعد المقدمة السالفة عقدنا هذا البحث في ثلاثة محاور، وهي: المحور الأول: بيان تقسيم الأدوار التفسيرية المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتصنيفها. المحور الثاني: عرض بعض النماذج من تلك الأقسام وأصنافها وتحليلها. ونُنبّه إلى أننا سنقتصر على بعض النماذج التي تعكس الأدوار التفسيرية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام سواء أكانت بحسب الفهم والقراءة المشهورة للنصين: القرآني والروائي أم بحسب فهمنا وقراءتنا الخاصة لهما. المحور الثالث: أضواء منهجية عامة على تلك النماذج المتقدمة، وإليك تفصيل ذلك:

المحور الأول: بيان تقسيم الأدوار التفسيرية المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتصنيفها.

يُمكن تقسيم الأدوار التفسيرية المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بتقسيمات عدة بلحاظ متعددة، إلا أننا نركّز النظر على ما يأتي:

التقسيم بلحاظ مدى وضوح النصّ القرآني المقصود بالرواية المأثورة عنه عليه السلام أو عدم ذلك، وبهذا اللحاظ نحصل على قسمين رئيسين، هما:

القسم الأول: التوظيف الجليّ للنصّ القرآني عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

وهذا النمط من التوظيف القرآني في مجال المعارف الدينية هو النمط المعروف والشائع، ومن هنا ليست بنا حاجة إلى الإطالة فيه كثيراً؛ بل نقصر على بيان بعض أقسامه على اختصار، وأهمها صنفان، وهما:

الصنف الأول: التوظيف الذي يكون في قالب التفسير وكشف المعنى

فقد اشتملت العديد من الروايات المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على بيان المراد من نصّ قرآنيّ معيّن، ومن الواضح أنّ هذه الروايات هي من الروايات

التفسيرية؛ إذ تكشف المعنى الذي غفل عنه المخاطب بهذه الرواية وغاب عن ذهنه.

### الصنف الثاني: التوظيف الذي يكون في قالب التطبيق للنص القرآني

يُلاحظ في بعض الأحاديث المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ أنه لا يتصدى مباشرة لبيان معنى النص القرآني، والكشف عن مضمونه؛ بل يقوم بالتطبيق للنص القرآني على موارد، ولو أنعمنا النظر في هذا الصنف لرأينا أيضاً أنه يمكن تقسيمه على قسمين: ما يتوقف عند عملية التطبيق ولا يتجاوزها، وما يتجاوز عملية التطبيق إلى دائرة التفسير؛ لكن لا بصورة مباشرة؛ بل بنحو غير مباشر، وعبر قاعدة الدلالة الإلزامية .

### القسم الثاني: التوظيف الخفي للنص القرآني عند الإمام أمير المؤمنين ﷺ

وهذا النمط من التوظيف القرآني في مجال المعارف الدينية هو الذي به حاجة إلى تركيز وتحليل أكثر؛ لأنه غير متعارف بين الباحثين المسلمين، وهذا هو مركز الثقل في دراستنا هذه نسأل من الله أن يوفقنا لإنجازها، وسنقتصر على الإشارة إلى صنفين من هذا النمط، وهما:

### الصنف الأول: توظيف النص القرآني مع وجود القرينة البيئية.

هناك كلمات صدرت عن أمير المؤمنين ﷺ تعبر عن مضمون قرآني بنحو غير صريح؛ لكن مع وجود قرينة تهدي السامع إلى ذلك المضمون القرآني .

### الصنف الثاني: توظيف النص القرآني مجرداً عن القرينة أو مع القرينة غير البيئية.

إذ إننا نعرث أحياناً على بعض البيانات للإمام أمير المؤمنين ﷺ التي تخلو من التصريح أو الإشارة إلى النص القرآني، لكن لدى التأمل والتدقيق نلتفت إلى أنها تستند إلى مضمون قرآني سواء أكان هذا المضمون وارداً في نص قرآني واحد أم أكثر.

المحور الأوّل: عرض بعض النماذج من تلك الأقسام وأصنافها وتحليلها: نَبّهنا أنّنا سوف نقتصر على بحث بعض النماذج لهذين القسمين، لكننا نعرض لنماذج القسم الأوّل بنحو الإجمال والاقتضاب بسبب وضوحه نسبيًا؛ ولكن سنسهب أكثر بالنسبة إلى نماذج القسم الثاني، وهذه النماذج هي من قبيل ما يأتي:

الأنموذج الأوّل:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل يقول فيه: ((إِذْ كَانَ اللَّهُ قَدْ حَظَرَ عَلَى مَنْ مَاسَهُ الْكُفْرُ تَقَلَّدَ مَا فَوَّضَهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ بِقَوْلِهِ لِإِبْرَاهِيمَ: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، أي: المُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّهُ سَمَّى الشَّرْكَ ظُلْمًا بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، فَلَمَّا عَلِمَ إِبْرَاهِيمُ عليه السلام أَنَّ عَهْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى اسْمُهُ بِالْإِمَامَةِ لَا يَنَالُ عَبْدَةَ الْأَصْنَامِ قَالَ: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥])<sup>(١)</sup>.

تحليل النص:

لقد فسّر أمير المؤمنين عليه السلام الظلم - في قوله تعالى من سورة البقرة بالشرك، مستدلًا بآيتين هما: آية سورة لقمان وآية سورة إبراهيم، فهنا قد صرّح في الرواية المأثورة بالنص القرآني المفسّر، وصرّح بالنص القرآني المفسّر أيضًا.

الأنموذج الثاني:

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢] أن معناه: ((أَنَّهُ يُحَاسِبُ الْخَلْقَ دَفْعَةً كَمَا يَرِزُقُهُمْ دَفْعَةً))<sup>(٢)</sup>.

(١) الاحتجاج، الطبرسي: ١/ ٢٥١، وتفسير نور الثقلين: ١/ ١٢١ - ١٢٢، ح ٣٤٤.

(٢) التبيان في تفسير القرآن: ٢/ ١٧٤، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٢٠٠، ح ٧٣١.

## تحليل النص:

وقد اشتملت هذه الرواية على النص القرآني المفسر، وهنا في تفسير آية سورة البقرة نلاحظ أن أمير المؤمنين ﷺ قد ذكر معنىً دقيقاً لهذا المقطع من الآية الكريمة لا يلفت إليه؛ إذ المتبادر من سرعة الحساب هو المحاسبات المتوالية لكل واحد من الناس على كل عمل عمله من دون فاصلة زمنية، ومن دون تراخ، وهذا المعنى هو الذي ذكره جملة من المفسرين<sup>(١)</sup>، قال الشيخ الطوسي: ((**وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ**) يعني: في العدل من غير حاجة إلى خطأ ولا عقد؛ لأنه عالم به... والسرعة: هو العمل القصير المدّة))<sup>(٢)</sup>، ثم نقل التفسير المأثور عنه ﷺ بعنوان (رؤي). وأما أن يُراد المحاسبات الدفعية فهو لا يتبادر إلى الذهن إلا بعد تأملات طويلة، فهو سبحانه كما يرزق الناس؛ بل المخلوقات جميعاً في آن واحد، أي: **إِنَّ أَعْمَالَهُ لَيْسَتْ كَأَعْمَالِنَا، فَهُوَ عَظُمَتْ قُدْرَتُهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى: ١١].

وعليه فقيامه سبحانه بمحاسبة عباده متفاوتة كلياً عما نقوم به، وكذا سائر أفعاله من رزقه للناس في آن واحد، وإدارته لجميع مخلوقاته في آن واحد، وإحاطته بهم جميعاً في آن واحد. وهذا يدلُّ أيضاً على أنه تعالى لا يفعل بحركة ولا آلة، وإلاَّ لكان حسابه لعباده على كل ذرة من أعمالهم يستغرق وقتاً طويلاً.

(١) ينظر: تفسير مقاتل: ١٠٧/١، ٤٢١، وجامع البيان: ٤١٢/٢، و ٢٢٩/١٣، و ١٩٨/١٨، ومعاني القرآن، النحاس: ١٤٤/١، والكشاف: ٣٥١/١، والميزان في تفسير القرآن: ٨١/٢، والأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٦٣/٢ - ٦٤.  
(٢) التبيان في تفسير القرآن: ١٧٤/٢.

### الأنموذج الثالث:

روي ((أن امرأة أتت عمر فقالت: يا أمير المؤمنين، إني فجرت فأقم عليّ حدّ الله ﷻ، فأمر برجمها، وكان أمير المؤمنين ﷺ حاضراً، فقال: سلها كيف فجرت؟ فسألها، فقالت: كنت في فلاة من الأرض فأصابني عطش شديد، فرُفعت لي خيمة، فأتيتهما، فأصبت فيها رجلاً أعرابياً، فسألته ماءً فأبى عليّ أن يسقيني إلا أن أكون أمكّنه من نفسي، فولّيت منه هاربة، فاشتدّ بي العطش حتّى غارت عيناي وذهب لساني، فلمّا بلغ منّي العطش أتيته فسقاني وقع عليّ، فقال عليّ ﷺ: هذه التي قال الله ﷻ: ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ١٧٣]، هذه غير باغية ولا عادية، فخلّى سبيلها. فقال عمر: لولا عليّ لهلك عمر))<sup>(١)</sup>.

### تحليل النص:

في هذه الرواية نلاحظ أنّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ بحسب الظاهر لم يُمارس التفسير بشكل مباشر؛ بل قام ﷺ بتطبيق الآية الكريمة في مورد تلك المرأة، وبهذا اللحاظ لا تعدُّ هذه الرواية من الروايات التفسيرية.

بيد أنّنا لو تأملنا بدقّة لاكتشفنا أنّ هذا التطبيق ليس تطبيقاً صرفاً؛ بل هو تطبيق ناتج عن فهم خاصّ للآية، فإنّ هذا المقطع من الآية وارد في سياق بيان حكم الأطمعة، والتطبيق في واقعه ليس تفسيراً، كما هو واضح، بيد أنّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ في هذا المورد بالذات لم يحصر معناها في موردها؛ بل أفاد منها معنى أوسع مثل القاعدة الفقهية العامة التي لها قابليّة الجريان في أكثر من باب فقهيّ، وهو أنّ الاضطراب الخالي من البغي والعدوان رافع للحكم التكليفيّ، أي: الإثم، وكذا فإنّه رافع للحكم الوضعيّ، أي: العقوبة الشاملة للحدّ، وهذا مآله إلى التفسير، وعليه فهذا اللحاظ لا تردّد في عدّه هذه الرواية من الروايات التفسيرية.

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/٣٥-٣٦، ح ٥٠٢٥، وتفسير نور الثقلين: ١/١٥٥، ح ٥٠٥.

## الأنموذج الرابع:

روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه بنى حظيرة<sup>(١)</sup> من قصب، وجعل فيها رجلاً آلى من امرأته بعد أربعة أشهر، فقال له: ((إمّا أن ترجع إلى المناكحة، وإمّا أن تطلق، وإلا أحرقت عليك الحظيرة))<sup>(٢)</sup>.

### تحليل النص:

من الواضح أنّ هذه الرواية تعكس تطبيق الإمام أمير المؤمنين ﷺ للنصّ القرآنيّ عملياً، والنصّ القرآنيّ المطبّق وإن لم يُصرّح به في الرواية؛ لكنّه كالمصرّح به؛ إذ لا يخفى على المخاطب، وهو قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]، وهذا التطبيق للنصّ القرآنيّ - كما ترى - تطبيق في الدائرة القضائيّة؛ إذ خير الإمام ﷺ ذلك الرجل المؤلّي بين الفياة والطلاق. بيد أنّ هذا التطبيق يفتقر إلى حلقة مفقودة ينبغي اكتشافها، وهي التضييق على الرجل من قبل الحاكم والقاضي، وهذا ما يمكن العثور عليه في بعض النصوص القرآنيّة الأخرى، كقوله تقدّست أسماؤه: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]، فيدلُّ على أنّ حالة تعليق الزوجة مرفوضة لدى الشارع، وهي تُترك متأرجحة فلا هي تتمتع بحقوقها الزوجيّة - الاقتصادية والجنسيّة - ولا هي مفصولة عن زوجها بالطلاق، وليس من حقّ الزوج التلاعب بحقوق غيره، فإنّه من الواضح أنّ الجهة القادرة على تنفيذ الحكم وإقامة العدل، وإجراء القسط بين الناس واسترجاع الحقوق هو الحاكم الشرعيّ.

(١) الحظيرة: من الحظر بمعنى المنع. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: ٢٤٣، الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الغنم والإبل وسائر الماشية يقبها البرد والريح ينظر: كتاب العين: ١٩٦/٣، والمحيط في اللغة: ٥٩/٣، والصحاح: ٦٣٤/٢، ومقاييس اللغة: ٨١/٢. والظاهر أنّها مختصة بالماشية، بل هي أهمّ لكلّ أمر يمنع الشيء، فتستعمل لحصر السمك ومنعه من الفرار، وتستخدم لمنع الإنسان من الفرار.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القميّ: ٧٣/١ - ٧٤، وتفسير نور الثقلين: ٢١٩/١، ح ٨٤١.

### الأنموذج الخامس:

ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((الشرنج والنرد هما الميسر))<sup>(١)</sup>.

### تحليل النص:

ففي هذه الرواية التفسيرية المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لم يرد أي ذكر للنص القرآني، إلا أن وجود القرينة الواضحة وضوحاً لا مرية فيه، ولا يقل دلالة عن التصريح، على أن المقصود بهذا الكلام هو تفسير لفظ (الميسر) الوارد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، وقوله عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

### الأنموذج السادس:

قوله عليه السلام في نهج البلاغة: ((فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَّةِ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ، مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنَسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ، أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنشَاءً وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا))<sup>(٢)</sup>.

### تحليل النص:

اشتمل هذا النص على عدة عناصر مفاهيمية، أهمها:

١- سنخ الأفعال الإلهية . ٢. كونه تعالى بصيراً .

٣- توحده جلّ وعلا . ٤. ابتداعه للخلق .

وتفصيل هذه العناصر فيما يأتي:

(١) الكافي: ٦/ ٤٣٥، ح ٣، وتفسير نور الثقلين: ١/ ٢١٠، ح ٧٩٣.

(٢) نهج البلاغة: ٨/ ١، الخطبة رقم (١).

تحليل المقطع الأوّل المتعلّق ببيان سنخ الأفعال الإلهية:

النصّ العلويّ: ((فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْأَلَةِ))

إنّ الذات الإلهية المقدّسة على الرغم من كونها منزّهة عن التغيّر؛ لكن منها تصدر الأفعال في هذا الكون، فهو فاعل، وفاعليته تتجلّى في كونه خالق العالم، وفي كونه مدبّرًا له، فهو تعالى يخلق ويرزق ويُميت ويحيي ويُدبّر ويمنع ويوفّق ويُقدّم ويؤخّر، وهو يفعل ما تقتضيه حكمته، إلّا أنّ أفعاله تختلف عن أفعال مخلوقاته؛ فإنّ المخلوق عندما يفعل فعلاً ما إنّما يكون بحركة يحدثها في أجزائه، فيسبط يده لتأخذ شيئاً، ويمدُّ رجله ليقترّب من شيء، وينحني ويقوم ويقعد ويمشي ويُسرّع ويقفز ويضرب ويدفع ويسحب ويتحرّك يميناً وشمالاً إلى غير ذلك من أنواع الحركات، فإن لم تصدر من المخلوق حركة خارجيّة لا يصدر منه أيّ فعل من الأفعال .

ثمّ إنّّه يستعين بالوسائل كالمحراث في زراعة النباتات، ووسائل الحياكة لحياكة البساط، والإبرة لخياطة الثياب، والفأس للاحتطاب، والسهم للصيد، والطين للبناء، فنحن مضطّرون إلى الاستعانة بالآلات لتحقيق أغراضنا وتأمين حوائجنا؛ إذ لا سبيل أمامنا سوى الاستعانة بالوسائل المتاحة لنا، مضافاً إلى أنّ هذه الأعضاء والوسائل أحياناً قد تخرج عن سيطرتنا ولا نستطيع التحكّم بها .

والمتعارف في الإنسان أن يقيس الشيء بالشيء، فقد يتوهّم أنّ صدور الفعل الإلهي يشبه صدوره منّا من هذه النواحي، وهذه المقايسة بين الأفعال الإلهية وأفعال المخلوق، كما راودت العقول الساذجة خيّمات على أذهان الحكماء والفلاسفة، فلم يقدرُوا على حلّ هذا اللغز .

السؤال المثار: هل الله تعالى يفعل أفعاله بتحريك الجوارح أو الاستعانة بالأدوات؟

الإجابة العلوئية: إن أمير المؤمنين عليه السلام يُبين لنا في هذا النص أن الله تبارك وتعالى لا يُقاس بمخلوقاته، ولا يُشَبَّه بهم، فإنه لا يفعل الأفعال التي يُريدها بحركات تطراً على ذاته المقدسة كما هو الحال فيما نفعله، فهو خالق الحركات وموجدتها، وهو إمّا أن يتوصّل إلى ما يبغى مباشرة ومن دون آلة، وإمّا بتوسّط آلة مخلوقة له مباشرة من دون توسّط آلة كما تقتضي حكمته أحياناً ذلك، فتعود كلّها إلى كونها مخلوقة له مباشرة من دون توسّط آلة، لا كما نفتقر نحن إلى إجراء حركة والاستعانة بالآلة من صنع غيرنا؛ إذ لا يمكننا صنع شيء في الفراغ أو من دون القيام ببعض الحركات؛ لكنّه تبارك وتعالى غني عن كل شيء، ولا يخرج عن سيطرته شيء، فإن قدرته فوق كل قدرة .

النص القرآني الكامن وراء النص العلوئي:

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

٢- قال عزّ اسمه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] .

٣- قال سبحانه حاكياً عن الرجل الذي قال: ﴿أَنَّى يُجِيبِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] وحكى ما جرى له من إماتته، ثمّ إحيائه مرّةً أخرى: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩] .

٤- قال جلّت قدرته مخاطباً خليله إبراهيم عليه السلام بعد أن أراه كيف يُحيي الموتى: ﴿وَاعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠] .

إنّ النصّ القرآني الأوّل يدلُّ على عدم صحّة التشبيه بين الخالق ومخلوقاته، من جميع الوجوه؛ لإطلاق النصّ، إذ إنّ التشبيه من وجه قد يصحُّ أحياناً بين شيئين مخلوقين متباينين كتشبيهه وجه المرأة الحسناء بوجه القمر من جهة الجمال، لكنّ

التشبيه بين الخالق والمخلوق لا يصحُّ مطلقاً ولو من وجه واحد، بما في ذلك تشبيه أفعاله سبحانه بأفعالنا، فأفعالنا إنما تتحقق بتحريك الجوارح والأعضاء الباطنة أو الظاهرة، وكذا فإنها تتوقف أحياناً على الاستعانة بأداة وآلة، وأمّا أفعاله جلّ ثناؤه فلا تتمُّ من طريق تحريك جارحة، ولا تتوقف على الاستعانة بأية وسيلة مهما كانت كبيرة أو صغيرة . وأمّا النصُّ القرآنيّ الثاني فهو يُثبت أنّ الله تعالى لا مثيل له ولا نظير، ونفي المثل له والنظير مطلق، فلا يُقاس به أحد، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في كلِّ شؤونه .

وأما النصّان الثالث والرابع - ونحوهما من النصوص الغفيرة - فيدلّان على أنّ الله سبحانه لا يحتاج في فعل شيء حتّى لو كان معقّداً لا إلى حركة ولا إلى وسيلة، كما في الإمامة والإحياء ثانية .

تحليل المقطع الثاني المتعلق ببيان أنّه تعالى (بصيراً) :

النصُّ العلويّ: ((بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ))

إنّ من جملة قدرات بعض مخلوقات الله كونها تبصر وترى ما حولها، فالبصر طريق لإدراك الإنسان والحيوان لما يُحيط به، فالأعمى؛ إذ إنه يفقد قابليّته على الرؤية يفوته إدراك كثير من الأشياء، وآلة البصر العين وما تحتويه من أجزاء وتراكيب معقّدة، وما تتّصل من أجهزة عصبية لنقل الصور إلى الدماغ الذي يُدرك الصور، فلو وقع خلل في جزء من هذه المنظومة البصريّة لاختلت الرؤية أو انعدمت، فهناك من يكون حادّ البصر، وهناك من هو ضعيف البصر، وهناك من لا يُميّز الألوان، وهناك من لا يرى الأجسام البعيدة، وهناك من لا يتمكن من رؤية الأجسام القريبة، وهكذا .

فضلاً على أنّ الرؤية محدودة من حيث الفاصلة المكانيّة والزمنيّة، ومن حيث

الجهة، ومن حيث حجم المنظور إليه، فلو بعدت الأشياء كثيراً فلا نراها، وإن قربت جداً فلا نُميِّزها، وإن كانت سابقاً أو توجد مستقبلاً لاستحالت رؤيتها، وإن صارت خلفنا لغابت عنا، وإن صغر حجمها فيتعذر علينا رؤيتها.

والعين أيضاً إنما تدرك الصور الخارجية من طريق الضوء، فلو عُدَّ الضوء خارجاً تنعدم الرؤية حينئذٍ، ولما افرق الأعمى عن البصير. وكذلك البصير، هو قادر على رؤية الأشياء التي تكون خارجاً، فلو فرض أن لا شيء أمامه فلا فضاء ولا أشياء، إذن لا استوى حاله مع حال الأعمى. هذا هو حال البصير من مخلوقات الله.

السؤال المثار: يا ترى ما حال بصر الخالق نفسه ورؤيته؟ فهل بصره ورؤيته جلٌّ وعلا كبصرنا ورؤيتنا؟!

الإجابة العلوّية:

يُجيب أمير المؤمنين عليه السلام على هذا السؤال أن بصره سبحانه متفاوت مع بصر المخلوق؛ فإن بصره لا يتوقّف على وجود شيء من الأشياء في الخارج، سواء أكان نوراً أم جسماً؛ لأن بصره تعالى لا يكون من طريق جارحة العين التي لا ترى إلا ما كان أمامها كما هو حال حواسنا، وهذه الحيشة في وصف الخالق جلّت قدرته التي وردت في كلام أمير المؤمنين عليه السلام لا يلتفت إليها عادة من قبل سائر الناس، فإنه عليه السلام قد سبق زمانه ببيانها .

وأفاد ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه أن صفتي البصير والسميع هما ثابتان له تعالى منذ الأزل، وليس هناك مسموع ومبصر، ومعنى ذلك: كونه بحالٍ يصحُّ منه إدراك المبصرات والمسموعات إذا وجدت؛ وذلك يرجع إلى كونه حياً لا آفة به<sup>(١)</sup>.

وما يرجح في الذهن أن صفتي البصير والسميع إذا أُضيفتا لله سبحانه لا ينحصر معناهما بالقابلية على إبصاره المبصرات والمسموعات فيما لو وجدت فقط؛ بل

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١/ ٧٩ - ٨٠.

معناها أشمل من ذلك، فإنه جلّ وعلا يرى المبصرات ويسمع المسموعات قبل أن توجد، أي: كونه عالمًا ومُدركًا لها قبل خلقها وعالمًا بها حتى بعد فنائها. كلمة (إذ) ظرف، وما يرّجح في نظري أن جملة (لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ) هنا حالية. النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ الْكَامِنُ وَرَاءَ النَّصِّ الْعَلَوِيِّ:

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٢- قال عزّ اسمه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

٣- وقال عزّ اسمه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

إنّ النصّ القرآنيّ الأوّل بعد أن نفى التشبيه بين الخالق ومخلوقاته بين أنّ الحقّ تعالى شأنه هو سميع بصير، ففي عين اختلافه عن خلقه هو سميع بصير، ومألّ هذا إلى أنّ سمعه وبصره يختلفان عن سمعنا وبصرنا، لا أنّه يسمع بأذن خاصّة ويُبصر بعين خاصّة؛ بل هو يُدرك الأصوات ويُدرك الصور، فإنّ الأذن جارحة وجرم والعين كذلك جارحة وجرم، ولازم ذلك الجسميّة والمحدوديّة، وهذا تشبيه له بخلقه .

وأما النصّ القرآنيّ الثاني فهو ينفي وجود مثل له قطّ، ولا داعي لحصر نفي المثل له في خصوص الذات، أي: لا مثل له في ذاته فحسب؛ وذلك لإطلاق النصّ، ومقتضى الإطلاق نفي المثل عنه مطلقًا ذاتًا وصفاتًا وأفعالًا، بما في ذلك سمعه وبصره، فهما لا يشبهانها سمع ولا بصر شيء من المخلوقين .

وأما النصّ القرآنيّ الثالث فهو يدلّ على أنّ غنى الربّ عليه السلام، والغنى يُنافي الحاجة بشتّى أشكالها ومصاديقها، وليس المراد الغنى عن الناس؛ بل الغنى عن أيّ شيء، بما في ذلك أنّ علمه بالمبصرات والمسموعات لا تتوقّف على جارحة ولا

على وجود ضوء ولا هواء، ولا على وجود شيء مسموع أو شيء مرئي، فهل عالم قبل وحين وبعد وجود المسموعات والمبصرات .

### تحليل المقطع الثالث المتعلق ببيان توحيده جلّ وعلا:

النص العلوي: ((مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ)).

أولاً: إِنَّ الإنسان اجتماعي بطبعه، يتعذّر عليه العيش بمفرده، ومن هنا لم يقنع آدم ﷺ بما أعطاه الله من نعيم في بيئته لا يمسه فيها حرّ ولا برد، ولا يُصيبه جوع ولا عطش، ومع ذلك كله كان يحسُّ بضرورة وجود مَنْ يُؤنسه، فخلق الله تعالى له زوجاً ليأنس به، فإنّ تأمين الحاجات النفسيّة كوجود المؤمنس لا يقلُّ عن تأمين الحاجات المادّيّة من الطعام والشراب واللباس والجو المعتدل والظروف المناسبة، فلا سعادة ولا هناء بتأمين الحاجات المادّيّة فقط .

ثانياً: أنّ الأنس قد يتحقّق للنفس من طريق التعلّق بشيء من الأشياء كالمسبحة التي يعتاد الإنسان عليها، أو قد يتحقّق بعبادة أو عمل تعتاد عليه النفس .

ثالثاً: أنّه بسبب وجود الحاجة النفسيّة إلى المؤمنس التي هي حاجة فطريّة، فلو أنست النفس بأحد فيعتاد على ذلك، فتراه يحزن لو فقد الأنيس الذي كان يُؤنسه بسبب موت أو ابتعاد أو مشاجرة أو لغير ذلك من الأسباب والحوادث، ويشعر بالوحشة بسبب حينئذٍ، كما يحزن لو فقد أمراً مادياً أو لو حيل بينه وبين ما اعتاد عليه، وربما أكثر بكثير .

السؤال المثار: هل الخالق تعالى كذلك يحتاج إلى أنيس يُؤنسه، ويحزن لفقده؟

الإجابة العلويّة: إنّ أمير المؤمنين ﷺ يجب على هذا السؤال بما يأتي:

أولاً: إنّ كمال الذات الإلهيّة يقتضي غناه عن غيره وعدم حاجته لأيّ أحدٍ بأيّ مستوى كانت تلك الحاجة، ولو بمستوى تحقّق الأنس النفسي، والحاجة

عين الفقر وعدم الغنى، والفقر نقص يتنافى مع الكمال، فالحقُّ جلٌّ وعلا لا يحتاج إلى إيناس أيٍّ مخلوق ولدًا كان أم أبًا أو صاحبًا أو صاحبة أو غير ذلك.

ثانيًا: لا فرق في غنى الله تعالى عن إنسان أو عادة أو حالة أو أيِّ شيء من الأشياء؛ لأنَّ المحذور المترتب على ذلك واحد.

ثالثًا: إنَّ الله جلَّتْ عظمتُه؛ إذ لا يحتاج إلى الأينس من الأساس، فلا يستوحش لفقد أحد، فانتفاء الاستيحاش حال فقد شخص أو شيء عن ساحة الحقِّ جلٍّ وعلا من باب انتفاء السالبة بانتفاء موضوعها.

رابعًا: أنَّه لا يحتاج إلى أنيس قطُّ، فهو موجود منذ الأزل قبل هذا العالم الحادث.

خامسًا: ((«إِذٍ» ظرف، ومعنى الكلام: أنَّ العادة والعرف إطلاق «متوحَّد» على مَنْ كان له مَنْ يستأنس بقربه ويستوحش ببعده فانفرد عنه، والبارئ سبحانه يطلق عليه أنه متوحَّد في الأزل ولا موجود سواه، وإذا صدق سلب الموجودات كلها في الأزل صدق سلب ما يُنْس أو يُوحش، فتوحَّده سبحانه بخلاف توحُّد غيره))<sup>(١)</sup>.

سادسًا: إنَّ قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ) إنَّ كان اعتبرناه معطوفًا على خبر (سَكَنَ) - وهو (يَسْتَأْنِسُ بِهِ) - فلا يحتاج حينئذٍ إلى (لَا)، وحقَّ الكلام أن يُقال: (لا سكن يستأنس به ويستوحش لفقده)، فإذا إنَّما أن تكون (لَا) الثانية لتأكيد النفي السابق، أي يكون المعنى: (ولا سكن يستوحش لفقده)، أو تكون (لَا) زائدة، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف: ١٢]؛ فإنَّ (أَلَا) كلمتان مدغمتان (أن) مع (لا)، أي: أن لا تسجد<sup>(٢)</sup>.

وما يرجِّح في نظري أنَّ جملة (لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ، وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ) هنا حالية، كالعبرة التي سبقت.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ١ / ٨٠.

(٢) ينظر: بحار الأنوار: ٤ / ٢٥٢.

فيما احتمله العلامة المجلسي في البحار احتمالاً، قال: ((ويحتمل كون الجملة حالية))<sup>(١)</sup>.

النص القرآني الكامن وراء النص العلوي:

- ١- قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنِّي يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١].
- ٢- وقال عز اسمه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ \* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ \* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

إن النص القرآني الأول ينفي عن الله سبحانه الولد وينفي عنه اتخاذ الزوج، ولهذا الانتفاء أكثر من وجه، فإن كان اتخاذ الولد أو صاحبة للحاجة إليهما؛ ليكونا أنيسين، فهو تعالى غني منزه عن كل حاجة؛ لأنها فقر وضعف ونقص، وإن كان اتخاذ الولد أو صاحبة من جهة أن ذلك شأن الإنسان ليبقى الولد بعد موت أبيه فهو سبحانه ليس كالإنسان الذي هو جسم مخلوق له ونتهي بالموت. وحينئذ لا تعرض عليه تعالى حالة الاستيحاش - التي هي ضد الأنس - لفقد الأنيس؛ فإن ذلك من باب السالبة بانتفاء الموضوع.

أما النص الثاني فيثبت أحديّة الله وتوحيده وتفردّه في الذات والصفات والأفعال؛ للإطلاق، وهو الذي هو وجود مطلق لا عدم فيه ولا فراغ ولا جوف ولا أيّ نقص مطلقاً، ومن هنا فهو ليس مولوداً؛ لأن ذلك نقص لاستلزامه أنه لم يكن موجوداً قبل ولادته ولاستلزامه الاحتياج إلى والده في وجوده ونشوءه حتى يكمل، وهو الذي لا حاجة له به إلى الولد مطلقاً، وأنه لا شبيه له مطلقاً لا في الذات ولا في الصفات ولا في الأفعال، ولا في أيّ شأن من شؤونه جلّ وعلا، فلا حاجة به إلى الأنيس، ولا تعرض عليه حالة الاستيحاش مطلقاً.

(١) بحار الأنوار: ٤/ ٢٥٢.

## تحليل المقطع الرابع المتعلق ببيان ابتداعه تعالى للخلق:

النص العلوِيّ: ((أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً، بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا، وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا)).

أولاً: إنَّ الإنسان إذا أراد أن يصنع فإنَّما يقوم بصنعه من مادة موجودة، فمن يصنع سريراً خشبياً يقوم بصناعته من الخشب الموجود في الطبيعة كالأشجار والغابات، ومن أراد أن يعمل كوزاً فهو يعمل من الطين المتكوّن من الماء والتراب المتوفّرين في الطبيعة .

ثانياً: إنَّ الإنسان حينما يصنع شيئاً إنّما يُحاكي به أنموذجاً موجوداً في الطبيعة بشكل أو بآخر، فمن يصنع السفينة يُحاكي بها حيوانات البحر كالأسماك، ومن يصنع طائرة يُحاكي بها حيوانات الجوّ كالطيور، أو يُلَفَّق بين أكثر من أنموذج طبيعيّ، وإن كانت هذه المحاكاة من وجه، ولا تتطابق مع الطبيعة انطباقاً تاماً من الوجوه كافة، فحتّى لو تفاوت مصنوع الإنسان عن الموجودات المخلوقة لله جلّ وعلا وامتاز ببعض الامتيازات، بيد أنّ أصل الفكرة مأخوذة من الطبيعة، كفكرة صنع الطائرة، فإنّها مأخوذة من الظاهرة الكونيّة المتعارفة، وهي طيران الطيور والحشرات وغيرها من المخلوقات في الجوّ.

ثالثاً: إنَّ الإنسان حينما يُريد صنع شيء يُفكّر ويتأمّل قبل الإقدام على صنع شيء ويحسب لكلّ قضيّة حساباً، ففي بعض الأحيان يطول هذا التأمل، وأحياناً يكون في مدّة قصيرة، وثالثة قد يشترك أفراد عدّة في عمليّة التأمل قبل مباشرة الصنع.

ثمَّ إنّ عمليّة الصنع ليست على نحو واحد، فربّما يكون الشيء المراد صنعه أمراً بسيطاً، وأخرى يكون مركّباً، وأنّه تارة تتمّ عمليّة الصنع بصورة دفعيّة، وأخرى تتمّ بصورة تدريجيّة وتحتاج إلى مراحل متعدّدة، فيتّم أولاً إعداد المقدمات أو

صنع الأجزاء، بعدها يُبَاشَرُ في عمليّة صنع الشيء المطلوب .

فيختلف حال الإنسان فبالنسبة إلى صنع الأمور المركّبة والتدرّجيّة يحتاج إلى تأمل أكثر من التأمل الذي يحتاج إليه في صنع الأمور البسيطة والدفعيّة .

رابعاً: إنّ الإنسان بلحاظ عقلائيّته وحكمته عادة يُفيد من التجارب التي مرّت به أو بغيره؛ بل قد يُجري تجارب عدّة ربّما تفشل بعض تجاربه وربّما يُخالِفُه النجاح بعد حين، وأنّه كذلك ربّما يُفيد من تجارب الآخرين، حتّى إنّهُ قد يستفيد من تجارب الماضين أفراداً كانوا أم أمماً.

**السؤال المُثار:** هل خلق الله تعالى لمخلوقاته أيضاً كان بهذا النحو أو لا؟

الإجابة العلوّيّة: ما نفيده من النصّ أعلاه هو: أنّ بينهما تفاوتاً كبيراً؛ وذلك:

أولاً: إنّ الله جلّت قدرته خلق أصل مادّة الكون من العدم، لا من شيء كان موجوداً قبلها، وهذا الأمر منحصر بالله تعالى، لا يُشاركه في ذلك أحد، فلم تكن هناك مادّة؛ بل الله هو الحالق للمادّة ولسائر الموجودات من لاشيء كان قبلها، لا أنّ موادّ المخلوقات كانت موجودة، وأنّ دوره تعالى في الخلق دور التآليف والتركيب للموادّ الأوليّة، وإنتاج موجود من بينها بصورة جديدة .

ثانياً: وإنّه جلّ شأنه خلق الموجودات في صور خاصّة، فللطيور هيئات معيّنة، وللنباتات هيئات معيّنة، وللإنسان هيأة معيّنة، وهذه الهيئات هي إبداع منه جلّ شأنه، لا أنّه حاكي بها صوراً كانت قبلها، فكما أنّه ابتدع موادّ المخلوقات من عدم ابتدع صورها وهيئاتها أيضاً من عدم .

ثالثاً: إنّهُ تعالى مضافاً إلى أنّه قد ابتدع هذه المخلوقات من العدم مادّةً وهيأةً، قد ابتدع السنن والأنظمة التي تسير على وفقها تلك المخلوقات، ومن ثمّ ابتدع نمط غدارتها وتديبرها بعد خلقها.

رابعاً: إنه تعالى لا يختلف عليه الحال سواء أكان المخلوق بسيطاً أم مركباً أم دفعياً أم تدريجياً، ففي جميع الأحوال لا يحتاج إلى تأمل لا كثير ولا قليل، وال (رَوِيَّةٌ): الفكرة<sup>(١)</sup>، و(أَجَالَهَا): رددها<sup>(٢)</sup>، وفي نقل: (أَحَالَهَا)، أي: صرفها<sup>(٣)</sup>.

وهو سبحانه لا يستشير أحداً في صنعه، ولا يستعين بفكر أحد ولا بخبرة أحد ولا تجربة أحد.

خامساً: إنه ﷻ لا يحتاج إلى تجربة لصنع شيء، بالنظر إلى أن منشأ الحاجة إلى التجربة فيه احتمالات عدة:

الاحتمال الأول: إنه لا يقين له بنتيجة فعله ويكون عنده حالة تردد؟ والتردد بسبب الجهل، وإلا لو كان عنده يقين بتحقيق ما يُريد لما تردد، ومن ثم لما جرب، كمن يُكثر التجارب لمعرفة العلة لظاهرة من الظواهر أو لمعرفة مدى تأثير الدواء في علاج بعض الأمراض.

الاحتمال الثاني: إنه لا يقين عنده بقدرته فيكرّر التجربة لعله يُخالفه الحظ في مرة من المرات فيقدر على تحقيق ما يصبو إليه.

الاحتمال الثالث: إنه يستفيد من التجربة لكي يمتلك المهارة التامة في الفعل.

الاحتمال الرابع: إنه يُقدم على التجربة أو قد يُكرّرها لمعرفة التفاصيل، وإن كان لا تردد عنده في تحقيق أصل الشيء كما لا تردد لديه في قدرته على صنعه.

الاحتمال الخامس: أن تكون التجربة بدافع تحصيل الاطمئنان والتأكد أكثر من تحقيق النتيجة بسبب الهواجس النفسية.

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٠ / ١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٠ / ١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٨٠ / ١.

وجميع هذه الاحتمالات المذكورة - ونحوها من الاحتمالات العقلية - متنتفية بشأنه جلّ وعلا، فلا تردّد عنده ولا جهل سبحانه، ولا شكّ في قدرته جلّ شأنه، ولم يكن قد خلق من قبل مخلوقات فحصلت له التجربة التي أعانته على خلق هذه المخلوقات<sup>(١)</sup> وازدادت بذلك مهارته وخبرته في الخلق، ولا جهل عنده لا في أصل تحقّق الشيء الذي يُريد صنعه ولا في تفاصيله، ولا هو اجس تتطلّب الدفع والرفع تعالى الله عن كل ذلك علوًّا كبيرًا .

سادسًا: إنَّ قوله ﷻ: (أَنْشَأَ الْخُلُقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً...) يدلُّ على حدوث العالم، والإنشاء: الخلق، والفرق بينه وبين الابتداء أنَّ الإنشاء كالخلق أعمّ من الابتداء، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ [الرحمن: ١٤]، والابتداء: الخلق من غير سبق مادّة ومثال<sup>(٢)</sup>، ومنه يتّضح أنَّ الجملة الثانية تُفيد معنى غير معنى الجملة الأولى، وليست تأكيدًا لها. هذا، وقد احتمل العلامة المجلسي كونها تأكيدًا للأولى<sup>(٣)</sup> .

وأفاد ابن أبي الحديد المعتزلي أنَّ الابتداء هو: الاختراع، والحكماء يقولون: إبداع، فهو جلّ وعلا لا يُوجد شيئًا من شيء<sup>(٤)</sup> .

ثمّ ادّعى ابن أبي الحديد أيضًا أنَّ بين العبارتين في قوله ﷻ: (أَنْشَأَ الْخُلُقَ إِنْشَاءً، وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً...) ترادفًا على طريقة الفصحاء والبلغاء، كقوله سبحانه: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٥]<sup>(٥)</sup>، وقد عرفت أنَّ بين الإنشاء وبين الابتداء فرقًا. إذن، فالله ﷻ متوحّد ومتفرد بهذه الصفة، وهو أنّه يُوجد الشيء من لا شيء كان قبله، ومن دون ضمّ شيء إليه كالألة .

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٨٠ / ١ .

(٢) ينظر: بحار الأنوار: ١٧٩ / ٥٤ - ١٨٠ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٨٠ / ٥٤ .

(٤) ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٧٩ / ١ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٨٠ / ١ .

النص القرآني الكامن وراء النص العلوي:

١- قال تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

٢- قال عليه السلام: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

٣- قال تباركت أسماؤه: ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٥].

النص القرآني الأول يدل على أن الله ابتكر خلق السماوات والأرض، والمراد بما فيهن من مخلوقات، أي: ابتكر خلق الكون كله مادةً وصورة، لا على مثال كان، وعملية الخلق تمت طبقاً لهذه القاعدة ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٤٧]، مهما كان ذلك الأمر كبيراً أو صغيراً، فأمره حتميُّ التحقق، فلا حاجة منه إلى تروُّ ولا تأمُّل ولا إفادة من تجربة.

وليس المراد من التعبير بالقول في قوله (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ) صدور لفظ (كُنْ) بما هو مجموعة حروف منه تعالى للشيء المقدَّر كينونته؛ بل المراد أنه إذا قدر أمراً واقتضت إرادته وجوده فإنه يتحقق بمجرد تصديده لإيجاده، فلا يحول دون إرادته شيء، ولا يعجزه شيء.

والنصان القرآنيان الثاني والثالث يدلان على هذه القاعدة التكوينية والسنة الإلهية الجارية في خلقه للأشياء والأحداث، وقد وردت هذه القاعدة بصورة مطلقة، بمعنى أنها تكون شاملة لجميع ما يحدث في العالم حتى المعاجز والكرامات والأمور غير المعتادة.

## المحور الثاني: إضاءات منهجية عامة على تلك النماذج المتقدمة:

على الرَّغم مما قمنا به من دراسة وتحليل لنماذج من النصوص المأثورة التي تعكس الأدوار التفسيرية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكل نص على حدة، بقيت لدينا بعض الإضاءات المنهجية العامة الحرة بالالتفات والعناية، منها ما يأتي:

الإضاءة الأولى: لقد مرَّ عليك أن بعض الروايات التفسيرية المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ترتبط بأكثر من نص قرآني واحد، سواء أكان هذا الارتباط ارتباطاً واضحاً وجلياً - صريحاً أو ظاهراً - أم كان الارتباط خفياً ومستبطناً يحتاج إلى اكتشاف واستنباط، والنمط الثاني هو الذي يتطلّب من الباحث جهداً علمياً وتحليلاً دقيقاً، وينبغي أن تُسلط عليه الأضواء الكاشفة التي تُجلي لنا الدور القرآني الكبير للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وبيان الحثيات المتعددة للنص المأثور.

إذن، فنحن نواجه نحويين من الروايات المأثورة في تراث أمير المؤمنين عليه السلام في المجال القرآني، وهما:

النحو الأول: النص بسيط الدلالة، أحادي الحثية.

النحو الثاني: النص مركب الدلالة، متعدد الحثية.

ويجدر بالباحث في مجال التراث التفسيري الفرزين هذين النحويين، والتعاطي مع كل منهما بما يناسبه، ولاسيما النحو الثاني الذي يقتضي دقة أكبر وتأمل أكثر، وعدم المرور عليه مرور الكرام؛ بل لا بدّ من إعطاء البحث استحقاقه.

الإضاءة الثانية: إن طائفة من النماذج التي تقدّم بحثها يكشف عمّا سمّاه بعض المفسّرين المعاصرين بـ (منهج تفسير القرآن بالقرآن)<sup>(١)</sup>؛ فإننا نرى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حاول توظيف بعض النصوص القرآنية؛ لتعيين معنى نص قرآني.

(١) ينظر: الميزان في تفسير القرآن: ١/ ١١ - ١٢.

وهذا ما رأيناه بوضوح في الأنموذج الثاني؛ إذ عمد الإمام أمير المؤمنين ﷺ إلى تفسير مفهوم (الظلم) الوارد في قوله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ إلى التمسك بدلالة نصوص قرآنية أخرى، أي: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾، وقوله سبحانه - حكاية عن دعاء نبيِّه إبراهيم الخليل ﷺ - ﴿وَاجْبُنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾، وانتهى ﷺ إلى استنتاج أن الظلم ورد في الآية - محل البحث - بمعنى الشرك .

الإضاءة الثالثة: إنَّ بعض النماذج التي دُرست يُمكن الحكم عليها أنها تتضمن اعتماد (منهج التفسير الموضوعي) ولو بصورة مصغرة؛ وذلك لأنَّ بعض النصوص الماثورة عنه ﷺ ناظرة إلى أكثر من نصِّ قرآنيٍّ، والحاصل من مجموع هذه النصوص القرآنية التي هي مدُّ النظر تتشكّل الأطروحة المفاهيمية التي يُبرزها ﷺ ضمن النصِّ الروائيِّ الماثور عنه .

وتجلى أهمية العناية بهذه الزاوية البحثية لدى مراجعة دعاة التفسير الموضوعيِّ، وفي مقدّماتهم الشهيد محمد باقر الصدر<sup>(١)</sup> إلا أنَّهم لم يدعموا منهجهم بنماذج معتدِّ بها من السنَّة الشريفة لتثبيت منهجهم المدعى، واكتفوا بطرح منهجهم المقترح، في الوقت الذي نرى خيوط هذا المنهج في السنَّة الشريفة هنا وهناك، ومنها التراث الماثور عن الإمام أمير المؤمنين ﷺ، من قبيل ما عرضناه في الأنموذج الرابع الوارد في تطبيق حكم الإيلاء قضائياً؛ فقد لوحظت نصوص عدَّة لتعيين الموقف تجاه كيفية التعاطي قضائياً مع ذلك الرجل المؤلّي المجحف بحق زوجته، فقد عمد الإمام ﷺ إلى لحاظ آيتي الإيلاء من جهة، أي: قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٦-٢٢٧]، وفي الوقت نفسه لحاظ نصوص قرآنية أخرى، كقوله

(١) ينظر: المدرسة القرآنية: ١٣ / ٣١٣٠ .

تقدّست أسماؤه: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]، ثم انتهى ﷺ إلى تحديد الموقف القضائي في حالات الإيلاء المتأزّمة، هذا مضافاً إلى لحاظ الآيات الآمرة بإقامة العدل والقسط في المجتمع. وهذا أمر في غاية الأهميّة لدى المفسّر - والمستنبط أيضاً - وهو التوفّر على الرؤية الشموليّة للنصوص القرآنيّة، وعدم الاكتفاء بالرؤية التجزيئيّة الموضوعيّة؛ بل لا بدّ من تحلّي المفسّر - وكذا المستنبط - بالجولان الذهني الواسع ليُمارس السياحة في بحر النصوص الغفيرة، وهذا لا يُعبّر عن محض توصية؛ بل هذه ضرورة بحثيّة ما لنا عنها من محيص.

ومن نافلة القول: إنّهُ يحسن الالتفات إلى أنّ منهج تفسير القرآن بالقرآن بحسب العلامة الطباطبائيّ ﷺ، ومنهج التفسير الموضوعيّ بحسب الشهيد الصدر ﷺ، هما منهجان متباينان، فلا يصحّ الخلط بينهما.

الإضاءة الرابعة: إنّ بعض النماذج المبحوثة قد اشتمل على رؤية تفسيرية خاصّة بالإمام أمير المؤمنين ﷺ انفرد بها دون سواه، وهذا ما يُفصح عنه تراثه ﷺ الثرّ والغزير بالرؤى والآراء العلميّة الرشيقة والدقيقة، من قبيل ما مضى منّا في تحليل الأنموذج الثاني الوارد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾؛ إذ نرى أنّ الإمام أمير المؤمنين ﷺ قد ذكر معنى لهذا النصّ القرآنيّ لم يسبقه إليه أحد، وهو تفسير سرعة الحساب الإلهيّ بالحساب الدفعيّ.

ولذا؛ فمن المفيد جدّاً فتح آفاق مستجدّة وطريفة لتراث أمير المؤمنين ﷺ التفسيريّ بعنوان (متفرّداته التفسيرية)، وأيضاً بعنوان (متفرّداته في كفيّة توظيف النصّ القرآنيّ) كما عرضنا في نماذج متعدّدة، ونحو ذلك من العنوانات.

وهذه - كما ترى - آفاق بحثيّة مباركة تتفتّح منها أبواب ونوافذ عديدة، كما

لا يخفى على الباحث الحاذق .

إذن، فمن الجدير أن لا تتوقف حركة البحث في التراث العلويّ التفسيريّ عند العنوانات التكراريّة التي اعتدنا عليها وألفتها أذهاننا؛ بل لا بدّ من العبور صوب افتتاح محطّات بحثيّة جديدة .

الإضاءة الخامسة: لو تأملنا التراث التفسيريّ المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ونظرنا إليه من زاوية أُخرى لأمكن تصنيفه على نحوين:

النحو الأوّل: الروايات التي تتضمّن آراءً ناجزة، وهذا يُشكّل نسبةً كبيرةً من التفسير الروائيّ المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

النحو الثاني: الروايات التي تتضمّن التفسير الاستدلاليّ المستند إلى الأدلّة والشواهد، وهذا أيضاً يُمثّل قسطاً وافراً .

ولا ريب في أنّ النحو الثاني من الروايات التفسيريّة به حاجة إلى دراسات تحليليّة مستقلّة للكشف عن معالم هذا النحو من التفسير وتوظيفه في رفا العملية التفسيريّة .

الإضاءة السادسة: في الوقت الذي نحاول الإفادة القصوى من التراث التفسيريّ للإمام أمير المؤمنين عليه السلام لا يفوتنا التنبيه إلى أنّ بعض الروايات المأثورة عن الإمام علي عليه السلام، التي أُدرجت ضمن تراثه التفسيريّ سوف تخرج عن دائرة النشاط التفسيريّ؛ لكن لا بمعنى إهمالها وطرحها جانباً؛ بل لفتح باب خاصّ بها لاستثمارها في مجالات أُخرى، وأكتفي بهذا القدر من الإشارة الإجماليّة، وبيان ذلك وشرحه مفصّلاً يحتاج إلى فرصة بحثيّة أوسع علّنا نُوفّق لها إن شاء الله تعالى.

## أهم نتائج البحث:

١- إن الروايات التفسيرية المأثورة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من زاوية البحث التفسيري ليست كلها على منوال واحد، فقسمناها بلحاظ مدى وضوح النص القرآني المقصود بالرواية المأثورة عنه عليه السلام أو عدم ذلك على قسمين رئيسين: أ- القسم الأول: التوظيف الجلي للنص القرآني عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو ينقسم على صنفين:

الصنف الأول: التوظيف الذي يكون في قالب التفسير وكشف المعنى.

الصنف الثاني: التوظيف الذي يكون في قالب التطبيق للنص القرآني.

ب- القسم الثاني: التوظيف الخفي للنص القرآني عند الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو بنفسه ينقسم على صنفين أيضاً:

الصنف الأول: توظيف النص القرآني مع وجود القرينة البيئية.

الصنف الثاني: توظيف النص القرآني مجرداً عن القرينة أو مع القرينة غير البيئية.

٢- عرضنا ستة نماذج منتقاة من التراث التفسيري المأثور عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وتصدينا لتحليلها، وقد ركزنا في البحث على النماذج التي تضمنت التفسير الخفي للنص القرآني.

٣- أبدينا إضاءات منهجية عامة على تلك النماذج المتقدمة، وكانت ست إضاءات.

٤- ونختم بحثنا هذا بتوصية، وهي: أنه توجد مسؤوليات جسام ملقاة على عواتقنا تجاه تراث الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، وينبغي لنا إبراز هذا التراث بصورة جديدة معاصرة جذابة، ومن ناحية أخرى علينا أن ننقب في هذا التراث لاستنباط درره الكامنة فيه التي لم تُكشف بعد.

## المصادر

### القرآن الكريم

### نهج البلاغة

- ١- الاحتجاج، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦ م .
- ٢- أصول البحث العلمي ومناهجه، أحمد بدر، وكالة المطبوعات الحرمي، الكويت، ط ٦، ١٩٨٢ م .
- ٣- أصول البحث، عبد الهادي الفضلي، مؤسّسة دار الكتاب الإسلامي، قم .
- ٤- أقرب الموارد في فُصح العربيّة والشوارد، سعيد الخوري الشرتوني اللبناني، مطبعة مرسلي اليسوعية، بيروت، ١٨٨٩ م
- ٥- الأمثل في تفسير كتاب الله المُنزل، ناصر مكارم الشيرازي، من دون تاريخ .
- ٦- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّد باقر المجلسي، مؤسّسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣ م .
- ٧- البيان في علوم القرآن، أبو القاسم الخوئي، المطبعة العلميّة، قم، ط ٥، ١٩٧٤ م .
- ٨- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٠٦ هـ .
- ٩- تاج اللغة وصحاح العربيّة، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٨٧ م .
- ١٠- التبيان في تفسير القرآن، محمّد بن الحسن الطوسي، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، ط ١، ١٢٠٩ هـ .

- ١١- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، حسن المصطفوي، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الدائرة العامة للمراكز والعلاقات الثقافية، إيران، ط ١، ١٣٦٨ هـ. ش
- ١٢- تفسير القمي، أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، مؤسسه دار الكتاب للطباعة والنشر، قم، ط ٣، ١٤٠٤ هـ.
- ١٣- تفسير مقاتل، مقاتل بن سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م.
- ١٤- تفسير نور الثقلين، عبد علي بن جمعة الحويزي العروسي، مؤسسه إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم، من دون تاريخ.
- ١٥- التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، محمد هادي معرفة، الجامعة الرضوية، إيران، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٣٧٧ هـ. ش
- ١٦- تفصيل وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة، محمد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسسه آل البيت لإحياء التراث، قم، ط ١، ١٤١٢ هـ.
- ١٧- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى، الدار المصرية للتأليف والترجمة (دار القومية العربية)، ١٩٦٤ م.
- ١٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨ م.
- ١٩- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٥٢ م.
- ٢٠- شرح نهج البلاغة، المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، ١٩٥٩ م
- ٢١- الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ط ٣، ١٣٨٨ هـ.
- ٢٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمد بن عمر الزمخشري، نشر البلاغة، قم، ط ١، ١٤١٣ هـ.

- ٢٣- كتاب العين، الفراهيدي، مؤسّسة دار الهجرة، إيران، ط٢، ١٤٠٩ هـ .
- ٢٤- لسان العرب، ابن منظور، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥ م .
- ٢٥- المحيط في اللغة، الصاحب ابن عبّاد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٩٩٤ م .
- ٢٦- المدرسة القرآنيّة (المطبوع ضمن المجموعة الكاملة للشهيد الصدر)، محمّد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٠ م .
- ٢٧- معاني القرآن الكريم، أبو جعفر المصري النحوي اللغوي النحّاس، جامعة أمّ القرى، العربية السعوديّة، ط١، ١٤٠٩ هـ .
- ٢٨- المعجم الأُصُولِي، محمّد صنقور، منشورات الطيّار، قم، ط٢، ١٤٢٨ هـ .
- ٢٩- المعجم الوسيط، دار الفكر، من دون تاريخ .
- ٣٠- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، أبو القاسم الحسين بن محمّد الراغب الإصفهاني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٢ م .
- ٣١- مقاييس اللغة، ابن فارس، دار الكتب العلميّة، قم، من دون تاريخ .
- ٣٢- مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه، محمّد بن علي بن بابويه الصدوق، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ١٤١٠ هـ .
- ٣٣- المنهج الأثري في تفسير القرآن الكريم (حقيقته ومصادره وتطبيقاته)، هدى جاسم محمّد أبو طبرة، مكتب الإعلام الإسلامي، إيران، ط١، ١٩٩٤ م .
- ٣٤- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ﷺ في الكتاب والسُنّة والتاريخ، محمّد الريشهري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم، ط٢، ١٤٢٥ هـ .
- ٣٥- الميزان في تفسير القرآن، محمّد حسين الطباطبائي، مؤسّسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٩٧٣ م .

المَرَجِعِيَّاتُ الْحِجَاوِيَّةُ لِإثْبَاتِ وَلايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ  
دِرَاسَةٌ فِي ضَوْءِ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ

م . د عماد طالب موسى الخزاعي  
المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

The Argumentative References for Establishing the Guardianship  
of the Commander of the Faithful (peace be upon him)  
A Study in Light of Discourse Analysis

M. D. Imad Talib Musa al-Khuza'i  
General Directorate of Education in the Holy Province of Karbala

## الملخص:

يدرسُ هذا الجهدُ المتواضعُ الأدلَّةَ التي تثبتُ (عقيدةَ الإمامةِ) وأسَّستَ لها، بوصفها نصوصًا عاليةَ المصدرِ، من قرآنِ كريمٍ، وحديثِ نبويٍّ شريفٍ، ونهجِ البلاغةِ، وهي خطاباتٌ عرضَ لها كلُّ أطْيافِ المُسلمينَ بالدرسِ وقرؤِها بلحاظِ ما يعتقدونَ لا بلحاظِ ما تفرزُهُ هي من عقيدةٍ، لذلك دارتِ رحى التفسيرِ، والشرحِ، والتوجيهِ على وفقِ أهواءٍ ومشاربٍ، منها ما جانبَ الصوابَ كليًّا، ومنها بينَ بينٍ، ومنها غرَفَ من الماءِ الزلالِ، والأفقُ الذي حملَ ذلكَ كلَّهُ هو اللغةُ، فمن بابِ أولى أن يلتفتَ المختصُّونَ فيها إلى دراسةِ تلكَ الخطاباتِ أو بعضها على وفقِ مناهجٍ لغويَّةٍ ناجعةٍ تتأمَّلُ مفاصلَ الخطابِ من أوَّلِ تكوينِ خطبيِّ له، ثم تتبَّعِ إشاريَّاته ومقامه لتتقرَّبَ من قصدِ منتجِه، فتُصحِّحَ فهمًا، أو تؤيِّدَ تفسيرًا في حدودِ المنهجِ المتبعِ، وعلى ما تسمَّحُ به طاقةُ اللغةِ ولياقتها في التعبيرِ، ويبقى ذلكَ كلُّه اجتهادَ باحثٍ قد ركنَ في قراءتِه لبعضِ النصوصِ التي أسَّستَ لعقيدةِ (الإمامةِ) على وفقِ آلياتِ تحليليَّةٍ تسالمَ عليها الدرسُ اللغويُّ.

وقد أفرزتِ المنظومةُ الفكريَّةُ مناهجَ ونظرياتَ لا يتَّسعُ المقامُ لذكرها، ولكنَّ الدراسةَ تؤثرُ الاتجاهاتُ ذاتُ العلاقةَ بمفهومها وإجراءاتها من اتجاهاتِ تحليلِ الخطابِ لتقفَ عندها بالقدرِ الذي يحقُّ مبتهاها، ويفتحُ الأفقَ للقارئِ لإدراكِ مسارها، وهي؛ التحليلِ البنيوي، والتحليلِ التداولي، والتحليلِ الحجاجي، ليقومَ البحثُ على مبحثين، عرضَ الأوَّلِ منهما التحليلِ البنيوي، والآخرَ التحليلِ التداولي الذي يشملُ التحليلِ الحجاجي أيضًا، وقد شُفعا بخاتمة، ثم ثبتَ المصادر.

الكلمات المفتاحيَّة: الحجاج، أمير المؤمنين ﷺ، تحليل الخطاب.

### Abstract:

This modest effort examines the evidences that establish the doctrine of Imamate and form its foundations, considering them as texts of exalted origin—namely the Holy Qur'an, the noble Prophetic hadith, and Nahj al-Balāgha. These are discourses that all groups of Muslims have studied and interpreted according to their own beliefs rather than according to the creed that these texts themselves generate. Thus, the cycle of interpretation, explanation, and justification has revolved according to differing inclinations and tendencies some completely missing the mark, some taking a middle stance, and some drawing from pure, refreshing water. The medium that carried all of this is language, and therefore it is essential for specialists in this field to study these discourses or some of them through effective linguistic methodologies that contemplate the components of the discourse from its earliest written formation, then trace its indications and context to approach the intent of its producer, thereby correcting an understanding or supporting an interpretation within the boundaries of the adopted methodology and within the expressive capacity and suitability of language. All of this remains the ijthād of a researcher who relied in his reading of certain texts that established the doctrine of Imamate on analytical mechanisms agreed upon in linguistic studies. The intellectual framework has produced various methodologies and theories that cannot all be mentioned here, but the study focuses on the approaches most closely related to its concept and application from the field of discourse analysis, stopping at them to the extent necessary to achieve its aim and open the path for the reader to grasp its trajectory. These are: structural analysis, pragmatic analysis, and argumentative analysis. The study dedicates a section to each approach, consisting of two main topics—the first presenting structural analysis, and the second presenting pragmatic analysis, which also includes argumentative analysis. Both are followed by a conclusion and a list of sources.

**Keywords:** argumentation, the Commander of the Faithful (peace be upon him), discourse analysis.

## المقدمة

يَتَّخِذُ مَنْتَجُ الْخِطَابِ لِتَحْقِيقِ التَّأثيرِ فِي الْمُتَلَقِّينَ وَتَوْجِيهِهِمْ تَقْنِيَّاتٍ حِجَاجِيَّةً عَدَّةً؛ تَعْتَمِدُ عَلَى مَرْجِعِيَّاتِ الْخِطِيبِ الثَّقَافِيَّةِ، وَقَدْ حَفَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَالْأَحَادِيثُ النَّبَوِيَّةُ، وَخِطْبُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ بِمَرْجِعِيَّاتٍ خِطَابِيَّةٍ مُتَنَوِّعَةٍ تَعْدُ مَرْتَكِزَاتِ الْخِطَابِ، إِضَافَةً إِلَى مَسَاحَةِ كَبِيرَةٍ لِمَشَاهِدِ وَأَقْعِيَّةٍ عَاشَهَا أَطْرَافُ الْخِطَابِ، كُلُّ تِلْكَ الْمَرْجِعِيَّاتِ تَخْلُقُ تَقْنِيَّاتٍ حِجَاجِيَّةً تُؤَيِّدُ فَحْوَى الْخِطَابِ، وَتَزِيدُ زَخْمَ تَأثيرِهِ فِي الْمُتَلَقِّينَ، وَمِنْ أَهَمِّ الْقَضَايَا الَّتِي عَالَجَتْهَا تِلْكَ الْمَصَادِرُ الْمُقَدَّسَةُ هِيَ قَضِيَّةُ (الإمامة)؛ إِذْ تَمَثَّلُ مَنطِقَةً جَدَلٍ وَاسِعَةٍ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَعَلَيْهَا يَتَرْتَبُ صَدَقُ الْإلتِزَامِ بِمَا دَعَا إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مَفْهُومًا، وَطَبَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ مُصَدِّقًا، عَلَى وَفْقِ طَقُوسٍ يَسْتَحِيلُ مَعَهَا التَّشْكِيكُ فِي تَوَاتُرِهَا، وَمَعَ كُلِّ ذَلِكَ جَرَى تَسْوِيفُ تِلْكَ التَّعَالِيمِ، وَمِغَالَطَاتُ مَفْهُومِيَّةٍ لِلْمِصْطَلَحِ (الإمامة/ الولاية/ الخلافة).

يَهْدَفُ الْبَحْثُ إِلَى الْكَشْفِ عَنِ الْمَرْجِعِيَّاتِ الْحِجَاجِيَّةِ لِإثْبَاتِ عَقِيدَةِ الإِمامَةِ فِي الْخِطَابَاتِ الدِّينِيَّةِ الْمُقَدَّسَةِ بِاتِّبَاعِ مَنهَجِ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ؛ إِذْ إِنَّ فَهْمَ الْخِطَابِ يَتَّجِهُ نَحْوَ التَّوَاشُجِ بَيْنَ الْفِكرِ وَاللُّغَةِ، وَدِرَاسَتُهُ تَبْحَثُ تَعْبِيرَ الْفِكرِ عَنِ نَفْسِهِ فِي اللُّغَةِ، فَهُوَ يَفْرِضُ عَلَى الْأَشْيَاءِ الدَّخُولَ إِلَى أَفْقِ الدِّوَالِ وَمِنْ ثَمَّ يُمَكِّنُ الذَّاتَ مِنْ أَنْ تَحْوُلَ الْخِبْرَةُ إِلَى مُتَعَيَّنٍ، قَابِلٍ لِأَنْ نَسْمِيَهُ وَنَتَحَكَّمُ فِيهِ أَوْ نَنَاوِشُ ذَلِكَ التَّحَكُّمَ دَائِبَ الْمَرَاوِغَةِ وَيَسْهَمُ هَذَا فِي تَأْسِيسِ الذَّاتِ الَّتِي تَنْزِعُ إِلَى الْهَيْمَنَةِ عَلَى خِبْرَاتِهَا حِينَ تَصِيرُ اللُّغَةُ مَظْهَرًا لِلْفِكرِ. وَقَدْ أَفْرَزْتَ الْمَنْظُومَةَ الْفِكرِيَّةَ مَناهِجَ وَنَظَرِيَّاتٍ لَا يَتَّسَعُ الْمَقَامُ لَذِكْرِهَا، وَلَكِنَّ الدِّرَاسَةَ تُؤَثِّرُ الْإتْجَاهَاتِ ذَاتِ الْعِلَاقَةِ بِمَفْهُومِهَا وَإِجْرَائِهَا مِنْ اتِّجَاهَاتِ تَحْلِيلِ الْخِطَابِ لِتَقْفِ عِنْدَهَا بِالْقَدْرِ الَّذِي يَحْقُقُ مَبْتَغَاها، وَهِيَ؛ التَّحْلِيلُ الْبِنْيَوِيُّ، وَالتَّداوُلِيُّ، وَالْحِجَاجِيُّ، لِيَقُومَ الْبَحْثُ عَلَى مَبْحَثِينَ، عَرَضَ الْأَوَّلِ مِنْهُمَا التَّحْلِيلُ الْبِنْيَوِيُّ، وَالْآخِرُ التَّحْلِيلُ التَّداوُلِيُّ الَّذِي يَشْمَلُ التَّحْلِيلَ الْحِجَاجِيَّ أَيْضًا، وَقَدْ شُفِعَا بِخَاتِمَةٍ، ثُمَّ ثَبَتَ الْمَصَادِرُ.

## المبحث الأول

### التحليل النبوي لمرجعيات الإمامة

النبويّة هي المسار الذي سلكه علم اللغة في العصر الحديث، وأصبحت اللغة في ضوئها كياناً يُدرس في ذاته ومن أجل ذاته<sup>(١)</sup>، والمرتكز الذي انبنت عليها أغلب الاتجاهات اللغوية التي (( تبدأ بسوسير وتنتهي بجومسكي، بل إنَّ جومسكي نفسه قد عدَّ بنائياً؛ إذ أطلق (جان بياجيه) على نظرية جومسكي اسم (النبويّة التحويلية))<sup>(٢)</sup> والنبويّة تسمية أطلقت على المدارس اللسانية التي تدرس (نظام/ بنية) اللغة وتصفها، وقد ظهرت في منتصف القرن العشرين<sup>(٣)</sup> ويُعدُّ (سوسير) أباً للنبويّة، بيد أنه لم يذكر (بنية) وإنّما ذكر (النسق/ النظام) وظهر مصطلح النبويّة عام ١٩٢٨ م، الذي يقف عند حدود الشكل وما يفرضه من معنى، لتهتم بالنسق وطريقة بنائه، وتنظر إلى اللغة بوصفها بناءً أو نظاماً أو هيكلًا مستقلاً عن منتجه، وظروف إنتاجه الخارجيّة؛ وتتفحص ذلك النظام من طريق البحث عن الوحدات المكوّنة له<sup>(٤)</sup> ويقابل اللغة بوصفها نظاماً، والكلام بوصفه مظهرها المتحقّق ((فهو الإنجاز اللفظي المتنوع الذي انتقل من مرحلة الغموض والكمون في العقل الباطن ليصبح رموزاً مستحضرة واضحة تعبر عن مدلولاتها، وعلى هذا يترتب ... أن لا يتركز البحث في اللغة على استقصاء أصولها التاريخيّة البعيدة، وإنّما يتركز في دراسة تراكيبها وأصواتها وخصائص مفرداتها على النحو الذي تداوله الناس تداولاً حيّاً لا من خلال النصوص المكتوبة))<sup>(٥)</sup>.

وجاءت مدرسة جينيف اللسانية بسمتها التعدّدية في استقلال نظرة علمائها إلى

(١) ينظر: علم اللغة العام: ٣٤.

(٢) البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات): ٧١.

(٣) ينظر: علم اللغة العام: ٣٠.

(٤) ينظر: النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية: ١٠٦.

(٥) الاتجاهات النحوية لدى القدماء دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة: ٣٥.

اللغة؛ إذ تَبَنَّتْ مقولات (سوسير) ووسَّعَتْها لتكون طروحاتهم مهمة بتحويل اللغة إلى كلام من طريق تركيزهم على جانبيين؛ الأوَّل اللغة بوصفها نظامًا، والآخر مراعاتهم جانب الانفعال والتأثير ليلجوا إلى لسانيات الكلام تمهيدا للتداولية، وخلاصة ذلك اهتمَّت البنيوية بدراسة النسق اللغوي والوقوف على العلاقات الداخلية بين الألفاظ لتحديد معناها أوَّلاً، والخروج بالمعنى العام من النص ثانياً، من دون الاعتماد على المؤشِّرات غير اللغوية في فهم المنطوق، ويعد هذا الإجراء أوَّل مراحل الظفر بمعنى البنية بوصفه يقدِّم خطوة في استعمال اللغة بالفعل بعد أن كانت موجودة بالقوَّة؛ لأنَّ اللسانيات التي درست الكلمات بوصفها إشارات لغوية تميَّزت بانشطارها في ثنائية الدال والمدلول عند (سوسير) - بقطع النظر عن المرجع عند (أوجدن وريتشاردز) - فإنَّ هذه المعادلة إذا ما أريد لها أن تتجاوز حدود هذا المعطى لا يسري تطبيقه عند الحديث عن (القصد) الذي يضمه المتكلِّم في الكلمة أو لنقل التركيب بصورة عامة؛ لأنَّ الكلمة في هذا الاشتغال تغادر ما عُرفت به من دلالة أو تغدو دلالتها الأصلية ثانوية مرشدة بمعيرة القرائن إلى قصد المتكلِّم وليس بالضرورة أن تحتفظ في إطار النظر إلى الإشارة بوصفها كلمة مفردة، إذ قد يجرر المدلول من علاقته بالدال التي يقيمها في إطار الكلمة من منظور لساني لينتقل إلى حقل الخطاب؛ لأنَّ (القصد) جزء من دلالة النص معنى، وخارج عنه اشتغالا، وليس جزءاً من دلالة الكلمة، ولذا فإنَّ أيَّ نصٍّ يخلو من القصد لا يرقى إلى مرتبة الخطاب، ومن ثمَّ لا يقوى أن يحافظ على انسجامه الداخلي، وسيفقد في النتيجة توجُّهه الاتصالي<sup>(١)</sup>.

يدرس البحث الأدلة الحجاجية على (الإمامة) بوصفها منصباً ربائياً لا دخل للناس في اختياره كما النبوة من طريق تأمل حواضنها الشكلية بنيويًا؛ لنقف على العلاقات التركيبية التي تحكم النظام بدقَّة وتحدد مقاربة مقصد الخطاب، بعيدا عن زيغ الفهم، ولي عنق النص الذي مورس بحسب الأهواء والعقيدة.

(١) ينظر: اللسانيات والدلالة: ٦٦-٦٧.

## المطلب الأوّل

### النسق البنيوي الجامع للملفوظات

الخطاب بصورة عامّة قائم على إرادتين؛ إرادة لغويّة، وإرادة إنسانيّة / منتج الخطاب، أمّا الأولى فتمثّل الخطاب بشرعيّة قوانينها، وترابط كلماتها، ليكون مقبولاً مفيداً، وأمّا الأخرى فتمثّل غرض منتج الخطاب؛ فهو الذي يؤسّس لها ويكوّنّها، وإذّاك فهو الذي يتحكّم في محدوديّة قوانين الإرادة الأولى ويوجّهها بحسب قصده من الخطاب من طريق أسلوب النظم، وانتقاء الكلمات<sup>(١)</sup>، فاللغة على وفق ذلك تقدّم سلسلة من الاختيارات المادّية المعنويّة المشتركة لدى منتج الخطاب وملتقّيه؛ ليوظّفها المتكلم بحسب غرضه من الخطاب، وهذا يقودنا إلى القول بطاقة اللغة الخلّاقة - بحسب ما نادى بها تشومسكي - بلحاظ قوانين اللغة أوّلاً، وإلى القول بانفتاح المعنى وحركته بلحاظ قصود مستعملها ثانياً، وبين هذا وذاك فاللغة قوام متكامل متناسق قائم على تفاعل مستوياتها الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والدلاليّة تستوعب إرادة المتكلم؛ لرصف ما يمكنه من تحقيق مبتغاه الخطابي، وتمثّل المتلقّي بأسس تفسير ما يتلقّاه من خطاب؛ لاشتراكهما بملكة استقبالها سليقة، وممارستها تواصلًا.

المقصود بالنسق البنيوي هو الداخل اللغوي الذي يكوّنه توالي الملفوظات، من دون الخروج إلى إطار الخطاب الخارجي، وهذا إجراء نهدف منه إلى مراقبة معنى البنية المعجمية بلحاظ السياق اللغوي بوصفه أوّل البيان المعنوي الذي تكتسي به الألفاظ؛ إذ إنّ الألفاظ إشارات لغويّة بحسب البنيويين تنقسم على دال ومدلول، ولكنّ هذه المقولة تتراجع سلطة تطبيقها - بحسب ما توضّحه تطبيقات هذا المبحث - إذا توسّع أفق التحليل ليجثّها في ظلّ السياق؛ لأنّها

(١) ينظر: اللسانيات والدلالة: ٦٣ - ٦٤.

محكومةً على وفق ذلك بقصدٍ معين، ويكونُ اشتغالُ المطلب بحسبِ خطواتٍ تبدأ برصدِ المعنى الوضعيِّ للفظه ما في المعجم، ثم تتبَّع معناها في الخطاب لرصدِ معناها المقصود، متأملين في المسافة التي تفصلُ بين المعنى الوضعيِّ والمعنى المقروء في الاستعمال، ومثاله ما نجده في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦]، فقد تناوشت معنى (وليكم) آراءً كثيرة<sup>(١)</sup>، واختلِف في تحديد (الذين آمنوا) أيضًا، علمًا أنَّ هذه الآية تُعدُّ من أهم الآيات التي تؤسس لمصطلح (الإمامة) التوقيفي؛ إذ إنَّ جذر (وليكم) من (ولي) وهو ((أصل صحيح يدل على قرب))<sup>(٢)</sup> ومن معانيها ((المتولي لأمر العالم والخلائق القائم بها، قال ابن الأثير: وكانَّ الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل))<sup>(٣)</sup> فينبى سياق الآية النبويُّ عن معنى ﴿وَلِيِّكُمْ﴾ هو ((من كان مستحقًا للأمر، وأولى القيام به، وتجب طاعته))<sup>(٤)</sup> وهو ((الأولى بالتصرف، والإمام دون الناصر والمحِب؛ لأنَّ حصر النصرة والمحبة في المؤمن المعطي للزكاة في حال الركوع غير مستقيم لتحققهما في المؤمن مطلقًا، وإذا كان الولي بالمعنى المذكور كانت نسبة الولاية إلى الله تعالى من باب نسبة ما لأوليائه إليه))<sup>(٥)</sup> يؤكِّد ذلك اقتران لفظ (الولاية) بالله سبحانه، والرسول ﷺ والمؤمنين، فلزم والحال هذه أنَّ لفظ (المؤمنين) المخصوص بالولاية لا يشمل عامَّة المؤمنين، وإنَّما هو تكريم وتعيين اختص بنفر منهم من دون غيرهم، وإلاَّ تساوى ما للذات المقدَّسة مع سائر المؤمنين وهذا لا يصح عقلاً، أمَّا الولاية لله والرسول فمسلَّمًا بها، أمَّا ولاية الذين آمنوا فحدث في مصداقها خلاف بيد

(١) الاقتصاد: ١٩٨، معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/١٦.

(٢) معجم مقاييس اللغة: ٦/١٤١.

(٣) لسان العرب: ١٥/٤٠٦-٤٠٧.

(٤) الاقتصاد: ١٩٨.

(٥) شرح أصول الكافي: ٤/٢٣٤.

أَنَّ النِّسْقَ البِنْيَوِيَّ الَّذِي قَدَّمَ المَلْفُوظَ قَدْ خَصَّصَ المَقْصُودَ بِهَا بَدَقَّةً؛ قال تعالى:  
**﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾** [المائدة: ٥٥]؛ فحدّد  
 النسق اللغويّ المخصوص بـ(الولاية/ الإمامة) من طريق ثلاث صفات:

- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ.  
 - وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ.  
 وَهُمْ رَاكِعُونَ ← وَلِيكُمْ.

فإذا كانت الصفتان الأولى والثانية تحملان اشتراك جميع المؤمنين بهما؛ لأن كلّ  
 مؤمن - لو سلّمنا - يقيم الصلاة، ويؤتي الزكاة، فإنّ الصفة الثالثة أكثر تخصيصاً؛ فهي  
 قيّدت الصفتين السابقتين بأن تصدق ولاية من يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة وهو راع  
 حصراً، وهذا خبر لما كان - إن صح التعبير - لا لما يكون حتى يُطبّق، وكأنّ الآية  
 المباركة جاءت لتصادق فعلاً وتجعله علامة مائزة لوليّ الله تعالى الذي تجب طاعته،  
 فالفاعل الدلالي بين عناصر السياق اللغوي يركّز المعنى، ويحمل القصد بوضوح.

إذا تحدّثنا عن مصداق (الذين آمنوا) فقد أجمع أكثر المسلمين على أنّ مصداقها  
 هو الإمام عليّ عليه السلام<sup>(١)</sup> وقيل في لفظ الجمع - راعون - إنه ((لإيراد المبالغة))<sup>(٢)</sup>  
 ولعلّ في ذلك الجمع إشارة إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام من ذريّته، وخرج العطف  
 للتشريك مع مراعاة الرتبة في التقديم<sup>(٣)</sup>، وقد قدّم السياق اللغوي عاقبة من يتولّى  
 تلك الأقطاب الثلاثة (الله، الرسول، والذين آمنوا) وهي الغلبة والفوز

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): ١٠/٤٢٥،  
 معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٦/١، وغيرها كثير.  
 (٢) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/٦٤٨.  
 (٣) ينظر: البلاغة والتطبيق: ١٤٥.

﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وإنَّ (الذين آمنوا) بوصفهم أولياء مخصوصين، يختلفون عن المنادى في الآية التالية لها؛ إذ قدَّم السياق اللغوي في الآيات الثلاثة موضع التحليل ثنائياتٍ ضديَّةً تعضَّد اختصاص الولاية لأشخاص معيَّنين وتبعدها عن العموم الذي نادى به طائفة من المفسِّرين وغيرهم<sup>(١)</sup>، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٢)</sup>؛

إذ نلاحظ المنادى هنا (الذين آمنوا) لينهاهم (سبحانه) عن اتخاذ ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا﴾ يُعزِّز ذلك تذييل الآية المباركة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ فكيف يجبر بولاية (الذين آمنوا) من جهة، وينهى (الذين آمنوا) من اتباع الكافرين من جهة أخرى، مع العلم أنَّ من اختصَّت بهم الولاية هم امتداد طولي لولاية الله سبحانه المطلقة بدليل اشتراكهم بحرف العطف (الواو)، وهذا يتطلَّب مصداق معيَّن؛ وهذا المصداق قد ذكرته كتب أسباب النزول، والتفسير أنَّه الإمام علي عليه السلام؛ لأنَّ الولي بهذا التخصيص هو من أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو رابع<sup>(٣)</sup>، وقد نفى التركيب اللغوي الذي جاءت عليه الآية أن يكون غير ما ذكر وليًّا للمؤمنين بدلالة أداة الحصر (إنَّما)<sup>(٤)</sup>، وهذا المعنى يكشفه الترابط البنيوي بين الملفوظات في سياق الآية؛ إذ المعنى في البنيويَّة ((هو محصلة (توزيعية بنائية) يتحدد معنى الكلمة على أساس علاقاتها المتقاربة مع غيرها، ويعد الأمريكي (بلومفيلد) مؤسس هذا الاتجاه الشكلي في تحديد المعنى))<sup>(٥)</sup>، وقال أمير

(١) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ١٠ / ٤٢٤، وتفسير القرآن العظيم لابن حاتم: ٤ / ١١٦٢،

والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤ / ٨٠، وشرح مقدمة أصول التفسير لابن تيمية: ٢٢٤.

(٢) سورة المائدة: ٥٧.

(٣) الاقتصاد: ١٩٩.

(٤) الاقتصاد: ١٩٩.

(٥) البحوث الأدبية واللغوية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات): ٨٩.

المؤمنين ﷺ في أولياء الله سبحانه: ((إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا وَاسْتَعْلَمُوا بِأَجْلِهَا إِذَا اسْتَعْلَمَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا بِهِمْ عُلْمَ الْكِتَابِ وَ بِهِ عَلِمُوا))<sup>(١)</sup> فمستبعد أن يكون معنى الولي هو الناصر، وإنما هو الإمام المعصوم المنصوص عليه من الله سبحانه، ورسوله ﷺ وهو المتصرف بشؤون الناس عامّة وعليهم طاعته.

لقد نزلت الآية في ظهريّ المسلمين لتبين لهم ولادة أمرهم ومن تجب طاعتهم التي تقع طويلاً مع طاعة الله وتوحيده سبحانه؛ إذ هما - الرسول والمؤمنون - اللذان خصهم الله سبحانه بالولاية وقد أكد ذلك الرسول ﷺ للناس في حديث عُرف به (حديث الثقلين) المتواتر صدوره عند جميع الفرق، والآية المباركة موضع البحث قدّمت الطريق لتوحيد الله تعالى، والميّنين لدينه وهذا يتطابق مع مضمون حديث الثقلين<sup>(٢)</sup>؛ قال رسول الله ﷺ: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخَرِ: كِتَابُ اللَّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعَتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلِيَّ (الحوض))<sup>(٣)</sup>، لو عدنا إلى الآية المباركة لوجدنا لفظ (الرسول) جاء متوسطاً بين لفظ الجلالة (الله) ولفظ (المؤمنون) موقعاً بين ألفاظ الآية المباركة، والنكته اللطيفة أنّ هذا التوسط أيضاً يستمر في الوظيفة التبليغية أولاً، ومراتب التلقي والهداية ثانياً؛ وبيان ذلك أنّ الرسول ﷺ يتلقى التعاليم السماوية من طريق الوحي الإلهي لتصل بدقائقها إلى وصيّهِ وعبيّة علمه أولاً، ثم ينشأ ﷺ بتبليغها إلى الناس عامة، وأول مصداق تطبيقي لتلك التعاليم ومستوعباً للعلوم هو الإمام علي ﷺ لذلك قال الإمام: ((وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ - وَضَعْنِي فِي حِجْرِهِ

(١) نهج البلاغة، تحقيق: د. صبحي الصالح: ٥٥٢.

(٢) لي في هذا الموضوع مقالات منشورة في مواقع الأنترنت.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (٢٤١هـ): ١٧٠ / ١٧٠.

وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ - وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ - وَيُشَمِّنِي عَرَفَهُ - وَكَانَ يَمْضَعُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ - وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتْبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرُ أُمَّه - يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَحْلَاقِهِ عِلْمًا - وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَ وَاحِدٍ يَوْمَنَدٍ فِي الْإِسْلَامِ - غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا - أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ وَأَشْمُ رِيحَ النَّبُوَّةِ<sup>(١)</sup> ولو عملنا مقابلة بين الآية والحديث نجد الترتيب عينه حاضراً في الحديث، وحلقة الوصل - الرسول - في الموقع نفسه بين الله تعالى والعترة ﷺ وهذا النظام الإلهي التوقيفي سار حتى لا تخلو الأرض من حجة بعد النبي الخاتم؛ إذ إنَّ الولاية جاءت لتنقذ الناس من الضلال من طريق التمسك بالثقلين وهما القرآن الكريم الصادر بلفظه ومعناه من الله تعالى وهو خطاب الله في الأرض، والعترة الطاهرة الذين هم امتداد الرسول فينا ويمثل الرسول حلقة الوصل الذي تلقى فبلغ وجعل أمناء على ما تلقى وحجج على ما يفعل الناس.

## المطلب الثاني

### دقة النسق التركيبي في بيان المعنى

تمثل البنية التركيبية الإنجازَ الكلاميَّ المتحقَّقَ على مستوى الاستعمال في المقامات التخاطبية التي تتوازعها نظريات بحثت قوام اختلافاتها الشكلية، وأخر دراست نواتجها المعنوية، فأوضحت - البنية التركيبية - نقطة التقاء المناهج والنظريات اللغوية والدلالية على اختلاف مراميها؛ لأنها قوام تماسك مستويات اللغة في كلِّ نسقيٍّ مرصوف على وفق العرف اللغوي الذي يُعدُّ نتيجة ((عن مجموعة من العلاقات الحية المتنامية، وليست مجرد رصف للألفاظ بلا تعلق فيما بينها، وأنَّ هذه العلاقات تبرز من طريق الصنعة التي يُستعان عليها بالفكرة والروية (والذوق))<sup>(١)</sup> إنَّ الألفاظ وإن كانت كوامن المعاني الأولية غير أنَّها لا تلبِّي غرض المتكلِّم في حدثه الخطابي الذي ((لا يمكن أن ينحصر في البنية الفردية للألفاظ؛ بل لا بدَّ من تجاوزه إلى التشكيل التركيبي))<sup>(٢)</sup> الذي يشتمل على المكونات التركيبية من دون فصل بين ((الألفاظ ومعانيها ولا بين الصورة ومحتواها الواقعي أو الذهني ولا بين الشكل والمضمون))<sup>(٣)</sup> وهذا يكشف عن واقع اللغة التي ((تتمثَّل بالمفردات أولاً، ثمَّ بالتركيب ثانياً، والتركيب هي محطُّ الفائدة التي يتوخَّأها المتكلِّم ويتطلَّبها المتلقي))<sup>(٤)</sup> على وفق نظم ((تأليف الكلمات وتركيبها وهذا النظام يُعرف من مواقع بعض الكلمات من بعض في الجملة، وللعربية نظامها الخاص في ذلك، والجملة هي التي تشكل تركيباً مفهوماً))<sup>(٥)</sup> إذا عدنا إلى الآية المباركة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ نجد أسلوب الحصر بـ(إنما) يشير إلى ((وجوب اختصاصهم بالموالاة، وأصل الكلام: إنما وليكم

(١) الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجاً وتطبيقاً): ٨٩/١.

(٢) البلاغة العربية، قراءة أخرى: ٩٨.

(٣) الأسلوبية والبيان العربي: ٧٩.

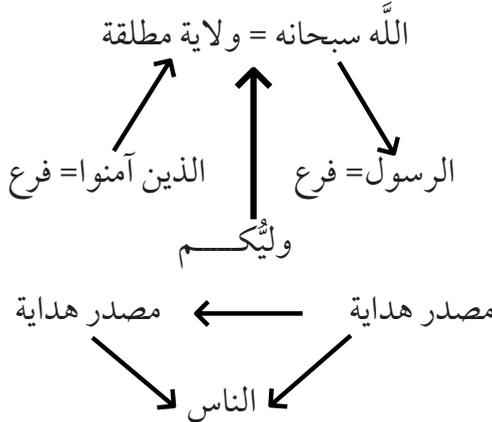
(٤) معجم علم اللغة النظري: ١٥٧.

(٥) نظام الجملة العربية: ٣٠.

الله، فجعلت الولاية لله على طريق الأصالة، ثم نظم في سلك إثباتها له إثباتها لرسول الله والمؤمنين على سبيل التبع))<sup>(١)</sup> وقد جاء الخبر جملة اسمية للدلالة على ثبوت الولاية لأهل البيت عليهم السلام، وجاءت الصلة جملة فعلية (يقيمون) و(يؤتون) ليكشف عن استمرار الولاية في فيهم لا غير<sup>(٢)</sup>.

وقد اكتنف بنية حديث الثقلين التركيبية جملة سمات توكيدية؛ منها التوكيد غير المكفوف (إني) والمكفوف **(إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ)** في مفتحتها؛ ليخصص المعنى في المكفوف ويخرج ما سواهم من الولاية، ويؤكد -في غير المكفوف- عملاً ومعنى، وبناء اسم الفاعل (تارك) امتد تأثيره التركيبي إلى لفظ (الثقلين) ليقدم تماسكاً نصياً من جهة، ودقة معنوية من جهة أخرى، وجاء النفي التأيدي (لن) ليزيد من قوة التأكيد في الآية في بيان التلازم وعدم الافتراق حتى لقاء الله سبحانه..

إن ترابط الأدلة الحجاجية فيما بينها يؤكد عقيدة (الإمامة / الولاية) وما تمتاز به من صفات أهمها (العصمة)؛ لأن المسلمين يأخذون تعاليم الدين من الذي تأمن منه عدم الزلل، وإلا يصبح ذلك الاقتداء وبالاً عليهم؛ ولذلك جاء مثلث الولاية محصوراً بين (الله، والرسول، والذين آمنوا) وهو مسار عصمة، ومصدر إشعاع الهداية، لنا أن نوضحه بحسب المخطط الآتي:



(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ٦٤٨.

(٢) إن أمر التصديق في الركوع ورد تكراره عن الأئمة عليهم السلام. ينظر: شرح أصول الكافي: ٤/ ٢٣٤.

قدّمت الأحاديث النبويّة ركائز الدين الحنيف، فبيّنت المجمل واستوفت المفصّل على هدي منشود للعباد وفي كلّ ذلك لا تخرج عن الامتداد القرآني، بل تأتي امتداداً لآياته ومرآة ناصعة لمعانيه وهي مصداق قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣] حتى أوضحت تلك السمة المائز بين صحيح الأحاديث من لصيقها حاضراً؛ قال الصادق عليه السلام: (( كلّ شيء مردود إلى الكتاب والسنة، وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف ))<sup>(١)</sup> لذا فإنّ لحديث الثقلين مصاديق قرآنيّة تؤكّده ومنها الآية موضع التحليل ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ وعلى ذلك يبدو جليّاً التطابق اللفظي والموضوعي بين الآية والحديث، ليقطع التأويلات التي سيقّت في هذا الصدد بأنّ المؤمنين لفظ عام يشمل كل المؤمنين؛ على الرغم من التخصيص الذي ذبّلت به الآية الكريمة من إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة حال الركوع الذي جاء وصفاً لحال الإمام علي عليه السلام عندما تصدق وهو راعٍ في المسجد أمام مرأى ومسمع جميع من حضر، وفحوى هذا الامتداد في الولاية أنّهم عليهم السلام المنتخبون المتقون الذين ارتقوا بتقواهم وعلمهم حتى خطوا معالم العصمة وأضحوا أهلها والأحقّ بها.

## المبحث الثاني التحليلُ التداوليُّ لأدلة الإمامة

برزت التداولية في أمريكا في القرن التاسع عشر من طروحات شارل ساندرس بيرس (١٨٣٤ - ١٩١٤) التي اهتمَّ فيها بالرمز، والإشارة، والأيقونة، وركَّز على البعد التواصلِي للغة على وفق مقارنة تداولية تعنى (بورود العلامة)، ليكمل شارل موريس هذا المفهوم فميَّز بين مظاهر اللغة الطبيعية: المظهر التركيبي والمظهر الدلالي، والمظهر التداولي، وبذلك بشر موريس بالمقارنة التداولية التي تدرس اللغة في سياقها التواصلِي بوصفها صيحة على المناهج الشكلية التي تهتم بالتركيب والدلالة وتقصي الوظيفة الاستعمالية/السياقية التي تعدُّ ضرورة لاكتمال الفهم الدقيق للخطاب<sup>(١)</sup>.

تمثَّل التداولية تغيُّراً في محور الاتجاه الفلسفي بتركيزه على دراسة اللغة، فكان انطلاق مفاهيمها من الفلسفة التحليلية من طريق رائدها غوتلوب فريجه؛ إذ وجَّه موضوع الفلسفة إلى تحليل اللغة<sup>(٢)</sup>؛ لأنَّ ذلك يرشدنا إلى تفسير فلسفي للفكر، والأخير يقودنا إلى الفهم الكلي للكون<sup>(٣)</sup>، فاللغة أو التعابير اللغوية لا معنى لها إلاَّ في سياق محدَّد، أي أنَّ اللفظ يأخذ معناه من المناسبة التي استعمل فيها<sup>(٤)</sup>، لتأتي مرحلة نضوج النظرية على يد (جون سيرل)، فأكمل طروحات أستاذه أوستين في نظرية (الأفعال الكلامية) فبيَّن تأثير استعمال اللغة في إنجاز الأفعال الكلامية ليدخل الفعل التأثيري لجميع الأفعال الإنجازية<sup>(٥)</sup>، وأضاف -أيضاً- الأقوال

(١) ينظر: التداوليات وتحليل الخطاب: ١١، والتداولية من أوستين إلى غوفمان: ٤٣.

(٢) ينظر: تداولية الخطاب السردي دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي: ١.

(٣) ينظر: المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحوارية نموذجاً: ١٥.

(٤) ينظر: اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة: ١٤٥.

(٥) ينظر: التداولية اليوم - علم جديد في التواصل: ٣٣.

المتضمنة في القول<sup>(١)</sup>، ونشر غرايس في ١٩٥٧م مقالاً يتحدث عن الدلالة بيد أنه طوّر الطرح التداولي، على وفق رؤية مغايرة لرؤية سابقه؛ إذ سلك في بحثه الفلسفي ((طريقة جديدة لفهم التداولية ومسألة التواصل، من طريق إسهامه على المستوى النظري في إدخال مفهوم الاستلزام الحوارية الذي مكن من فهم اختلاف المألوف بين دلالة الجملة والمعنى الذي يبلغه القول))<sup>(٢)</sup> فتتج عن تلك الطروحات المنهج التداولي، الذي يولي أهمية قصوى للشروط غير اللغوية، المتعلقة بالسياق والمقام، والمتكلمين، ومقاصدهم، وحيثيات الاستعمال<sup>(٣)</sup>.

## المطلب الأول

### أدلة الإمامة في ضوء تحليل الأفعال الكلامية

تعدُّ نظرية الأفعال الكلامية إحدى أهم الأسس التي قامت عليها اللسانيات التداولية في منظومة البحث اللغوي المعاصر، بل إنَّ التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية<sup>(٤)</sup>؛ بوصفها ((المجسّد الحقيقي للاستعمالات اللغوية في الواقع، حيث تهتم بدراسة ما يفعله المتكلمون باللغة؛ من تبليغ وإنجاز أفعال وتأثير، وكلُّ ذلك بغرض إنجاح العملية التواصلية بين المتحدثين))<sup>(٥)</sup> وفحواها ((كلُّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، فضلاً عن ذلك يُعدُّ نشاطاً مادياً نحوياً يتوسلُّ أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية كالطلب والأمر والوعد...))<sup>(٦)</sup> وتعرّف أيضاً بأنها ((إنتاج جملة نمطية أو إلقائها في ظروف معينة))<sup>(٧)</sup>، وعرفها سيرفوني بأنها: مجموعة الملفوظات التي لا تستعمل لوصف

(١) ينظر: التداولية اليوم - علم جديد في التواصل: ٢٠٤ - ٢٠٥.

(٢) القاموس الموسوعي للتداولية: ٢١٢.

(٣) ينظر: البعد التداولي عند سيبويه: ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٤) ينظر: آفاق جديدة: ٤٢.

(٥) الافعال الكلامية في سورة الكهف: ٩٨.

(٦) التداولية عند العلماء العرب: ٤٠.

(٧) إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية: ١٥٥.

الواقع أو حالة الأشياء، وبذلك لا يمكن أن تُوصف بأنها ملفوظات كاذبة أو صادقة<sup>(١)</sup>، في حين عَرَفَهَا كَرِيمرُ بِأَنَّهَا: ((أصغر وحدة لاتصال لساني، يمارس فيها المتكلم فعلاً تجاه السامع، وهو يتكوّن من مكوّنين، من محتوى قضوي ووظيفة إنجازية))<sup>(٢)</sup>.

تأتي أهمية هذه النظرية من مساهمتها في تعديل الانطباع التقليدي للتحليل اللغوي المرتكز على الوصف، ونظرت إلى اللغة بلحاظ قوتها الفاعلة في التبليغ والتأثير، ولذلك فالمعلومات المتبادلة بين أقطاب الخطاب تكون ضرورةً مثارةً بشيء ما، وتهدف إلى تحقيق شيء ما، ليكون الخطاب حلقة ضمن سلسلة المحاور الكلامية التي تدور في فلك الحياة الاجتماعية الواقعية<sup>(٣)</sup>.

تبنى مبادئ هذه النظرية مجموعة من فلاسفة أكسفورد وعملوا على تطويرها فيما بعد ولا سيما أوستين الذي تأثر بشدة بما نبّه إليه فتغنشتاين، فتصدى للردّ على فلاسفة الوضعية المنطقية في محاضراته التي ألقاها في أكسفورد ما بين سنتي ١٩٥٢ و ١٩٥٤ المعنونة بـ (كيف تنجز الأشياء بالكلمات) وقد جمعها أرمسون، وعدّها اثنتا عشرة، في كتاب نشر بعد وفاة أوستين سنة ١٩٦٠، إضافة إلى جهود سيرل البنائية<sup>(٤)</sup>.

يحتجّد البحث في هذا المساق أن يتتبع بعض الملفوظات التي تنجز أفعالاً وتؤسس للإمامة وحيثياتها من طريق قراءتها قراءة تداولية تستحضر جميع أقطاب العملية التواصلية لمقاربة المعنى، ومن ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] إذ نفي من الآية المباركة أمرين؛

(١) ينظر: الملفوظية: ٩٥.

(٢) اللغة والفعل الكلامي والاتصال: ٨٩.

(٣) ينظر: نظرية أفعال الكلام عند أوستين: ٨٠.

(٤) ينظر: آفاق جديدة: ٤٢.

الأول بيان مرتبة (الإمامة) والآخر (العصمة) بوصفها لازماً من لوازمها، بيد أن خلافاً كبيراً دار بين المفسرين بإزاء لفظ (الإمامة) في الآية، ف قيل إنها بمعنى (القائد) الذي يقتدى به في عمل الخير<sup>(١)</sup> ((وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ إني مصيرك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، تتقدمهم أنت، ويتبعون هديك، ويستنون بسنتك التي تعمل بها، بأمري إياك ووحىي إليك))<sup>(٢)</sup> وقيل: ((جعل هاهنا بمعنى القضاء، أي: قاض لك بالتقدم على الناس بالنبوة ليقعدوا بك))<sup>(٣)</sup> وفيه نظر على ما سيأتي نقاشه!، وقرينة (العهد) التي قيل في معناها ((هاهنا: النبوة والوحي، وقيل: الرحمة، وقيل: الوعد، والأول: الوجه))<sup>(٤)</sup>، وعلى كلا التقديرين ((وَجَبَ أَنْ لَا تَثْبُتَ النَّبُوءُ لِلظَّالِمِينَ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ عَهْدَ الْإِمَامَةِ وَجِبَ أَيْضًا أَنْ لَا تَثْبُتَ الْإِمَامَةُ لِلظَّالِمِينَ ... لِأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ لَا بُدَّ وَأَنْ يَكُونَ إِمَامًا يُؤْتَمُّ بِهِ وَيُقْتَدَى بِهِ. وَالآيَةُ عَلَى جَمِيعِ التَّقْدِيرَاتِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ لَا يَكُونُ مُذْنَبًا))<sup>(٥)</sup> ولعل ما يلفت انتباه القارئ هو التغيُّر في بناء الفعلين (ثبت / نثبت) في قول الرازي: ((وَجَبَ أَنْ لَا تَثْبُتَ النَّبُوءُ لِلظَّالِمِينَ ... وَجِبَ أَنْ لَا تَثْبُتَ الْإِمَامَةُ لِلظَّالِمِينَ) وكأنه يريد القول: إنَّ النبوة تثبت من الله سبحانه، والإمامة تثبت من الناس؛ من قوله (ثبت) التي جعل النبوة هي الفاعل مجازاً وإلا فإنَّ الله يصطفي من عباده المخلصين، وقوله: (نثبت) التي تدل على جماعة المتكلمين الذي يدلُّ بأنَّ النَّاسَ هم من يختارون الإمام، فعندهم أنَّ لفظ (الإمام) أقصى معانيه التكريمية هي (النبوة)، ولم يتعد هذا التوجه عن المعنى الوضعي الذي أثبتته المعجمات، بل تحرك المفسرون في دائرة الدلالة المعجمية للفظه.

(١) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١ / ١٣٦، والتصاريح لتفسير القرآن مما اشبهت أسماؤه

وتصرفت معانيه: ١٠٩، وجامع البيان في تأويل القرآن: ٢ / ١٨، والوجوه والنظائر: ٢٨.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢ / ١٨، وينظر: تفسير الماتريدي: ١ / ٥٥٥، ومعالم التنزيل في

تفسير القرآن: ١ / ١٦٢، والكشاف: ١ / ١٨٤.

(٣) الوجوه والنظائر: ٢٩.

(٤) م. ن: ٢٩، وينظر: مفاتيح الغيب: ٣ / ٤٥٧.

(٥) مفاتيح الغيب: ٣ / ٤٥٧.

إنَّ (الإمامة) التي قَدَّمها النصُّ القرآنيُّ جاءت بعد ابتلاء، وهو الاختبار<sup>(١)</sup> والتقديم الواجب في السياق يستلزم عناية واهتمامًا بالأمر<sup>(٢)</sup> المشروط بإتمام ذلك الاختبار (فأتمهن / الآية) ممَّا يؤكدُ أنَّ لفظَ (إمام) هنا أصابه انتقالٌ دلاليٌّ من المعنى المعجمي إلى معنى اصطلاحِي إسلاميٍّ مخصوص بفتنةٍ من دون أخرى على وفق قيد توَضَّحُه قرينة (لا ينال... ) وعلى ذلك لا تقوى توجيهات أكثر المفسِّرين بأنَّ المراد بـ(إماما) النبوة؛ لأنَّ إبراهيم ﷺ كان نبيًّا حين حُوِّطَ بها<sup>(٣)</sup>، وعلى ما يبدو أنَّه ﷺ نال منصبَ الإمامة عندما بلغ من عمره مبلغ الشيخوخة، بقرينة (قال ومن ذريتي) التي تشير إلى أنَّه ﷺ كان عنده ذريَّة - إذا حملنا اللفظ على خصوصه - ومن المعلوم قرآنيًّا أنَّ إبراهيم ﷺ قد تجاوز به العمر الشيخوخة حتى رُزقَ بذريَّة، فما الفائدة معنويًّا أن يُجبرَ أنه - ﷺ - نبيٌّ بتعبير (الإمام)؟ وفي ذلك ردٌّ على العموم الذي أطلقه الفخر الرازي الذي قضى بأنَّ الناسَ هي من تختار (الإمام) عند تفسيره الآية بدليل استعماله الفعل (نُثِبَ) وليست في عقيدته - الإمامة - تعيينًا من الله سبحانه؛ وهذا مردود أيضًا بصريح الآية التي تُخبر أنَّ الله ﷻ قد جعل إبراهيم ﷺ إمامًا، أمَّا بلحاظ المعنى المعجمي فللناس أن تختار من تأتمُّ به في الصلاة وغيرها من الأعمال، بيد أنَّه في الآية المباركة يخرج من دائرة اختيار النَّاسِ، فيتطلَّب لمعرفة معنى لفظة ما هو حصر القرائن التي تحفُّ بها ((ثمَّ بعد ذلك يتعيَّن النَّظَرُ في دلالة الألفاظ وذلك أنَّ إفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقَّف على

(١) ينظر: مجاز القرآن: ١ / ٥٤.

(٢) ينظر: الكتاب: ١ / ٣٤.

(٣) وردت آثار كثيرة تبين مرتبة الإمامة في التشريع الإسلامي منها ما ذكره الشيخ الكليني أن ((أبا عبد الله ﷺ يقول: إنَّ الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيمَ عبدًا قبل أن يتَّخذه نبيًّا وإنَّ الله اتخذ نبيًّا قبل أن يتَّخذه رسولًا وإنَّ الله اتخذ رسولًا قبل أن يتَّخذه خليلًا وإنَّ الله اتخذ خليلًا قبل أن يجعله إمامًا فلما جمع له الأشياء قال ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قال: فمنَّ عظمها في عين إبراهيم قال: ﴿ومن ذريتي قال لا ينال عهدِي الظالمين﴾ قال: لا يكون السَّفيه إمامًا التَّقي)). الكافي: ١ / ١٧٥.

معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة والقوانين اللسانية في ذلك هي علوم النحو والتصريف والبيان»<sup>(١)</sup>.

إذا قرأنا تركيب ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ على وفق حيثيات الفعل الكلامي، نجده - التركيب - قد أنجز فعلاً كلامياً من صنف الإيقاعيات<sup>(٢)</sup>: وهي التي يكون إيقاع الفعل فيها مقارناً للفظه في الوجود، فأنت تنجز بالقول فعلاً، ويقابل هذا النوع من الأفعال في تقسيم سيرل (الإعلانيات)<sup>(٣)</sup>، وهي ((تسع لتشمل أفعال البيع والشراء، والهبة والوصية، والوقف، والإجازة، والإبراء من الدين، والتنازل عن الحق، والزواج، والطلاق، والإقرار والدعوى، والإنكار والقذف، والوكالة، وإعلان الحرب، وهذه الأفعال كلها يقع الفعل بمجرد النطق بلفظها))<sup>(٤)</sup>، ولا يخفى أن هذا الصنف يمثل نقطة انطلاق النظرية كلها، وتقتضي لتحقيقها أن يكون المتكلم يمتلك السلطة التي تؤهله لإنجاز هكذا أفعال إذ ((يتوجب على المتكلم تسنم دوراً مؤسّساتياً في سياق معين لإنجاز الإعلان بصورة صحيحة))<sup>(٥)</sup>، بمعنى أن منتج الخطاب يمتلك السلطة التي تؤهله لإيقاع الفعل، وهذا على مستوى طبقات المجتمع، ولا يقاس عليه كلام الذات المقدسة؛ لأن له السلطة المطلقة التي لا يشاركه أحد فيها، فهو القادر على كل شيء، لكن هذه تنظيرات وضعت لقراءة اللغة لا غير، فقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ يمثل فعلاً كلامياً ناجحاً لتحقيق شروطه من جهة الصدور، ومن جهة التحقق في الخارج، وبمجرد التلفظ بالنص تحققت

(١) ديوان المبتدأ والخبر: ٥٧٤ - ٥٧٥.

(٢) سنعتمد على تصنيف الدكتور محمود أحمد نحلة؛ لأنه يعدّ أول اشتغال عربيّ في تصنيف الأفعال الكلامية، ينظر: آفاق جديدة: ٩٨.

(٣) ينظر: م. ن. ٨٠، ويقابلها الدكتور عادل فاخوري بـ (التصريحيات) وهي ترجمة ثانية لمصطلح سيرل على هذه المجموعة نفسها. ينظر: محاضرات في فلسفة اللغة: ١٢١.

(٤) آفاق جديدة: ٩٨.

(٥) التداولية: ٨٩.

الإمامة للنبي إبراهيم ﷺ، ولنا أن نبين تفصيله:

- الفعل النطقي: وهو يشمل الجوانب الصوتية والمعجمية والنحوية، وقوامه في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ هو المسار التركيبي: إن + ياء المتكلم + [جاعل + ك] + حرف الجر (ل) + الناس + إماما.

- الفعل القضوي: الذي يشمل المتحدث عنه أو المرجع، والمتحدث به أو الخبر، وهو النبي إبراهيم ﷺ وموضوع الإمامة.

- الفعل الإنجازي: وهو ما يؤديه التلفظ من إنجاز فعل في الواقع، تعيين النبي إبراهيم ﷺ إماما للناس، ومن كان معصوماً من ذريته.

- الفعل التأثري: هو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه، تمتع النبي إبراهيم بصلاحيات منصب الإمامة وهي وجوب الطاعة، وله الولاية العامة على الناس.

النص القرآني لا يقف عند زمان معين ومكان؛ وإنما تسري قوانينه وأحكامه إلى قيام الساعة، وقد جعل الله تبارك وتعالى للإمامة امتداداً في ذرية إبراهيم ﷺ وقيد ذلك الامتداد بالمعصومين من ذريته ﷺ بقريته ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفسر الظالمون ((مَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَذَبَحَ لِأَصْنَامٍ))<sup>(١)</sup> وهو ((خبر من الله جل ثناؤه عن أن الظالم لا يكون إماماً يقتدي به أهل الخير... لأن الإمامة إنما هي لأوليائه وأهل طاعته، دون أعدائه والكافرين به))<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فعلاً كلامياً من نوع الإيقاعات - أيضاً - يمثل قانوناً عاماً يقضي باستحالة تولي منصب الإمامة إلا المعصوم من الذنوب والمعاصي.

(١) تفسير فرات الكوفي: ٢٢٢. وقال بعد ذلك: ((وَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَّا وَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعَبَدَ الْأَصْنَامَ وَذَبَحَ لَهَا مَا خَلَا عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ ﷺ، فَإِنَّهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُجْرِيَ عَلَيْهِ الْقَلَمُ أَسْلَمَ فَلَا يُجِوزُ أَنْ يَكُونَ إِمَامٌ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَذَبَحَ لِأَصْنَامٍ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٠ / ٢.

## المطلب الثاني

### تحليل أدلة الإمامة على وفق التقنيات الحجاجية

أسس اللغويُّ الفرنسيُّ أوزفالد ديكر و وتلميذه جين كلود انسكومبر في عام (١٩٧٣م) نظرية حجاجية لسانية في كتابهما المشترك (الحجاج في اللغة)<sup>(١)</sup> فقدما تأسيساً للروابط الحجاجية وبيان أثرها في ربط الحجج وبنائها في كل لغوي متماسك؛ الغاية منه الكشف عن مضامين الحجج وتعاقبها قوة في التأثير، وما يحمل ذلك في طياته معنى، وما سلكاه من التنظير الدقيق للسلم الحجاجي وبيان قوانينه التي تضبط انتظام الحجج فيه<sup>(٢)</sup>، ومؤدى الحجاج ((أن يقدم المتكلم قولاً (ق ١) (أو مجموعة أقوال) موجّهة إلى جعل المخاطب يقبل قولاً آخر (ق ٢) (أو مجموعة أقوال أخرى) سواء أكان (ق ٢) صريحاً أم ضمناً))<sup>(٣)</sup> ولهذا التنظير مصاديق كثيرة في الاستعمال العربي، وما يهمننا هنا هو قراءة أدلة الإمامة وتجلياتها على وفق ذلك؛ إذ يعدُّ النبيُّ محمدٌ ﷺ امتداداً لسلسلة الأنبياء ﷺ ولا سيما النبيِّ إبراهيم ﷺ من طريق النبيِّ إسماعيل ﷺ<sup>(٤)</sup>، ويطالعنا أول سلوك تبليغي اتخذهُ الرسول ﷺ في تبليغ الدعوة الإسلامية هو تطبيق مضمون قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فجمع ﷺ أكبر عشيرته، وقال: ((إنَّ الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصّة... وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنفاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن

(١) ينظر: السلام الحجاجية، أوزفالد ديكر و، ترجمة صابر الحباشة: ٥/ ٧٤.

(٢) ينظر: الحجاج والمعنى الحجاجي: ٦٣.

(٣) نظرية الحجاج في اللغة، الدكتور شكري المبخوت: ٣٦٠.

(٤) قال رسولُ الله ﷺ: ((إن الله اصطفى من ولد آدم إبراهيم وأخذهُ خليلاً، ثم اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، ثم اصطفى من ولد إسماعيل نزاراً، ثم اصطفى من ولد نزار مضر، واصطفى من ولد مضر كنانة، ثم اصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفى من بني هاشم بني عبد المطلب، واصطفاني من بني عبد المطلب)) مسند أحمد بن حنبل: ٢٨ / ١٩٣.

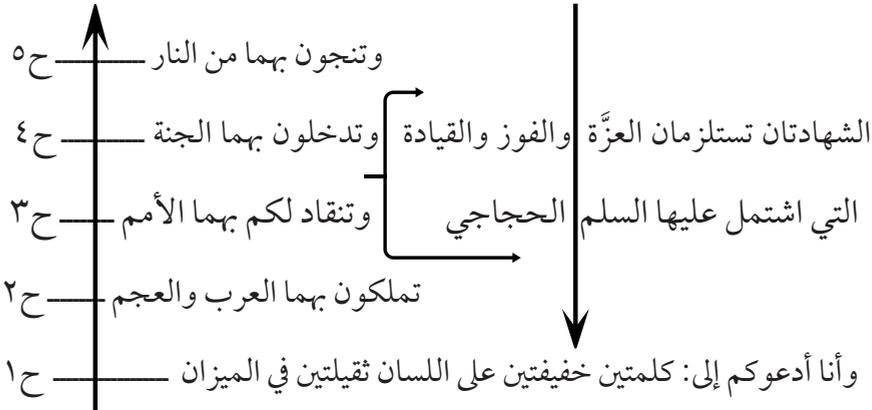
لا إله إلا الله وأني رسول الله، فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي، فلم يجب أحد منهم فقال أمير المؤمنين ﷺ: فقامت بين يديه من بينهم، وأنا إذ ذاك أصغرهم سنًا، وأحسهم ساقًا، وأرخصهم عينًا - فقلتُ: أنا- يا رسول الله - أؤازرك على هذا الأمر. فقال: اجلس، ثم أعاد القول على القوم ثانية فاصمتوا، وقمتُ فقلتُ مثل مقالتي الأولى، فقال: اجلس. ثم أعاد على القوم مقالته الثالثة فلم ينطق أحد منهم بحرف، فقلتُ: أنا أؤازرك - يا رسول الله على هذا الأمر، فقال: اجلس، فأنت أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي، فهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يا أبا: طالب، ليهنك اليوم إن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميرًا عليك))<sup>(١)</sup>.

إنَّ أحداثَ حديثِ الدارِ تشتملُ على إنجازِ كلاميِّ متحقِّقِ الوجودِ، اتخذ الرسول ﷺ في تبليغِ مضمونه منحيَّ حجاجيًّا، وما طرحه النبي ﷺ من دعوة في تلك الواقعة هي أقرب إلى المحاجة منها إلى الحقيقة؛ لأنَّه يعلم سرائر القوم، وما سلكه من أسلوب تبليغي يؤكِّد ذلك؛ إذ أعلن عن وصيِّه ووزيره والدعوة لم تظهر بعد في الواقع، وقد وظَّف الرابط الحجاجي (الواو) الذي يدلُّ على المشاركة في الفعل والنتيجة بين مفاصل الخطاب، نجده قد عطف: (تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم، وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار) أمَّا النتائج المضمرة فهي تستلزم العكس تمامًا؛ بمعنى من لم يؤازره ﷺ لا يملك، ولا تنقاد له الأمم، ولا يدخل الجنة، ولا ينجو من النار)، وكذلك قوله (عند استعماله اسم الشرط (من) بوصفه رابطًا حجاجيًّا مع (الواو): (فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويؤازرني عليه وعلى القيام به، يكن أخي ووصي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي) وهذا يستلزم حجة مضمرة قوامها:

من لم يؤازره لن يكون أخيه ولا وصيه، ولا وزيره، ولا وارثه، ولا خليفته من بعده. فلم يجبه أحد على الرغم من تكراره ثلاث مرات، وفي كل مرة يكون المجيب الإمام علي عليه السلام فأنجز بهذا التكرار في الدعوة فعلا كلامياً يفيد (التبكيث والتعجيز) وحتى يقطع على قائل أن الأمر مقطوع للإمام علي عليه السلام، ويكشف أيضا سرائر القوم الذين نصبوا العداة للإسلام، من الذين وهبوا كل شيء للإسلام، وعلى ذلك يكون الترابط وثيق جداً بين آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ومصداق واضح، لـ ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام هو من فعل الإيقاعات؛ إذ أعلنه أخواً ووصياً ووزيراً ووارثاً وخليفةً له من بعده، فأبيّ بيان أدق من هذا البيان الذي تفاعلت الأدلة القرآنية والأحاديث النبوية على بيانه، ولنا أن نعرض أدلة (الإمامة) على وفق السلم الحجاجي الآتي:

١ - سلم الحجج المباشرة / الإيجابي:

\_\_\_\_\_ شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله = التوحيد / ن



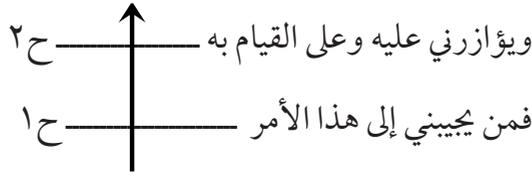
تتخذ الحجج في السلم منحي تصاعدياً، وهذا يقتضي بحسب قانون السلم الحجاجي أن الحجّة الأعلى تستلزم الحجّة الأدنى وزيادة، ولو تأملنا الحجّة (ح ٢) نجدها تستلزم (ح ١)؛ لأنّ انقياد الأمم يستلزم ملك العرب والعجم، وكذا

النجاة من النار في (ح ٥) تستلزم (ح ٤) وهي دخول الجنة، وهذا كله تستلزمه النتيجة (ن) وهي (التوحيد) بشرطها وشروطها، وهذا لعامة المسلمين، وعلى مستوى الأشخاص، فإن الذي يلبي جميع حجج السلم؛ وهي الإجابة، والولاية، والوزارة، والإمامة، وإخوة الرسول، تكون نتيجته (الإمامة) بحسب ما مبين في المخطط الآتي:

٢- سلم الحجج المباشرة:

وكل سلم يستلزم نتائج سلبية في حال عدم الإذعان والتلبية، فإذا كانت تلك حجج ظاهرة مع نتائجها، فعدم الإجابة تستلزم نتائج عكسية عقلاً، ومنطقاً، بحسب ما ذكرنا سابقاً.

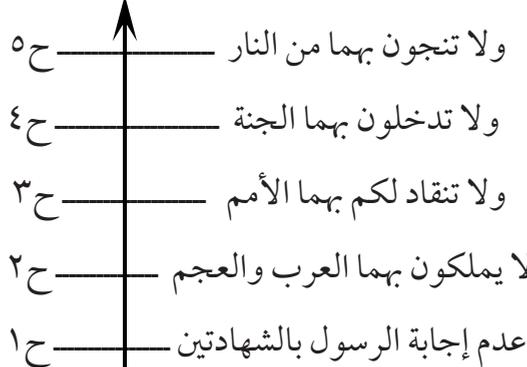
يكن أخي ووصيي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي = ن



٣- سلم الحجج العكسية:

لن يكن أخي ووصيي ووزير ووارثي

وخليفتي من بعدي = ن / إمام



## الخاتمة

بعد هذه السياحة العلميّة في روضة العقيدة، نقطف ثمار البحث، لنثبتها في الآتي:

١- لقد حرص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على ترسيخ عقيدة الإمامة؛ وقد جاءت النصوص تؤيد ما كان، لا تصف ما يكون، إذ جاءت في آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ جملة الحال (وهم راكعون) لتبين حدثاً عاشه المسلمون ويعلمون المعنيّ به، فهو وصف لما كان، حتى لا يبادر من يسوّل له نفسه للتصدّي إلى غير حقٍّ ومكانةٍ واستحقاق.

٢- جاءت الأحاديث النبويّة في هذا الشأن خاصة- وكل الأحاديث الصحيحة- موافقة للخطاب القرآني بدقّة، وتعد امتداداً للقرآن، وتفصيل لمجمله.

٣- لقد طرأ على لفظ (الإمام) تغييرٌ دلاليٌّ لِيُخَصَّصَ بوصفه مصطلحاً إسلامياً له أصوله وحقوقه في الإسلام، ومخالفة تلك الأصول والثوابت تؤدّي إلى زيغ صاحبها وكفره.

٤- لقد بادر الرسول الكريم ﷺ في أوّل حادثة تبليغ في الدين الإسلامي إلى تأسيس عقيدة الإمامة، وقد قامت تلك الحادثة على أمور اعجازيّة واضحة، ابتداء من وليمة الطعام القليلة والشراب، إلى طبيعة خطاب الرسول ﷺ بنزعه المقطوع منها في تحقّق أمر الدين وانتشاره، فكان فحوى الحادثة هو عرض الدين عليهم ودعوتهم إلى الإسلام تماشياً مع النص القرآني بوصف هذا الأمر متحقق لا محالة، لا أن ينتظر موافقتهم في النهوض به أو لا.

- ٥- لم يكن أمر (الإمامة) و(الوزارة) و(الخلافة) بدعًا؛ بل هي عقيدة قارّة من زمن آدم وإبراهيم عليهما وعلى رسولنا الصلاة والسلام.
- ٦- لقد تميّز النظام اللغوي الذي قدّم عقيدة الإمامة بإحكام ترابطه، ودقّة سبكه، ليدحض التحريف المعنوي فيها، ومع هذا كله فقد حاول المعاندون ليّ عنق النص بما يتوافق مع عقيدة أسلافهم.
- ٧- تمثّل التداوليّة منهجًا دقيقًا في تقصّي مجريات الخطاب، ومقاربة قصد المتكلّم؛ لأنّها تدرس الخطاب من جميع النواحي اللغويّة والمقاميّة، لتفهّم المتكلّم وماذا قال؟، والمخاطب وماذا فهم؟.
- ٨- كشفت الروابط الحجاجيّة عن عقيدة الإمامة على وفق تشارك الحجج وتصاعدها وصولًا إلى النتيجة، لدحض أيّ تشكيك في هذا المعتقد الأصيل، فالتقنيات الحجاجيّة من وسائل كشف المعنى بشكل منظم ودقيق.
- ٩- كان للعقيدة أثر بارز في توجيهات المفسّرين للخطاب القرآني، والأحاديث النبويّة، فأخضعوا النصّ لفكرهم، ولم يعملوا فكرهم في بيان مراد النصّ.

## المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- ١- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د محمود أحمد نحلة، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.
- ٢- الاتجاهات النحوية لدى القدماء، دراسة تحليلية في ضوء المناهج المعاصرة، حليلة أحمد عمارة، دار وائل، الأردن، ط١، ٢٠٠٦م.
- ٣- الإرشاد، الشيخ المفيد (ت: ٤١٣هـ)، مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٤- الأسلوبية والبيان العربي، الدكتور عبدالمنعم خفاجي، والدكتور محمد السعدي فرهود، والدكتور عبدالعزيز شرف، المطبعة الفنية، الناشر، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٥- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن نور الدين جامع العلوم الأصفهاني الباقولي (ت: ٥٤٣هـ)، تحقيق: إبراهيم الإياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتب اللبنانية، بيروت، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- ٦- الاقتصاد، الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠هـ)، منشورات مكتبة جامع جهلستون، طهران، مطبعة الخيام - قم، ١٤٠٠هـ.
- ٧- إنشاء النفي وشروطه النحوية والدلالية، الدكتور شكري عياد المبخوت، مركز النشر الجامعي، كلية الآداب والفنون الإنسانية، جامعة منوبة، تونس، (د.ت): ١٥٥.
- ٨- البحوث اللغوية والأدبية (الاتجاهات، والمناهج، والإجراءات)، د. هادي نهر، دار الأمل، الأردن، ط١، ٢٠٠٥م.

٩- البعد التداولي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، عالم الفكر، العدد الأول، مج ٣٣، ٢٠٠١.

١٠- البلاغة العربية، قراءة أخرى، الدكتور محمد عبد المطلب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧ م.

١١- التداوليات وتحليل الخطاب، الدكتور: جميل حمداوي، مكتبة المثقف، ط ١، ٢٠١٥ م.

١٢- تداولية الخطاب السردية دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، محمود طلحة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط ١، ٢٠١٢ م.

١٣- التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن ريبول، ترجمة: الدكتور سيف الدين دغفوس، والدكتور محمد الشيباني، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م.

١٤- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دمسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠٥ م.

١٥- التداولية، جورج يول، ترجمة: دقصي العتاي، الدار العربية للعلوم، الرباط، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م.

١٦- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معاني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققت: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٩ م.

١٧- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٣، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

١٨- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، تح: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.

١٩- تفسير فرات الكوفي، فرات بن إبراهيم الكوفي (ت: ٣٠٧هـ) مؤسسة الطبع والنشر في وزارة الإرشاد الإسلامي، طهران، ط ١، ١٤١٠هـ.

٢٠- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢١- جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.

٢٢- الحجاج والمعنى الحجاجي، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته) فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٩٨ م.

٢٣- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت: ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م.

٢٤- السلاالم الحجاجية، أوزفالد ديكر، ترجمة صابر الحباشة، بحث ضمن كتاب (الحجاج مفهومه ومجالاته).

٢٥- سيميوطيقا اللغة وتحليل الخطاب- الإعلان التلفزيوني، د. حسنة عبد السميع، الناشر عين للدراسات والبحوث، مصر، (د. ط)، ٢٠٠٥ م.

٢٦- شرح أصول الكافي، مولي محمد صالح المازندراني (ت: ١٠٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، ط ١، ١٤٢١-٢٠٠٠م.

٢٧- شرح مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية، د. مُسَاعِدُ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ نَاصِرِ الطَّيَّارِ، دار ابن الجوزي، ط ٢، ١٤٢٨ هـ.

٢٨- الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني (منهجًا وتطبيقًا)، الدكتور أحمد علي دهمان، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ط ١، دمشق، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

٢٩- العقل واللغة والمجتمع الفلسفة في العالم الواقعي، جون سيرل، ترجمة: د. سعيد الغنامي، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة - الجزائر، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٣٠- علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: الدكتور يوثيل يوف عزيز، مراجعة النص العربي: د. مالك وسف المطلبي، دار آفاق عربية، ١٩٨٥م.

٣١- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار وأن ريبول، ترجمة: مجموعة من الاساتذة والباحثين، باشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، السحب الثاني، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، (د. ط)، ٢٠١٠م.

٣٢- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت: ١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٣٣- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد،

الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧ هـ.

٣٤- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: ٤٢٧هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.

٣٥- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقيي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٣٠٠ هـ.

٣٦- اللسانيات والدلالة، د. منذر عياشي، مركز الانماء الحضاري حلب، ط ١، ١٩٩٦ م.

٣٧- اللغة والفعل الكلامي والاتصال، زبيبة كريم، ترجمة: الدكتور سعيد البحيري، ط ١، ٢٠١١ م: ٨٩.

٣٨- اللغة والمعنى مقاربات في فلسفة اللغة، (مجموعة باحثين)، إعداد وتقديم: مخلق سيد أحمد، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط ١، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

٣٩- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ هـ.

٤٠- محاضرات في فلسفة اللغة، د. عادل فاخوري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط ١، ٢٠١٣ م.

٤١- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٣- معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: حقه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

٤٤- معجم علم اللغة النظري، الدكتور محمد علي الخولي، ط١، لبنان، ١٩٨٢ م.

٤٥- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤٦- مفاتيح الغيب - التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣ - ١٤٢٠ هـ.

٤٧- المكوّن التداولي في النظرية اللسانية العربية ظاهرة الاستلزام الحوارية أنموذجاً، (دكتوراه)، ليلي جادة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر - باتنة، الجزائر، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

٤٨- الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمة: الدكتور قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٨٩٨ م: ٩٥.

٤٩- نظام الجملة العربية، سناء حميد البياتي، (رسالة ماجستير) كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣ م.

٥٠- النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو جورج الياسرفاتي، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١، ٢٠١٢ م.

٥١- نظرية أفعال الكلام عند أوستين، نصيرة غماري، مجلة اللغة والأدب، الجزائر العاصمة، العدد ١٧، ٢٠٠٦: ٨٠.

٥٢- نظرية الحجاج في اللغة، الدكتور شكري المبخوت، بحث ضمن كتاب (أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم)، فريق البحث في البلاغة والحجاج، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، ١٩٩٨ م: ٣٦٠.

٥٣- نهج البلاغة، ضبط وابتكر فهارسه العلمية الدكتور صبحي الصالح، بيروت، ط١، ١٩٦٧ م.

٥٤- الوجوه والنظائر، لأبي هلال العسكري (معتزلي) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥ هـ)، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط٣، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.